٢٥١٣

العدد ٣٧٦ السنة الثالثة والثلاثون مارس ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
العربي
ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت
تلفون فاكسملي ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue no 376. Mars 1990, P. O. Box : 748.
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

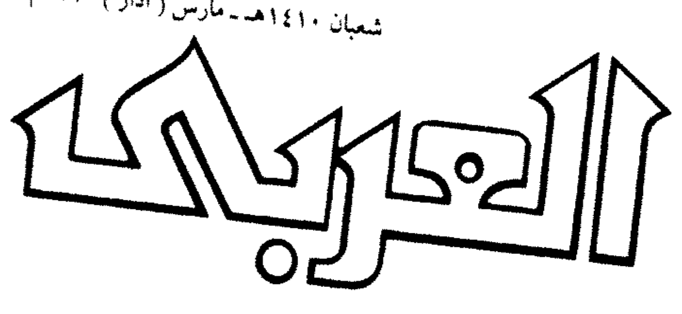
الاعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د ك أو ٢٠ دولارا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشا	سلطنة عمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكا
السودان ٢٥ قرشا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

شعبان ١٤١٠هـ - مارس (اذار) ١٩٩٠م





فلسطين المحتلة

الحياة والموت في ظل الانتفاضة

من مخاطر العبث بالوراثيات

■ العرب والتحدي العلمي ■ جديد القصة في المغرب العربي

الصّقر و رولكس
الدقّة والأناقَة

منذ حضارة بلاد ما بين النهرَين، كانت رياضة الصّقور، ولا تزال حتى يومنا هذا، رياضة النبلاء.

الصّقر طائر قويّ، أنيق وسَريع الحَركة، يُروّض ويُعلّم خصّيصًا فنّ الصّيد. هذا الترويض والتعليم يتمّ على يَديّ أخصائيّين لمدّة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يومًا. العناية عينها هيَ الّتي بهَا تصنَع كل ساعة رولكس.

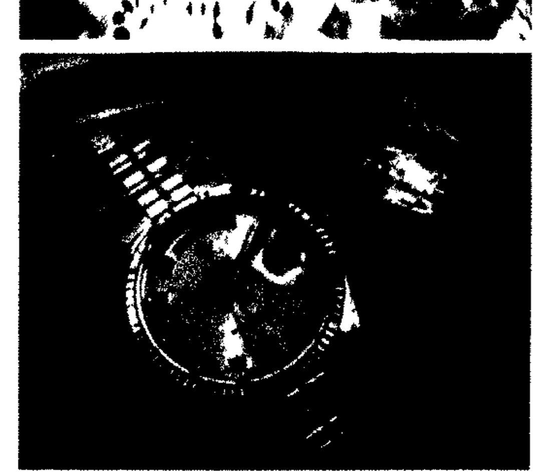
حتى اليَوم لا تزال رولكس تصنَع من قطعَة معدَن واحِدَة وتُنحَت يدويًّا، سَواء مِن الذهَب الخالص أو الفولاذ أو الاثنين معًا.

كل سَاعة تمرّ إفرَاديًا بمَجموعَة تجَارب قاسية قبل أن تعطى شهَادة الكرونومتر السّويسريّة الرسميّة.

جَمال رولكس غنيّ عَن التعريف وقيمتهَا تدوم وتدوم لسَنوات وسَنوات طويلة جدًّا.

مجمُوعَة سَاعاتُ رولكس رائعة ومتكاملة لترضي أصحَابُ الذوق الرفيع.

رولكس والصّقر رمز الدقة والأناقة.



ساعة تريدور داي - دوت من الذهب الابيض والأحمر والاصفر مرصّعة بالماس





محتويات العدد

قضايا عامة :

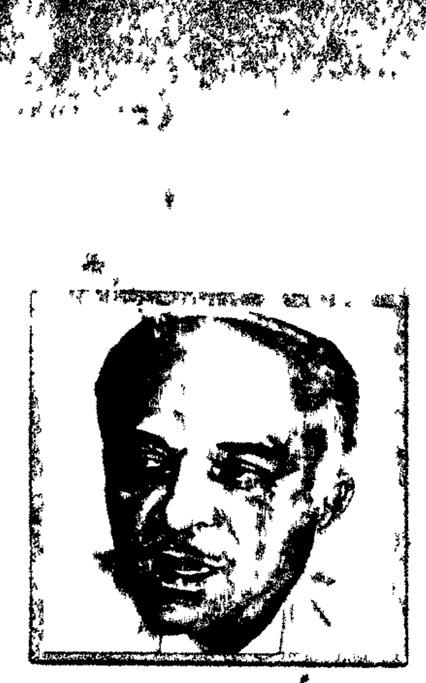
عروبة وإسلام :

استطلاعات مصوّرة :

طب وعلوم :

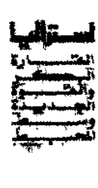
● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط . ص٦٨

أدب وفنون :



العربي





صورة الغلاف

الانتفاضة الفلسطينية ، ليست قذف حجارة ومواجهات عنيفة مع قوات الاحتلال فقط بل أسلوب حياة ... استطلاع عن حياة الشعب الفلسطيني قامت به مجموعة من الكتاب الفلسطينيين تحت الاحتلال . [طالع ص ١٣٢]

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :

عزيزي القارئ

رَبِيعُ العَرَبِ .. لماذا يَجيءُ قَائِظًا ؟

يبدو أن هذه الأمة لا تخرج من مشكلة ، إلاّ وتواجهها مشكلة أخرى أصعب وأكثر شراسة ، فلقد كان الأمل في التسعينيات أن يتنفس العرب الصعداء ، ويبدأوا في تجميع قدراتهم لإصلاح ما أفسدته العقود السابقة على كافة الأصعدة ، اقتصادية كانت أم اجتماعية أم سياسية . ولكن الشهور الأولى من التسعينيات واجهتنا بمشكلة تزايد الهجرة الكثيفة لليهود السوفييت إلى فلسطين ، بعدما أغلقت الولايات المتحدة أبوابها أمامهم ، ليتخذ الكيان الصهيوني منهم ذخيرة بشرية تمكنه من مواجهة ضغوط الإنتفاضة الفلسطينية الباسلة المستمرة للعام الثالث ، وتمكنه من ترسيخ اغتصابه للأرض العربية

وبالإضافة إلى هذا التحدي الذي يحتاج إلى سرعة في المواجهة والحسم ، يحاط العرب بجبهة ثانية سبق لنا في « العربي » التنبيه إلى خطورتها علينا وهي جبهة المياه . حيث تتعرض الأراضي الزراعية في سوريا والعراق لحجب المياه عنها ، وتتعرض منابع نهر النيل لمشروعات مشبوهة تقف خلفها « اسرائيل » .

وهكذا يواجهنا عقد التسعينيات بتحديات ثقيلة ، تستدعي منا اليقظة وابتكار وسائل وأساليب فعالة لمواجهتها ، بخاصة أننا نعيش في عالم سريع التغير والتبدل .

« والعربي » إدراكاً منها لأهمية هذا الدور تحاول على الساحة الثقافية أن تقوم بدورها في إشاعة الوعي بهذه القضايا ، واستثارة وإنارة التفكير حولها ، ولذلك تنشر ـ للمرة الأولى ـ استطلاعاً مصوراً من الأرض المحتلة كتبه وصوره زملاء لنا هناك ، ننشره تصديقاً لما آمنت به الكويت قيادة وشعباً من أن كل الجهود يجب أن تبذل لنصرة اخواننا هناك ، ومن يقرأ هذا الاستطلاع الذي ننشره في هذا العدد سيتعرف على ما يقاسيه أهلنا ، الصامدون ، وما يبذلون من جهد بطولي لتحقيق النصر .

وفي هذا العدد تصحبنا « العربي » في استطلاعها الخارجي إلى استراليا القارة البكر لنتعرف عليها ، وعلى المهاجرين العرب هناك ، كيف يعيشون ؟ وبماذا يفكرون ؟

وفي ملف المستقبليات الذي نتابع نشره منذ عدد يناير الماضي يحظى العلم باهتمام يليق بأهميته ، حيث يستمد منه غيرنا سر تقدمهم ، وهنا نتساءل : أين نحن من التقدم العلمي الراهن ؟ وكيف نتعامل مع معطياته ؟ . ولذلك يزخر العدد بمجموعة من المقالات العلمية منها ؛ مخاطر العبث بالوراثيات ، ورحلة خلابة إلى الزمن صفر .

وفي ملف الإبداع الأدبي العربي تتابع العربي نشر اسهامات الكتاب العرب في هذا الموضوع المهم .

أما وجهاً لوجه فهو مع الكاتب والمفكر العربي سهيل ادريس صاحب الاسهامات المتميزة في الثقافة العربية المعاصرة ، من خلال مجلة الآداب التي رفدت الثقافة العربية منذ الخمسينيات من هذا القرن باسهامات وإبداعات ثرية ومهمة .

وبعد ذلك نجد في هذا العدد باقة من الموضوعات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية نحرص دائماً على أن تكون جديدة ومفيدة لقارىء العربية ، وقارىء « العربي » .

ذاك هو اسهامنا في هذا الشهر الذي نرجوا أن لا يمر إلاّ ويكون ضيقنا قد انفرج ، وشملنا المشتت قد التأم . □

المحـــرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أصداءُ حركةِ الاستنارة



طُلب منى أن أشارك مع كوكبة من أهل الرأى والكلمة العرب ، في ندوة مفتوحة على هامش معرض الكتاب الثاني والعشرين في القاهرة ، وللقاهرة سحر خاص يزداد تألقاً عندما يكون اللقاء بين مثقفين وكتاب وشعراء ودارسين من كل أنحاء الوطن العربي الكبير . كانت الندوة جزءا من تظاهرة ثقافية منصبة على محور حركة التنوير وأصدائه في الوطن العربي ، والمدخل هو مرور مائة سنة على ميلاد العقاد ، وطه حسين ، والمازني ، والرافعى ، وميخائيل نعيمة ، أي بعض فرسان « التنوير » في منطقتنا العربية .

وكان مطلوباً منى أن أتحدث عن أصداء حركة التنوير في المشرق العربي ، وفي الجزيرة على وجه الخصوص .

والموضوع بمعناه الشامل (التنوير) وجزئيته « أصداء التنوير في الجزيرة العربية والخليج » موضوع واسع ودقيق ومحرج في نفس الوقت .

واسع لأنه يحتاج إلى سفر كبير أو أكثر للإلمام بكل تفاصيله ، وتحليل الثابت منه والمتحول ، ودقيق في نفس الوقت لأنه يضعنا أمام

أنفسنا مباشرة في تحديد معنى « التنوير » وتحديد مركز أو مراكز انطلاق هذا التنوير ، وتحديد صداه أيضا ، وهو أخيراً محرج لأن السؤال يطرح ماذا كان لدى المتقدمين من « أصيل » وماذا عندهم من « منقول » حتى نستطيع على وجه الدقة أن نقول إن ذلك « تنوير » نابع من أصالة ، وتلك أفكار « تنويرية » مستوحاة من آخرين ؟

وعندما التأم شمل جمع المتحدثين على تلك المنصة في صباح ذاك اليوم البارد من أيام القاهرة - في نهاية يناير (كانون الثاني) الماضي - وجدت أن معظم المتحدثين من مصر والعراق وتونس والجزيرة العربية وفلسطين من زملائنا الكتاب يشاركونني بقليل أو كثير من الموافقة على اتساع ودقة وحرج الموضوع .

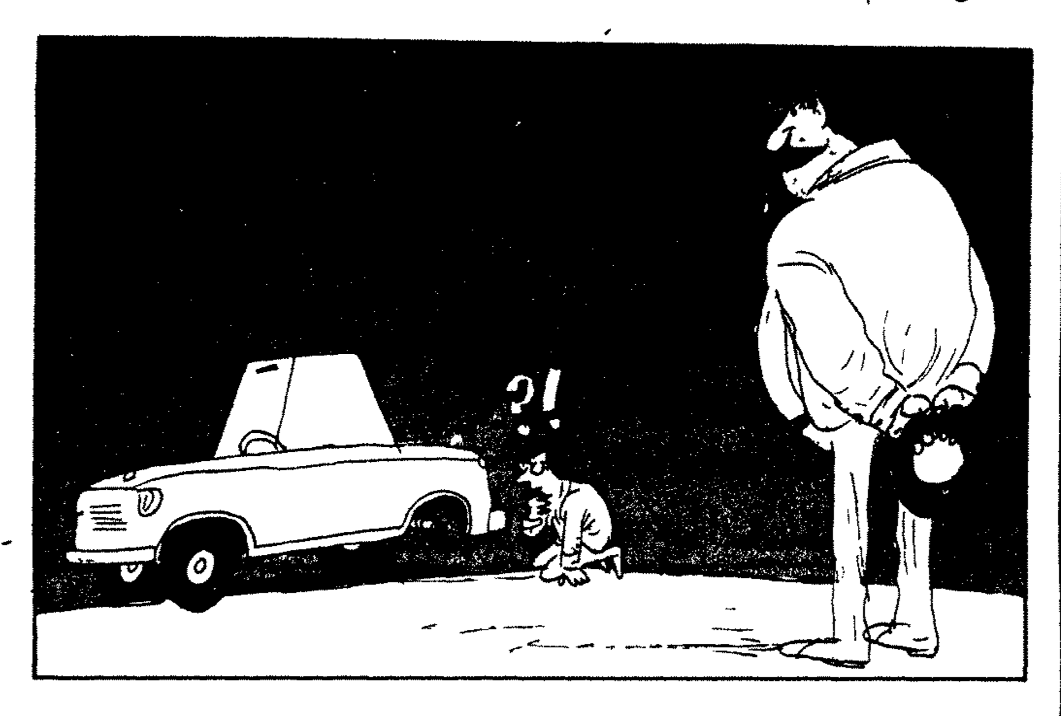
أصوات الاستنارة لم تسفر حتى الآن عن أعمال أكثر بقاءً من مجرد الصدى

مشاكل منهجية ومعرفية :

كانت التساؤلات في البداية هل يجوز أن ندّعي أننا نحتفل بمرور مائة سنة من التنوير ؟ وهل هذه المائة سنة من التنوير تحتاج إلى مائة سنة أخرى لترسخ مفاهيم التنوير كما قال أحد الزملاء ؟ وكيف يجوز أن نتحدث عن التنوير ونحن مازلنا في بعض مجتمعاتنا نتقاتل على أساس طائفي ، وديني ، ونقف من بعض من يخالفنا الرأى موقف العداء المستحكم ؟ وكيف لنا أن نحتفل بمائة سنة من التنوير ومازال بعضنا يحارب تعليم المرأة وعملها ، ويتشبث بالخرافات على أنها حقائق ثابتة لاتقبل الجدل ؟وكيف نحتفل بمائة سنة من التنوير ومازلنا نستورد أكثر مما نصدر ، ونزداد احتياجا للآخرين في الطب والهندسة والتقنية ، ومازالت إنتاجية العامل لدينا في أدنى مستوياتها العالمية ؟ وأسئلة كثيرة إجاباتها تبرر عدم احتفالنا بالتنوير أكثر مما تجيز احتفالنا به ، فنحن مازلنا نناقش ما ناقشه الأفغاني ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، وطه حسين ، والعقاد والمازني دون أن نتقدم خطوة ، بل لقد كان بعضهم في ذلك الوقت أكثر قدرة على المناقشة والدفاع عن وجهة نظره ، وطرح الموضوعات الجديدة التى أصبح بعضها اليوم غير قابل للطرح في العلن ، فهل قادتنا مائة سنة من التنوير إلى وضع أفضل - فكرياً - أم إلى وضع أسوأ ؟



وماهو مفهوم (التنوير) الذى احتج بعض المتحدثين عليه وطالب باستخدام مفهوم (الاستنارة) على أساس أننا نبحث عن النور ؟ فنحن نستنير ، والاستنارة هى الاستخدام الواعى للمعرفة ، أى استخدام العقل والتفكير السليم والتحيز لهما بما فيه نزع القداسة عن الماضى ، وإعلاء قيمة الانسان كإنسان .



ثم هل هناك إجابة شاملة عن أن حركة التنوير في الوطن العربي كانت تنبع في مكان ، وأن صداها يصل إلى مكان آخر ؟ أم أن حركة الاستنارة لم تكن تسير في « صوت » يبدأ هنا و « صدى » يتردد هناك ؟ فأحيانا ماتتوازى وأحيانا ماتتقاطع « الأصوات » و « الأصداء » لتخلق كل هذا النسيج الثرّ من الثقافة العربية المتفاعلة ، مع تسليمنا جميعا من حيث المبدأ بأن مصر فعلاً ـ لأسباب لايمكن حصرها في هذه العجالة ـ هي في كثير من الأحيان في مركز « الصوت » ولكن حركة الاستنارة لم تكن دائماً تسير في هيئة صوت وصدى .

لقد هاجرت أفكار الشيخ جمال الدين الافغانى معه إلى مناطق عديدة من الأقطار الإسلامية والعربية ، بل إلى أماكن بعيدة في أوربا ، وكذلك فعل الشيخ محمد عبده ورشيد رضا ، وهاجر المفكرون من أهل الشام إلى مصر ، وأثر المصريون في مناطق عديدة وواسعة من الوطن العربي ، وفي بعض القضايا والمجالات يسبق المغرب العربي المشرق ، وفي بعض القضايا الاخرى يسبق المشرق العربي المغرب ، في حركة تبادل مراكز المنبع والتأثير .

ثم يبرز بعد ذلك السؤال الآخر ، هل رواد الفكر في أمتنا العربية من أمثال طه حسين والعقاد والمازني والرافعي ونعيمة وجيلهم هم أول دعاة الاستنارة ، أم سبقهم أشخاص مثل رفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسي ، وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبدالله النديم وأديب اسحق والسنوسى والمهدى والشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ وعندما نزن

بعد مئة عام من بدء عصر الاستنارة مازال المجتمع يناقش قضايا أكثر تخلفا مما ناقشه جيل الرواد

ماجاءوا به من فكر اليوم بميزان المنهج العلمى ، وأيُّ من فكرهم ذاك كان أصيلاً وأيُّ من فكرهم المستنير كان مترجما من أدب وثقافة أوربا، بعضه عولج معالجة معقولة ليتناسب مع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة ، وبعضه نقل كما هو طرياً غير معالج فلم يستطع أن يلج لنسيج المجتمع ، وظل خارجاً عنه ، وأصبح ككعب أخيل في إطار منهج هذا المفكر أو ذاك .

بل كيف يمكن أن نضع كل هؤلاء تحت مظلة التنوير والاستنارة ، وبعضهم قد خالف فكرالبعض الآخر بقسوة وإفراط ، كما فعل العقاد ومصطفى الرافعى عندما تبادلا أقسى أنواع الهجوم في مواقع مشهورة للجميع حول أفكار كل منهما في الأدب والنقد ؟

كل تلك أسئلة منهجية ومعرفية لابد من طرحها عندما نتذاكر بجدية قضية الاستنارة وروادها في الوطن العربي .

"ثروة الأمم الرئيسية ليست في مناجم الذهب ولا في منابع النفط إنما في شيء آخر أقدر وأسمى"

قرن المعرفة :

لايجادل أحد بأن المائة سنة الماضية هى قرن المعلومات والمعرفة ، وإذا كان احتفالنا بمرور مائة سنة على الاستنارة يأتي مع مرور مائة سنة على مولد كوكبة من رواد الفكر الحديث ،فهو يأتي أيضاً متماساً مع استقبالنا لمشارف قرن جديد ، قرن يختلف عن كل القرون السابقة على جميع الأصعدة ، قرن تحد ليس للمواطن العربي فقط ، بل هو تحد للانسانية فكراً وعملاً ، قرن بشائر التغير العميق فيه حولنا لاتحتاج إلى كثير من قدح الفكر . وإذا كان الآخرون يستقبلون هذا القرن الجديد وتحدياته بإمكانيات تؤهلهم للتوافق النسبى مع معطياته ، وتطوير تلك الإمكانيات وتسخيرها لصالحهم ، فإن الوطن العربى والمواطن الذى يعيش واقعاً صعباً مأزوماً تقصر إمكانياته عن الوفاء بإبقاء رأسه فوق سطح الماء .

مواطن ووطن يهاجر إلى بلد محتل منه ، مليون من البشر لايستطيع أمامهم فعل شيء ، مواطن ووطن تضربه الفرقة والتقاعس ويتجاذب شبابه التعصب من جهة والتغريب من جهة أخرى ، مواطن ووطن يملك من الإمكانيات البشرية والمادية الكثير ولكنه في جله معطل . وطن يعرف أهل الرأى فيه أن القوة الجديدة ليست في مناجم الذهب ، ولا في آبار النفط ، وإنما هي في الانسان ، وإن الثروة الأساسية ليست في الثروات الطبيعية ، وإنما في قدرات الانسان لتحويلها لشيء نافع ، وإن الثروة ليست فيما تعطيه الطبيعة ولكن في كيفية تسخير الإنسان لهذه

الطبيعة ، وإن هذا الأمر الذي يعرفه أهل الرأى لايحتاج إلى براهين وإثباتات ، يكفي أن نعرف أن دولاً تملك ـ بيننا اليوم ـ ثروات طبيعية غزيرة ظلت فقيرة ، في حين أن دولاً ثرواتها الطبيعية محدودة استطاعت أن تبنى اقتصاداً مزدهراً . فاليابان أغنى من الاتحاد السوفيتى في الوقت الذي لاتملك اليابان تقريباً أى ثروات طبيعية ، بينما الاتحاد السوفيتى لايفتقر إلى شيء البتة ، ذلك على سبيل المثال .

إنها إمكانيات الإنسان العربي المعطلة ، تلك هي الإشكالية التى تواجهنا وتلقي بظلها الثقيل على الجميع .

إن المثقفين والمستنيرين العرب يفرض عليهم التحدى يومياً ، وإن عليهم أن يواجهوه كما واجه المستنيرون الأوائل هذه الإشكاليات ، مع تباين درجات الحدة واختلاف العصر والظروف .

إن قيمة الرواد طه حسين والمازنى والعقاد وميخائيل نعيمة والزيات والرافعى وغيرهم تكمن في استيعابهم لضرورات عصرهم ، وتحديات المستقبل الذى كانوا يتوقعون ، على الرغم من اختلافهم في الرؤى والمناهج والاجتهادات .

إنهم جميعا نسجوا أحلاماً وأفكاراً ، وقاموا بممارسات عملية نذروا حياتهم للدفاع عنها وترسيخها في واقع الأمة . لقد أدركوا أن عوامل الثروة الصحيحة هى الأفكار تماما كما هى عوامل الثروة الجديدة في عالمنا اليوم ، وفي مستقبلنا . إنها الأفكار ، وهى عنصر غير قابل للتوزيع بين الأمم ، أفكار تجد الحلول المناسبة لمشكلاتنا ـ لاتستوردها ولا تزيفها ـ وهذه الثروة غير قابلة للتوزيع ولا للنقل ، ولذا فلم تعد قاعدة القوة في العالم هى المساحة ، ولا عدد البشر ، إنما قاعدة القوة هى الفكر والعلم اللذان ينبعان من الانسان .

السنوسية والوهابية والمهدية بدايات كموجات تحد للغرب الغازي ونقت الدين الحنيف من الشوائب والخرافات

لقد مارس الرواد الحوار فيما بينهم مستخدمين العقل أداة رئيسية فيه حتى أصبحت العقلانية سمة من سمات ذاك العصر ، لقد كانت الأفكار والأسئلة والقضايا التى شغلوا بها ودعوا إليها تصدم وتهز الأفكار السائدة ، وكان عليها أن تفعل ذلك ، إن السنوسية والوهابية والمهدية بدايات موجة التحدي للحضارة الغربية الغازية ، وهى إن لم تستطع أن تقدم كل البدائل التى كانت تريد وذاك لشراسة الهجمة الاستعمارية ضدها ، وعمق أسباب التخلف وهيمنتها ، لكنها استطاعت أن تدافع عن أوطانها ضد الاستعمار ، وأن تنقي الدين الإسلامى الحنيف من الشوائب والخرافات ، وأن ترجع به إلى أصوله النقية الأولى ، لذلك كان تأثيرها محكوما بواقعها وظروفها .



وإذا كان رفاعة الطهطاوى قد صدمه ورفاقه وهم في بعثتهم في أوربا التناقض في السلوك الأوربى ، الذي ينادى بالديمقراطية ويرفع شعارات الإخاء والمساواة في الداخل ، ولكنه يمارس القهر والاستعمار والظلم على الأقطار العربية في الخارج ، فإنهم بعد عودتهم إلى مصر حاولوا البحث عن صيغة توائم بين ماجاءوا بـه مـن أفكار علمية وسياسية واجتماعية حديثة ، وبين علوم الشرع ، حيث وجد الطهطاوى أن الاختلاف الظاهرى بينهما إنما هو يتعلق بالتفاصيل أكثر مما يتعلق بالمبادىء الأساسية التى يقوم عليها كل منهما ، فألفوا الكتب وأنشأوا المدارس وأصدروا الصحف ، وترجموا الكتب العلمية والأدبية ، وتحيزوا لفكرة المواطنة ، وقد ظاهر الطهطاوى ورفاقه ـ ولو بدرجة أقل ـ مفكرون في تونس والمغرب والشام .

وعرفت القاهرة بعد ذلك مفكرين من أهل الشام مثل عبدالرحمن الكواكبي ، وأديب إسحق ، وسليم النقاش ، وبطرس البستاني الذي طبع أول دائرة معارف عربية ، والأخوين صروف صاحبى مجلة المقتطف ، وشبلى شميل وفرح أنطون ، وأحمد فارس الشدياق ، وسليم تكلا ، وتفاعل الجميع مع على مبارك ، وعبد الله فكرى ، ومحمد

عبده ، وعبدالله النديم ، والبارودى ، وأحمد عرابى ، ويعقوب صنوع ، ولطفى السيد ، وسعد زغلول وقاسم أمين وغيرهم ، حيث أينعت جهود هؤلاء الرواد الأوائل وأثمرت الدعوة إلى تكوين الأحزاب والحياة النيابية وانتشار الأفكار العلمية ، وظهرت الصحافة والمسرح ، وظهرت دعوات التجديد في الفكر الإسلامى على قاعدة أمتن .

وعندما ظهر الجيل الثالث من حركة الاستنارة العربية كالعقاد وطه حسين وأقرانهما لم يظهروا من فراغ ،بل غاصت جذورهم مع فكر المجددين ، الأوائل وساعدهم التطور الاقتصادى والاجتماعى ، واتساع الطبقة الوسطى الجديدة على لعب دور أوسع في انتشار حركة الاستنارة .

إلا أن هذا المشهد لايخلو من التناقض ، فقد كانت الدول الأوربية المختلفة تنقض على أجزاء الوطن العربي ، جزءا بعد الآخر ، لتلحقه بدائرة نفوذها ، وتستخدم إمكاناته في معركة المنافسة المحتدمة بينها ، ولذلك كانت تجهض بالعنف والدهاء ثوراته ، وانتفاضاته ، وتسعى من خلال تشجيعها لأساليب التعليم التى تريد ، ونمط الحياة الأوربية التى تحبذ ، لتثبيت نفوذها الثقافى ، ومن ثم الاقتصادى ، تدعيما لمصالحها .

وفي قلب المشهد تتجمع صفوة من أبناء الوطن العربي ، تحلم وتفكر وتناقش ، تؤرقها الفجوة بين تقدم الغرب وتخلف العرب والمسلمين الذين كانوا يملكون حضارة راقية في زمن مضى ، وتشغلهم الأسئلة عن كيفية النهوض ، وإعادة تشكيل المجتمع العربى والاسلامى ، ماذا يمكن الأخذ به ، وماذا يمكن التخلى عنه مما لدى الغرب ؟ فأقبلت على العلوم الحديثة ، وراحت تبحث عن أجوبة في التراث الذى كان الأرضية التى تشكلت منها وعليها الاتجاهات الفكرية التى ملأت مساحة الزمن العربى الحديث ، عله يسعفها بإجابات للمسائل الكبرى التى تواجهها .

المحيط المصري والتربة المصرية كانا دائما قادرين على استيعاب إبداعات الأقاليم العربية جميعا

نظـرة من قريب على المشهد بين مصر والشام :

لاأعتقد أن هناك خلافا على أن النهضة العربية الحديثة ـ وماتلاها من عصر اصطلحنا على تسميته « بعصر الاستنارة » ـ تبلورت في إقليمين عربيين أساسا : هما مصر وبلاد الشام . ومع أن عوامل التأثر والتاثير بين الحركتين النهضويتين لم تنقطع منذ منتصف القرن التاسع عشر ، إلا أن عملية النهوض والاستنارة في كل من الإقليمين اتخذت طريقا مغايرا للآخر . وقد أدى هذا بدوره الى تقاطعات حدثت في المسيرتين النهضويتين وصلت في بعض المراحل إلى حد التعارض . إلا أن مثل هذه

قاعدة القوة هي الفكر والعلم اللذان ينبعان من الإنسان

الحالات الأخيرة ، كانت هى الاستثناء وليست القاعدة ، وفي هذا المجال يجب أن نشير إلى أن الالتقاء بالغرب ـ بأوربا ـ كان النقطة التى انطلقت منها ـ وليس على أساسها ـ حركة النهضة والاستنارة . وهذا اللقاء بالغرب مازال صالحا لتفسير كثير من عوامل نجاح وإخفاق مشروعنا النهضوى ، الذى أرى أنه لم يستكمل بعد ، وإن تحققت خلاله انجازات كبيرة وكثيرة .

وان كانت حملة نابليون على مصر هى التى تؤرخ لبدء عملية النهوض بأشكاله المختلفة التى سنجملها بالقول : إنها عملية النهوض الحضاري ، فإن ما يؤرخ لعملية النهوض في بلاد الشام ، هو تلك الارساليات والبعثات التبشيرية التى أدخلتها دول الاستعمار الأوربى ـ فرنسا وبريطانيا ـ أساسا ، وروسيا بدرجة أقل ، فتحت ذريعة حماية الأقليات الدينية في سوريا ولبنان وفلسطين تدخلت فرنسا لحماية الكاثوليك في لبنان ، وحاولت روسيا التدخل تحت ذريعة حماية المسيحيين الأرثوذكس ، أما بريطانيا فقد تدخلت لحماية ماأسمته بالأقلية اليهودية لأنه لم تكن هناك طائفة بروتستانتية تدعى بريطانيا حمايتها ، ولكن حدث أن اعتنق بعض المسيحيين العرب المذهب البروتستنتى لكن الوجود البريطانى كان سابقا على ذلك . وقد حاولت هذه الارساليات أن تطوق جزيرة العرب في بداية هذا القرن فأسست لها مراكز في البصرة والكويت والبحرين وعمان . ومع هذه الارساليات في بلاد الشام دخلت أول مطبعة إلى جبل لبنان في خمسينيات القرن الماضى ، ونسجت عبر المدارس التبشيرية علاقة بين عرب المشرق وخاصة لبنان ، وبين دول الغرب الاوربى وخاصة فرنسا . ولعبت الارساليات الروسية دوراً لايقارن بالدور الفرنسى بالطبع ، إلا أنه كان كافيا لبروز ظاهرة تتمثل في ظهور بعض الاسماء المهمة في عالم الثقافة نهلت من معين الثقافة الروسية حيث تلقت العلم هناك . ومن أبرز هذه الأسماء المؤرخ الفلسطينى بندلي جوزى ، وكلثوم عودة وهما من فلسطين ، وكذلك ميخائيل نعيمة الذى انتقل من روسيا الى الغرب ليسهم في حركة المهجر الأدبية قبل أن يعود إلى وطنه لبنان ويبقى هناك حتى وفاته ، وغنى عن القول أن هذا الرافد الأوربى كان تأثيره بدرجة أقل في حركة النهضة في مصر .



أما بريطانيا فإن دورها الأكبر لم يكن في حجم الدور الفرنسى في البداية ، إلا أنه تعاظم بعد دخول الإنكليز إلى العراق وفلسطين وشرق الأردن ، وهنا نسجل اختلافا جزئياً عن حركة النهضة بمصر حيث التأثير البريطانى بدأ التغلغل في النصف الثانى من القرن الماضى عبر سيطرة اقتصادية ثم احتلال عسكرى مباشر .

إن الدور « الملتبس » الذى قامت به دول الغرب الاستعمارية في بلاد الشام طبع خريطة النهضة هناك بطابع مختلف عما سارت عليه الأمور في مصر ، فقد كان خطر الاحتلال البريطاني والفرنسي غير منظور مقارنة بالهيمنة التركية القابضة على أرض سوريا الطبيعية . ومع الجهل النسبي في ذلك الوقت المبكر بدأت فرنسا وبريطانيا نشاطهما المختفي تحت عباءة التبشير والتعليم ، وكأنهما بلدان صديقان قد يكونان حليفين محتملين إذا مافكر العرب بالتحرر من الهيمنة التركية ، وهذا ماتم فعلا ابتداء من عام ١٩١٦ ، حين اندلعت الثورة العربية بقيادة الحسين شريف مكة ضد الأتراك ، وبدعم مباشر من جانب البريطانيين ، وبالمقابل كان العدو الواضح والمحدد هو تركيا بحكمها العثمانى الذى تميز بالجهل ، وتحول بعد ذلك إلى غطرسة قومية بعد بروز الحركات القومية المتطرفة فيها .

ولقد كان الأمر معكوسا تماما في مصر التى كانت ترزح تحت النير البريطانى فيما بدت تركيا مركز الخلافة الإسلامية حليفا محتملاً لموازنة النفوذ البريطانى ، عند أى محاولة للخلاص ، لكن هذا لم يحدث فبقيت تركيا بعيدة عن أذهان المصريين باعتبارها ليست صديقاً كاملاً .

ولم يكن هذا بلا تأثير على حركة النهضة في كل من الإقليمين ، فبينما اتخذت حركة النهضة في بلاد الشام طابع التحرر القومى الذى تطور من تحرر له محتوى دينى كما كان عند عبدالرحمن الكواكبى إلى تحرر قومى المحتوى ، فقد اتخذ التحرر في مصر طابعا دينى المحتوى برغم أهمية الدور التنويرى الذى لعبه الليبراليون المصريون ، وكان العامل الدينى إلى جانب الوطنية المصرية هما المحركان للمشاعر ، بينما كان العامل القومى العربى هو الذى يحرك الجماهير في بلاد الشام ، وذلك قبل فترة المد القومى التى تمثلت في الحركة الناصرية في مصر في الخمسينيات .

وعلى هذه اللوحة الإجمالية لمسيرة النهضة والتنوير في كل من مصر وبلاد الشام ، يمكننا إيراد بعض الملاحظات التى تبدو مفارقة أحيانا إلا أنها في الوقت نفسه دلائل على علاقة التفاعل التى لم تنقطع بين الإقليمين العربيين .



فقد ذكرنا أسماء لرموز عصر النهضة في بلاد الشام ممن زاروا مصر وبعضهم استقر فيها ، بل إن أثره الباقى وإنجازه الأساسي تم فيها ، وتكاد هذه الأسماء تشمل جميع رموز النهضة والتنوير في بلاد الشام ، إلا أن العكس ليس صحيحاً ، أي أن انجازات رموز التنوير المصري في معظمها لاسيما في مرحلة الصفوف الأولى من الرواد ـ ولا أتحدث عن



استثناءات ـ بقيت في المحيط المصرى والتربة المصرية التى يجب أن نذكر لها أنها كانت دائما قادرة على استيعاب ابداعات الأقاليم العربية جميعا .

ومن المفارقات الأخرى التى نوردها أن التيار القومى الذى قطع شوطا طويلا من العمل التنظيرى والتنظيمى في بلاد الشام لم يجد تعبيره القومى والمؤثر إلا عندما التقى مع تيار القومية العربية في مصر في الخمسينيات ، وأن التيار الدينى في مصر الذى أسهم فيه الشيخ رشيد رضا السورى انتقل الى سوريا بعد انتشار حركة الإخوان المسلمين في مصر أساساً ، إذ عادت إلى سوريا عن طريق الشيخ أمين السباعى في نهاية الأربعينيات .

وفي حقل الثقافة تبدو ظاهرة التفاعل أكثر وضوحا ، فأولاد تكلا وأبو خليل القباني وشبلي شميل وجورجي زيدان أبدعوا في مصر أساساً ، وما كان لهم أن يبدعوا على الأرض السورية لأسباب تتراوح بين العسف التركي ، وعدم صلاحيةالتربة لتقبل إبداعاتهم . ويبرز هذا في سيرة وابداع أحد أبرز رواد المسرح العربي : أبو خليل القباني الذي أبدع فنا عظيما في مصر إلا أنه أحبط حتى مات كسير القلب في سوريا .

أصداء التنوير انتقلت إلى الخليج عبر الصحف والمسافرين والحجاج والتجار

غير أن فترة العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن شهدت حركة متنامية بين مصر وبلاد الشام ، فقد أصبحت العروض المسرحية المصرية في بلاد الشام أمراً مألوفاً وطبيعياً ، وما أن طوت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى أصبح نسيج الثقافة العربية متداخلا ومتزايداً بصورة يصعب رصد التأثير والتأثر ، فذهب المدرسون الكويتيون إلى السنغال ، والمدرسون المصريون إلى خورفكان في الخليج العربي ، وانتشر أبناء العرب على مجمل الساحة يتفاعلون ثقافياً كما لم يحدث في القرنين السابقين على الأقل .

نظرة من كثب على الجزيرة والخليج العربي :

في الجزيرة والخليج العربي وصلت أصداء الاستنارة متأخرة نسبياً وأثرت في الأماكن المختلفة تأثيرات مختلفة .

فقد وصلت أصداء الاستنارة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الحجاج والمسافرين إلى أرض الحجاز ، بل استوطن بعض المثقفين من مصر والشام منطقة الحجاز وبدءوا بالتعاون مع بعض المستنيرين في إصدار نشرات منها على سبيل المثال (أمّ القرى) الجريدة التي أصدرها الشيخ يوسف ياسين لصالح الملك عبدالعزيز . وكذلك طورت بعض مدارس الفقه هناك كي تحتوي على العلوم الحديثة ، وفي الخليج نجد أن الصدى وصل الى هذه المنطقة مع بداية القرن العشرين ، فأسست النوادي الثقافية ، وكانت هذه النوادي تتلقف المنشورات العربية ، خاصة الجرايد والمجلات التي كانت تصدر في القاهرة أو دمشق ، وتسافر خصوصا من مصر عن طريق البحر الأحمر إلى الهند (بومباي) ، ومن الهند إلى الخليج . في هذه الفترة عرف المستنيرون من أبناء الخليج الكتابات العربية والكتاب العرب ، وعرفوا دعواتهم بأشكالها المختلفة ومنها الدينية المستنيرة ثم القومية بعد ذلك .

هذا النوادي الثقافية أخرجت بعض المستنيرين المحليين ، وربما على رأسهم في عشرينيات هذا القرن : عبدالعزيز رشيد من الكويت الذي أصدر مجلة الكويت في نهاية العقد الثاني من هذا القرن ، وكانت هي الرائدة في مجال الصحافة ، نشر فيها بعض الأفكار المستنيرة في التعليم والثقافة وأشكال الحكم . وكذلك رجل مثل عبدالله الزايد ، في البحرين الذي أصدر جريدة البحرين في نهاية العقد الثالث من القرن الحالي .

وقد حمل أمثال هؤلاء مشعل الريادة في خطوات التنوير الحديث . لقد كان صدى الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما يتردد في الخليج مع المسافرين والقادمين من تلك البلاد ، وكان بعضهم قد حمل ريادة التعليم على ضفاف الخليج من أمثال الشيخ حافظ وهبه - المصري - الذي عمل في كل من البحرين والكويت ، ثم انتهى مستشارا لفترة طويلة تناهز النصف قرن للملك عبدالعزيز بن سعود ، ثم أول سفير له في بريطانيا .

وكان حماس النخبة في الخليج والجزيرة كحماس إخوانهم على ضفاف النيل وبردى ، وفي بيروت وتونس والمغرب ، حماس وطني يتشوق الى الانعتاق والتحرر .

العقاد وطه حسين والمازني لم يظهروا من فراغ فجذورهم تمتد حتى المجددين الأوائل واتساع الطبقة الوسطى ساعد في انتشار أفكارهم



أما الجيل الثالث من أجيال الاستنارة في مصر والشام فقد وجد في الخليج أرضا أخصب مما وجد الجيل الأول والثاني ، حيث انتشرت في الخمسينيات والستينيات المدارس ، بل ذهبت مجموعات كبيرة من أبناء الخليج والجزيرة لطلب العلم في بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة ، وظهرت بداية التعليم العالي المحلي ، فأصبح هناك طه حسينيون وعقاديون ومازنيون من أبناء المنطقة ، متحمسون أشد الحماس لأفكار هؤلاء المستنيرين ، وظهرت أفكار تدعو إلى محاربة الفقر والجهل والمرض ، وتتخطى الأفكار الطائفية والاقليمية بين أفراد هذا الجيل .

لقد كان صدى التنويريين في الفكر والثقافة في الخليج كصداه في السياسة ، بل في كثير من الأوقات كان الاثنان يسيران جنباً إلى جنب . لقد نظر أبناء الخليج إلى الاستعمار البريطاني الجاثم على أرضهم وقتئذ كنظرة إخوانهم في مصر ، وكانت الأفكار القومية لها الصدى الأكبر حيث إن طبيعة صغر المساحة والسكان ، ووجودهم على الطرف الشرقي للوطن العربي أحد الأسباب الموضوعية لتمسكهم واحتضانهم الدعوة القومية ، بما تشمل من تحرّر سياسي واقتصادي واجتماعي .

وكان طريقهم إلى كل ذلك هو التعليم الذي ساعدت الظروف المادية الجديدة (النفط) على انتشاره وشموله ، وكان يعني تعليم الفتيان والفتيات على حد سواء ، وفتح المجال لتطوير الإدارة الحكومية ، وكذلك المطالبة بالتحديث السياسي ، وإصدار الدساتير المكتوبة لتنظيم الحياة السياسية .

□□□

تلك مسيرة الاستنارة ، وهذه أصداؤها ، وكما قلت في صدر هذا الحديث ؛ تفاعل الصوت مع الصدى كالنسيج الذي تختلف خيوطه في الاتجاه ولكنها في النهاية تشكل نسيجاً واحداً يضفي الدفء على الانسان .

غير أن الأسئلة الكبيرة تبقى معلقة ، فبعد كل هذه المسيرة وما تحتويه من نجاحات وعثرات ، ما زال جهد الاستنارة يحتاج إلى فعل ، وما زالت الثقافة العربية الشاملة تحتاج إلى جهود وعناء . يكفي أن نقول إننا حتى هذا اليوم لا يوجد في متناول أيدينا موسوعة عربية كاملة على غرار الموسوعات العالمية المعروفة ، أوَلَا تستحق هذه الفكرة كغيرها من الأفكار النيرة أن تخرج الى الوجود ولو بعد مائة عام من الاستنارة ؟!

محمد الرميحي

أقوال

■ « إننا نؤمن إيماناً لا شك فيه ، بأن المشاركة الشعبية خير يجب أن نتمسك به ، ونحرص عليه ، وندافع عنه باعتباره مبدأ أقره الدين الحنيف ، وجُبل عليه مجتمعنا الكويتي ، ومارسه منذ نشأته » .

سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت


● الشيخ جابر الأحمد

■ « إن كل شيء ممكن عبر الحوار ، وعبر اللقاءات الأخوية ، وعبر الصدق في النوايا ، أما غير ذلك من الأساليب ، فإنه لا يؤدي إلى شيء ، والناس في النهاية ستعرف من كان حريصاً على مصلحتها » .

سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح
ولي العهد ـ رئيس مجلس الوزراء الكويتي


● الشيخ سعد العبدالله

■ (ليس من الضروري أن ينحط الأدب ليصبح شعبيا ، وليس من الضروري أن يبقى الشعب حيث هو ، جاهلا غافلا ، يشقى بالخمول والجمود) .

طه حسين


● طه حسين

■ « لقد كانت الممارسات العملية لهيئات الحزب والدولة متخلفة عن متطلبات العصر وعن الحياة نفسها ، وكانت معدلات تفاقم المشاكل أسرع من معدلات القدرة على معالجتها » .

ميخائيل جورباتشوف

■ « أنا لم أخدع إمرأة في حياتي . . وكيف يمكن للرجل أن يخدع الصدق والفضيلة والإخلاص والتضحية » ! .

عمر أبو ريشة


● عمر أبوريشة .

■ « اللاعب الجديد يريد التحدي أثناء ممارسة اللعب ، وإذا لم يوجد هذا التحدي فمن النادر أن يستطيع اللاعب مواجهة الضغوط النفسية والجسدية في مباريات كأس العالم » .

كارلوس بيلاردو
مدرب المنتخب الأرجنتيني لكرة القدم

ويسألونك عن المستقبل!

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

عند الكتابة عن المستقبل ، فإن قدرا من التفاؤل أو التشاؤم يدخلان في تضاعيف الرؤية والاستنتاجات . وكاتبنا لم يخرج عن هذا السياق .

فلقد كانت خبرة الكاتب العملية مجدولة بثروته اللغوية ، وسيلته للتعبير عن مرحلة عاشها بروحه وجسمه وكيانه كله ، تلك المرحلة التي خلفت ندوبا عميقة في نفسه ، لينظر من خلالها إلى المستقبل .

ترى ما عساه يقول ؟

هل تستطيع أن تواجه المستقبل وعيناك في عينيه ؟

أما أنا فليست لي هذه الجرأة « النيتشوية » على النظر في العدم ، أو على الأقل لا أستطيع حتى النظر إلى المستقبل في غير استحياء وأمل قتيل ، فورائي في الماضي القريب سلسلة من الهزائم تعوي فيها « . . والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع . . » سورة المائدة الآية (٣) .

والمستقبليات بعامة رجم بالغيب . لعلها البديل والتعزية عن المستنقع الذي نعيش . إنها أقرب إلى صنعة منجمات الفجر منها إلى الحديث الجدي ، وإنما يلجأ الإنسان إليها في الأزمات ، لعله يتبين لنفسه مهربا ، أو يجد الطريق إلى غد ، فهي أفيون المعذبين ! ودعونا هنا من التخطيط العلمي للمستقبل ، فذلك من دنيا أخرى كم نتمناها ونركض وراءها ، ولكننا نقع دوما في التنجيم ، وفي إسقاط بعض العناصر الأساسية من الصورة ، لعلها تبدو أكثر قبولا !

بين التنجيم والتفاؤل المستقبلي جعلت أقرأ الكثير عن المستقبل العربي . كنت أستعيد دون أن أدري أجواء الخمسينيات والستينيات ، وأبني لنفسي بدوري - ولو من المقوى - تصورا مستقبليا للتسعينيات المطلة من هذا القرن ، لا أريد أن أنتهي في آخر العمر ومرارة اليأس في فمي .

ومضيت بإرادتي مع المتفائلين .

في مشارف التسعينات

إنهم يتحدثون عن مؤشرات التغيير ونحن على مشارف التسعينيات ، يعدونها طيور كولومبوس التي أرقصت قلوب ملاحيه !

يتحدثون عن الانتفاضة المباركة في تلك الأرض المنكوبة المباركة . يعلقون عليها من الآمال ما تنوء به . يصرخون بها أن تتقد وتستمر وهم على مقاعدهم جلوس يدخنون ، يودون أن يعتقدوا أن حركة آلاف من الأطفال قادرة على أن تحرك ١٩٠ مليونا من النيام ، نوم الخدر ! وأن حجرا يلقى في القدس أو غزة سوف يزلزل الطغيان الجاثم ما بين المحيطين .

ـ ولعلهم يرددون ذلك باقتناع يشبه القناعة بالبديهيات . ولقد كان ذلك في الستينيات ، في عصر الرومانسيات والمثاليات المطلقة صحيحا وممكنا ، أما اليوم ، ألم يختلف « العصر » ؟ فالناس غير الناس ، والحجارة غير الحجارة .

ويتحدثون ، في تفاؤل ، عن توقف النزيف في حرب الخليج ، وعن النصر ، وما كسب الجيش العراقي من الخبرة المرة في القتال الطويل ، وما عانت الجماهير من أهوال الحرب ومن التكاليف ، وما اقتطع من خبزها ودمائها فيه .

ـ إن ركام الشهداء وسهد الليالي البيض من الغم ، وصراخ اليتامى المجروح لم يذهب سدى . لقد اختزنت تجاربها بين الشغاف والقلب ليوم موعود .

وإذا كثرت الملاءات السود في الأسواق وهي أكياس مملوءة حزنا فهي عائدة إلى بيوتها ملأى بالفرح !

ويتحدثون برضا لا يخفونه عن عودة مصر إلى أقطار الجامعة العربية أو عودة هذه الأقطار إليها . الابن البار عاد أخيرا إلى ظل البيت الأبوي ، أو عاد البيت إليه ، لا فرق ! والشمل التأم بعد جرح دام ١٢ سنة ، والشقاق الأخوي انهار بين الزغاريد . وتركنا « الكامب دافيد » أن تموت على مهل في الزاوية كالكلاب . لم نقتلها عمليا ولكن قتلناها صفحاً وغفراناً لتقود الشقيقة الكبرى بعد طول توقف معركة السلام .

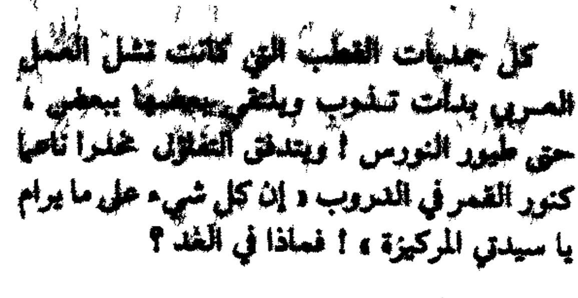
ويتحدثون عن تزحزح بعض النظم عن « دوغماتية » الحزب الواحد ، وعن استعدادها المتزايد لسماع الرأي الآخر ، ويستشهدون بانقلابات السودان واليمن الجنوبي وتونس ، للبرهنة على أن ثمة انعطافا واضحا في مسيرة الوطن العربي . « البيرسترويكا » العربية بدأت إذن ، والرأي الآخر لن يكون من بعد حبيس الصدور أو السجون أو القبور !

ويتحدثون عن التكتلات الإقليمية التي بدأت تتجمع ، ولو من وراء الجامعة العربية وبعيدا عن جدرانها المتهدمة ووظائفها التي أكلها العث بعد خمس وأربعين سنة ! دول مجلس التعاون الخليجي الست جاءت في الطليعة ، ثم جاء مجلس التعاون العربي في المشرق ، والوحدة المغاربية في المغرب في يوم واحد ، كأنما كانا على موعد . والتقى النار والحطب والثوري بالرجعي على مائدة واحدة . وتنزل التفاهم الأخوي عليهم من السماء ، فهم على الإجماع والتنسيق ، وانتهى عهد النزاع والفرقة إلى غير رجعة . الزمن العربي الرديء انقشع . ومن حق العصافير أن تنطلق منتظرة الفجر الجديد . إن شيئا في الأفق يشع لا يتجاهله إلا الأعمى أو المكابر .

إذن فماذا سيكون في المستقبل ؟

لقد تحول الجو العربي اليوم إلى إشارة استفهام كبيرة . ولا يكثر السؤال إلا في أيام الأزمات والتحول . .

وكثيرٌ من السؤالِ اشتياقٌ
وكثيرٌ من ردِّهِ تعليلُ !



كل جليديات القطب التي كانت تشل العمل المصري بدأت تذوب ويلتقي بعضها ببعض ، حتى طيور النورس ! ويتدفق التفاؤل خدرا ناعما كنور القمر في الدروب « إن كل شيء على ما يرام يا سيدتي المركيزة » ! فماذا في الغد ؟

تيارات الأعماق

ولست أنكر كل هذا الذي عنه يتحدثون . كله حسن وجميل ويملأ الصدر تفاؤلا . ولعلي أقدّسُ الأيدي التي تعمل على بعضه وتصنعه . إنها دون شك تصنع الغد الأفضل !

لكن ! وكم أكره لكن هذه التي تفرض نفسها بعد كل عمل طيب ! لكن ألا تلاحظون أن كل هذه الإرهاصات « سياسية » ؟ وهذا الدفق من التفاؤل والنور يدخل من باب واحد هو باب السياسة والأبواب الأخرى مغلقة أو تكاد ؟

والسياسة نبت الشيطان ، وجانب التفاؤل فيها رواغ زئبقي . وقد يصور ما نريد أن يكون أكثر بكثير مما يصور ما هو كائن ؟ وكل هذه التطورات التي سلفت نابعة من أرض المفاجآت وليست نتيجة تطور الواقع الذي نعيشه !

ولست أدري فيم يتراكض الناس إلى السياسة الطافية على السطح ، ويتركون ، أو ينسون ، تيارات الأعماق ، وهي صانعة السياسة . فهل ثم ديمقراطية مع الأمية والفقر ، أو ثم وحدة مع التمزق الطائفي والتصادم الإقليمي المتزايدين ، أو ثم تعاون جماعي مع وجود النظم الاستبدادية ؟ وهل ثم تنمية دون قواعد لها في المجتمع ؟ أضف إلى هذا أن سياستنا ـ ككل دول العالم الثالث ـ مستعارة !! متقلبة على الرغم منا .

ولست في هذا أميل إلى التفاؤل أو التشاؤم ولا التكذيب أو التصديق أو الجدل ولكنني أعرف أن خيوط السياسة في المنطقة ليست كلها في أيدينا ، ولأنني أعرف فإنني أخشى رقصات



الشيطان . إنها قوى ليست أبدا بالمحايدة ولا مجنونة ، ولكنها محسوبة بالحاسوب « الكمبيوتر » ، تلعب بمستنقعات الدم والنار في أرضنا الشاسعة ، وترسم لها مصائر غير المصائر ، وأقدارا غير الأقدار ، وقد تصل ـ ولعلها واصلة غدا ـ حد تغيير الخرائط وإعادة الترتيب !! وكل شيء جاهز لذلك ما دامت اللوحة السياسية لدينا معلقة في ليل الأهواء « الشخصية » ، غير مرتبطة الجذور بالأعماق الحقيقية والثابتة للتطور السياسي ، ولا صلة لها بها ، فبعد أكثر من ستين سنة من آخر تخطيط للمنطقة الخطرة بيد قوتين لم يعد لهما اليوم شيء من القوة ، وبعد أن نضجت العصا الأمريكية الغليظة (اسرائيل) ، واستعدت ككل عميل رخيص ، حتى لإطلاق الصواريخ البعيدة المدى والنووية ، في حين تُكبح الصواريخ في باقي العالم ، وبعد أن وصلت المنطقة بالإرهاق السياسي والاقتصادي والقتل والقتال حد السيولة والعجينة القابلة لأي تشكل ، لم يعد لتسويات الحرب العالمية الأولى أن تصلح لأطماع الإمبراطوريات الكبرى الناشئة وهي على عتبة القرن الحادي والعشرين ! إن شيئا ينضج على المطابخ الأمريكية الهادئة ، ولنا أن نشوى نحن على نار هادئة أو حامية . ماذا في ذلك ؟

ويعيق العصر الصناعي ، ويدخر في ترساناته مشروعات التقابل النووية ؟

لقد أطلقت هذه الأخبار تباعا خلال الستين الأخيرتين ، فلم يهتز جفن عربي لخطورتها . أهل الكهف سبقونا إلى النوم الطويل ، لكننا ننام كأننا محميون من كل خطر ، فهل هزت هذه الأخبار المتفجرة سرائرنا ؟ الحيوانات تستشعر الخطر وتهرب منه ، ولها ردود أفعالها واستجاباتها له ، فهل دفع هذا كله العقل العربي إلى الحركة ، أو أنه « واحدي التفكير » ، لا يستوعب الأمر ونقيضه ، ولا يستوعب البدائل ؟ وما دمنا على خط السلام فمن « العيب » أن نفكر بخط الحرب ، مع أنهما وجهان لعملة واحدة ، وأحدهما يخرج من صلب الآخر !

معنى الغد !

- والإقليمية ؟ حدثونا عنها ، وقد بلغت حدها من التجذر والتبجح ، وبعد أن ازدادت الحواجز بين الأقطار العربية فمن يريد العبور حتى ولو كان كتابا فهو في حاجة إلى سلالم عالية تعبر به من فوق الأسوار العالية ، وتتجاوز أنانية الحكام وقلم الرقيب وسكين الجمارك وسياج المخابرات وسطوة الارهاب الفكري . . هل بدأت هذه الإقليمية تتصدع ؟ لقد قامت الاتحادات الإقليمية الثلاثة ، وصفقنا لها ، فهل أقنعتنا أن بناء المستقبل القومي لا يقوم على أساس قطري خالص ، وأن التوحد القومي لا يصطدم أبدا مع التوجه الإسلامي ؟ وهل استوعبنا - على الأقل - تجارب أوربا التي تتساند لتقابل التسعينيات كتلة واحدة ؟ وهل أمنا أن هذا التوجه ضرورة قومية مصيرية ؟ لن أجادل في هذه التكتلات أهي أضعفت الجامعة العربية أم زادتها مرونة وقوة ، فالأمر في النتيجة سواء ، ولكنني أتساءل : هل أعددنا - أو نحن في السبيل - إلى إعداد العدة لاستقبال القرن المقبل وفيه خمس كتل كبرى متزاحمة بإضافة اليابان والصين وأوربا إلى العملاقين الموجودين اليوم ؟ وهل ثمة من يُعنى بفهم معنى الغد وفيه هذه القوى الضخمة ، ويعد نفسه للتعامل معها ؟

دعونا بعد كل هذا من التساؤل عن بؤر الخطر والتوتر في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، بين أقصى جنوب السودان وأقصى الصحراء الموريتانية وأقصى الجبال في المشرق العراقي الإيراني ، هل ثمة موقف موحد يتبلور لمواجهة هذه البؤر ؟

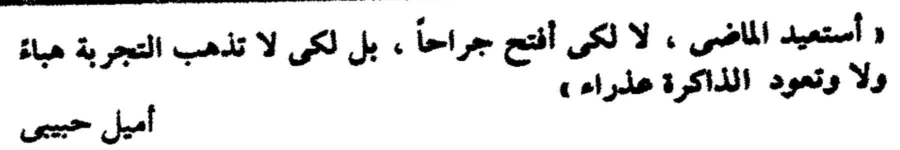
ولننس مؤسسة القمة العربية التي بدأت منذ خمس وعشرين سنة (أو أكثر من ذلك) ، وهل في الأفق ما يؤكد أنها ستصبح أكثر فاعلية وأصلب قرارا . . فيما يجاوز العناق والقبلات عند اللقاء والفراق .

ودعونا من الحديث عن العصافير المهاجرة والأدمغة الهاربة أيان مرساها ؟ وعن التردي الصحي متى يكافح ، وعن جبروت التقنية والهوة القائمة بيننا وبينها ومتى تردم ، وعن . . وعن . . .

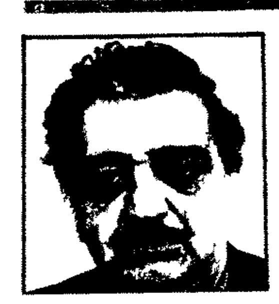
إن الحديث ذو شجون . ولقد كنا نتذاكر بعضه أو مثله ، فقام أحد الحصور وقد مل التشاؤم ليقول :

- « لا تفكر ! الله يدبر ، بكرة يدبره رب بكرة ! »

ومن تفكر في الدنيا ومهجته
أقامه الفكر بين العجز والتعب !□


« أستعيد الماضي ، لا لكي أفتح جراحاً ، بل لكي لا تذهب التجربة هباءً ولا وتعود الذاكرة عذراء »

أميل حبيبي



العرب والتحدي العلمي

بقلم : الدكتور سعود عياش

شهد العالم في نصف القرن الماضي ثورات علمية كبرى ، ويتوقع كثيرون أن تشهد السنوات الباقية من هذا القرن نتائج وتراكمات علمية ، تفوق ما شهده العالم طوال القرن كله . أين نقف نحن العرب وسط هذا التطور ؟ وكيف نواجه هذا التحدي الذي سيحكم على من لايلحقه بالبقاء أسيرا للتخلف ؟ هذا مايعرض له هذا المقال .

من نافل القول أن يقال بأن العرب يواجهون تحديا علميا كبيرا في التسعينيات ، فهذه حقيقة واضحة ملموسة ، شأنها شأن التحديات الحضارية الأخرى التي تواجهنا ، غير أن التحدي العلمي المطروح ليس ذا طابع كمي ، يتمثل في تخلف المؤسسة العلمية العربية في بعض المجالات ، أو في وجود فجوة علمية ضيقة ، تفصلنا عن العالم المتقدم ، يمكن تجاوزها بتكثيف الجهود العلمية كميا ، إن التحدي المطروح نوعي الطابع ، إنه التأسيس لموروث علمي معاصر .

فالمؤسسة العلمية العربية تعاني من ضعف شديد وشبه غياب ، سواء على الصعيد العربي أو الصعيد العالمي . وليس لهذه المؤسسة أي آثار ملموسة في إطار المعرفة الكونية . ولا يشفع لهذا الغياب جهود فردية معزولة هنا وهناك ، نسمع عنها بين الحين والآخر .

وحين نتحدث عن التحدي العلمي نقصد بذلك تخلف الواقع العلمي العربي ، مقارنة بالواقع العلمي العالمي ، من حيث الإسهام الفعال في تطوير المعارف والعلوم الأساسية ، والعجز عن تمثل الإنجازات العلمية والتقنية واستيعابها، وتطويعها لمقتضيات تطوير الواقع العربي ، وتدني مستوى إسهام المؤسسة العلمية العربية في رفد البنى الإنتاجية في أقطارها بالمدخلات اللازمة لتطويرها والارتقاء بمستوى أدائها .

والواقع أن العرب لا يواجهون في العقد القادم تحديا علميا فقط ، بل إن التحديات مطروحة على كل الجوانب الحياتية الأخرى . وهي تحديات لا تقل حدتها عن مستوى حدة التحدي العلمي . فإذا استعرضنا واقع الأقطار العربية نجد أقطاراً منها مثقلة بالديون ، تعاني موازين مدفوعاتها من خلل بنيوي ، في ظل

سيادة النمط الاستهلاكي ، وتراجع القاعدة الإنتاجية ، وعجزها عن توفير الأساسيات الحياتية .

وتعاني الأقطار العربية أزمة بطالة حادة ، حيث تعجز البنى الاقتصادية والاجتماعية عن استيعاب ملايين الشباب ، وتوظيف طاقاتهم وإمكانياتهم بصورة مثمرة . ويعاني الواقع العربي أزمة فكرية ثقافية ، تتمثل ، في بعض جوانبها ، بانحسار منظومة القيم المعنوية ، وغياب المثل الباعثة على العطاء والإبداع ، وتشوه الثقافات السائدة ، وتقوقعها ضمن أطر إقليمية ضيقة ، أو نكوصها نحو الماضي . إن الواقع العربي يبدو كأنه يعيش في عالم غير العالم ، وعلى أرض غير الأرض . وفي إطار واقع كهذا تعيش المؤسسة العلمية العربية أزمة خانقة ، وتواجه تحديات كبيرة ، يفرضها تخلف واقعنا ، والتطور السريع للمعرفة الكونية .

العلم والتقنية في العالم المعاصر

يجدر بنا التأكيد على أن العلم والتقنية أصبحا معطيين أساسيين لبناء أي واقع اقتصادي اجتماعي ، قادر على حماية نفسه ، وتوفير حياة كريمة لأفراده . ولا يمكن في الزمن الحاضر ، لأي تشكيل حضاري ، أن يملك مقومات الاستمرار والإسهام في التطور الحضاري العالمي ، بدون الاعتماد بصورة مكثفة على العلم والتقنية . إن المقومات التقليدية للبنية الاقتصادية ، وأهمها رأس المال والعمالة والمواد الخام ، لا جدوى منها في غياب العلم والتقنية وبالعكس ، فإن توافر العلم والتقنية يمكن أن يغني عن النقص في أي من المقومات التقليدية .

يحتل العلم والتقنية مكان الصدارة بين مقومات الإنتاج ، وبدونهما لا يرجى إنجاز الكثير ، ولا توفير الأساسيات الحياتية للأفراد . والأدلة في العالم كثيرة ، وأكثرها وضوحا تجارب دول شرق آسيا التي تمكنت في عقود قليلة ، من الوقوف على قدم المساواة مع القوى العملاقة . ومهما تعددت التفسيرات والنظريات ، لأسباب التقدم الكبير الذي تحقق في تلك الدول ، فلا يمكن إنكار الدور الريادي للعلم والتقنية في ما حدث . لقد شاع رأي فترة طويلة ، وربما ما زال شائعا في بعض الأوساط ، يقول : إن اليابانيين كثيرا ما اقتنصوا أفكار الآخرين وإنجازاتهم العلمية ، وأنهم سرعان ما طبقوها وترجموها إلى نتاجات مادية . وبغض النظر عن صحة هذا الرأي فإنه يظل دليلا على الأهمية الفائقة للعلم والتقنية في العالم المعاصر .

الواقع العربي

لا أحد ينكر أن عدوى الثورات العلمية والصناعية التى شهدتها أوربا قد انتقلت إلى الواقع العربي بوسائل مختلفة . ولا ينكر أن هذا الواقع استجاب بصورة إيجابية لإفرازات تلك الثورات . وتقف تجربة محمد علي في مصر ، في أعقاب الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، شاهدا على الاستجابة للتغيرات العلمية والتقنية والاستعداد لتمثلها وتطويعها في إحداث نهضة حضارية . وشهدت فترة ما بين الحربين العالميتين محاولات جادة ، لتطوير الواقع الإنتاجي العربي ، باستخدام معطيات العلم والتقنية ، غير أن تلك التجارب أجهضت لأسباب خارجية وداخلية . ومع أننا لسنا في معرض مناقشة ما حدث فإننا نود التأكيد على أن العلم والتقنية لم يحتلا موقعا ذا أهمية في الفكر العربي السائد ، بل غالبا ما عُدّا تحصيل حاصل ، وأمورا تتكفل بها الأيام وعوادي الزمان !

إن احتلال العلم والتقنية مكانة دونية في إطار البنية الثقافية العربية يشكل إدانة لهذه البنية ، ويعكس عجزها عن التواصل مع ما يحدث على الصعيد العالمي . والأخطر من ذلك هو أن تكون المكانة الدونية للعلم والتقنية نتيجة تعارض بين الثقافة السائدة ومقتضيات تحقيق تقدم علمي تقني . وقد لا نجانب الحقيقة في القول بأن البيئة الثقافية العربية تتسم ، عموما ، بنظرتها الدونية للعلم والتقنية ، وربما بتعارض منهجيتها مع منهجية العلم .

إن المنهجية العلمية أبرز سمات العلم وضوحا ، وهي تتعامل مع الأمور من منطلق عقلاني ، يخضع كل جانب معرفي للتجربة والتمحيص والنقد . والمعرفة العلمية نفسها تستند إلى التطور الدائم ، وطرح مفاهيم وافكار جديدة ، تستند إلى موروث من الحقائق التي سبق أن خضعت للتجربة والبرهان . وحدود المعرفة العلمية تفرضها أحدث الإنجازات ، فهي ليست محدودة بقرارات ولا تصورات مسبقة . وتعنى المعرفة العلمية بتفاصيل الأشياء ودقائق الأمور ، وتسعى لتقديم إجابات واضحة محددة .

إن المعرفة العلمية ومنهجيتها تتعارضان مع الفكر السكوني والتصورات المسبقة الجاهزة والأحكام القطعية وأحكام القيمة . كما أنهما تتعارضان أيضا مع الخرافة والأسطورة ، ولا مكان في إطارهما للأهواء الشخصية « والشطحات » القائمة على الخيال والتصور وافتراض ما يجب أن تكون عليه الأمور . إن المعرفة العلمية ومنهجيتها تؤسسان لفهم العالم المادي ، واستنباط القوانين الفاعلة فيه ، واستخدامهما للارتقاء بقدرات الإنسان ، وتعزيز دوره ، ورفع مسوى حياته .

تعيش الثقافة العربية السائدة حالة استلاب إزاء العلم والتقنية ، فهي من جانب تنبهر بإنجازاتهما الضخمة ، ودورهما الريادي في تشكيل صورة العالم المعاصر ، وتوفير الحلول العملية لجملة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، وتوسيع آفاق المعرفة الإنسانية وحدودها . ومن جانب آخر ، وإزاء العجز عن امتلاك ناصية العلم والتقنية ، تسود المواقف العدميه إزاءهما ، ويتمثل ذلك بالتركيز على سلبيات التطور والاستخدام المنفلتين لمنجزات العلم والتقنية . وربما كتب في الأدبيات الشائعة عن الجوانب السلبية لاستخدامات العلم والتقنية وأخطارهما المحتملة على « إنسانية » الفرد ، ومستقبل الحياة على الأرض ، أكثر مما كتب في صالحهما . ويقينا ، فإنه من الأسهل سرد قائمة من الاتهامات والسلبيات المحتملة ، بدل الغوص في تفاصيل الأشياء ودقائقها . إن الحديث عن سلبيات الطاقة النووية والهندسة الوراثية ومخاطرهما أسهل ، بما لا يقارن ، من محاولة فهم أي من تفاصيلهما وتشعباتهما . وهذا الخيار السهل هو ما اختارته الثقافة السائدة .

إن إحدى السمات المعاصرة للمعرفة العلمية هي أنها أخذت تعزز شروط السيطرة على توجهات العلم والتقنية والسلبيات الناشئة عن استخدامهما . ويزداد هذا الأمر تبلورا مع ازدياد

انتشار المعرفة العلمية في أوساط الجمهور . إن الحركات الجماهيرية المستندة على المعرفة العلمية أخذت تؤثر في القرار السياسي ، وتفرض توجهات محددة لمسيرة المعرفة العلمية والتقنية . وإذا كانت « الايديولوجيات » عموما قد فشلت في تشكيل قوى اجتماعية ، تحد من سطوة « الايديولوجيات » نفسها وانفلاتها ، وبخاصة حين يجري تطبيقها على صعيد الواقع العملي ، فإن المعرفة العلمية بدأت خطوات ملموسة في هذا المجال . فالحركات الجماهيرية المعارضة للتوسع في استخدام الطاقة النووية ، والمطالبة بالحفاظ على البيئة ، تشكل قوى ضاغطة ، لتوجيه مسيرة المعرفة العلمية ، بما يتلاءم وحاجات الإنسان ، دونما اعتبار للصنمية التي تسبغ أحيانا على المنجزات العلمية . ففي إطار المعرفة العلمية لا مكان للأصنام ولا الصنمية . وإذا لم يكن في الأمر غرابة فإدراكنا أن المعرفة العلمية لا تحتفظ بأصنامها ، ولا تسبغ عليها هالة من القدسية ، فهل نستغرب ، والأمر هكذا ، وجود عدد كبير من متاحف العلم الواسعة ؟

إن التحدي العلمي المطروح في التسعينيات هو تحدي التأسيس للمنهجية العلمية ، واحترام قدرات العقل البشري ، والتخلي عن العموميات والأفكار الضبابية والخرافات والأساطير . إنه تحدي الاقتراب من العالم المادي ، وتلمسه ، والدخول في عوالمه الدقيقة المتشعبة،وهو تحدي الجهود المضنية والمثابرة في البحث عن الحقائق . كما أنه تحدي تشكيل منظومة جديدة من القيم الأخلاقية والمعنوية ، توجه جهود الأفراد وطاقاتهم للإجابة عن الأسئلة ، وكشف الغموض ، وتبيان الحقائق .

المجالات العلمية في التسعينيات

إذا حاولنا استقراء التطورات العلمية في التسعينيات ، على الصعيد العالمي ، وجدنا عددا من المجالات التي ستشهد إنجازات كبيرة إن على صعيد المعرفة العلمية الأساسية أو على صعيد التطبيق العملي . وهذه المجالات هي التقنية الحيوية ، وعلوم الفضاء ، والالكترونيات وتقنية المعلومات ، والمواد الجديدة والبيئة . وستحتل هذه الموضوعات حيزاً أوسع في منظومة المعارف الكونية ، وتسهم بنصيب أكبر في اقتصاديات الدول المتقدمة .

ففي مجال التقنية الحيوية والهندسة الوراثية ينتظر أن يتسع نطاق تطبيقاتها العملية في الزراعة والصناعة والطب . فالمعارف العلمية التي تراكمت في هذا المجال تجاوزت مستوى الكتلة الحرجة ، وأصبح بالإمكان نقلها من المختبرات إلى المصانع . وسنشهد في مجال الزراعة تطوير سلالات من المحاصيل ، ذات

إنتاجية عالية ، وقادرة على مقاومة الأمراض والآفات الزراعية ، وذات قدرة أكبر على العيش في الأراضي الفقيرة ، وتحمل ملوحة المياه ، ومقاومة التغيرات المناخية . والواقع أن بعض التجارب الحقلية في هذا المجال قد بدأت ، وينتظر أن يتسع نطاقها ، وتدخل عالم الاستخدام التجاري . وفي مجال التطبيقات الصناعية ستستخدم التقنية الحيوية في إنتاج البروتينات والأعلاف واللقاحات والأسمدة والمبيدات على نطاق واسع ، كما ستستخدم في إنتاج « الايثانول » كوقود أولي ، وتطوير الكتلة الحيوية لتوليد الطاقة . وعلى صعيد الطب يمكن الإشارة إلى توسع استخدامات التقنية الحيوية في صناعة الانسولين والبروتينات والمضادات الحيوية والهرمونات والأنزيمات .

وفي مجال علوم الفضاء تتضافر الجهود العالمية ، لتوسيع نطاق استخداماته السلمية في المجالات القائمة حاليا ، مثل تيسير سبل الاتصالات ، وجمع المعلومات عن موارد المياه ، ومصادر الثروات الطبيعية ، والتعرف على أحوال البيئة والمناخ ، ومراقبة الأراضي المزروعة ،والتوسع في العمليات الصناعية . وسيشهد العقد القادم إقامة محطات فضائية دائمة مأهولة ، توفر الأساس للقيام بالمزيد من التجارب العلمية ، والتحضير لإقامة صناعات فضائية ، واستكشاف الكون المجهول .

يعاني الواقع العربي تخلفاً شديداً في هذا المجال ، ذلك أنه لا يمكن الركون إلى قمر الاتصالات (عربسات) ، أو مشاركة ملاحين عرب في رحلات فضائية ، على أنها إنجازات أساسية . ولا يشكل التقدم العلمي في هذا المجال تحديا في الاستخدامات السلمية للفضاء فقط ، بل الأخطر أنه يشكل تحديا أمنيا وعسكريا . فقد تمكنت « اسرائيل » من وضع قمر صناعي في الفضاء ، وتخطط لإطلاق قمر آخر ، مما يمنحها ميزات كبيرة لصالحها في الصراع معها . ويقتضي الدخول إلى عالم الفضاء توافر موروث علمي ضخم في صناعة الصواريخ وقاذفات المركبات الفضائية . وحتى الآن عد هذا المجال من المحرمات على العرب ، إذ ما أن يبادر قطر عربي إلى تطوير قدراته فيه حتى يتعالى الصراخ في الغرب ، توطئة لإجهاضه لاحقا .

وفي حقل الالكترونيات وتقنية المعلومات ستبذل جهود كبيرة ، لزيادة قدرات الحواسيب الآلية على معالجة المعلومات ، مثل تطوير نظم المعالجة الموازية ، وتطوير تقنيات جديدة تخزن مقادير أكبر من المعلومات . كما سيزداد استخدام الالكترونيات والنظم الخبيرة في الصناعة ، من خلال التوسع في استخدام «الروبوتات» وانتشار استخدام عمليات التحكم الآلي في الصناعة ، لزيادة الإنتاجية ، وتحسين نوعية المنتجات . وسيشهد القطاع الزراعي استخداما أوسع للالكترونيات والنظم الخبيرة في مراقبة المحاصيل ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها وتوفير شروط نجاحها .

وفي مجال المواد الجديدة سيجري التوسع في إنتاج المواد المخلقة صناعيا ، لإحلالها مكان المواد التقليدية ، فالكثير من هذه المواد ، مثل المواد البلاستيكية والسيراميكية ،تتمتع بخصائص فيزيائية تجعلها أكثر ملاءمة للاستخدام من المواد التقليدية ، وأكثر قدرة على تحمل ظروف التشغيل التي تفرضها التقنيات الحديثة . فخصائص مقاومة التآكل ، وتحمل درجات الحرارة العالية ، والتوصيل الفائق للكهرباء ، لا تتوافر في المواد التقليدية ، مما يحد من إمكانيات استخداماتها . غير أن المواد الجديدة تتمتع بهذه الخصائص ، كما يمكن تشكيلها حسب الطلب ، لامتلاك الخاصية المطلوبة .

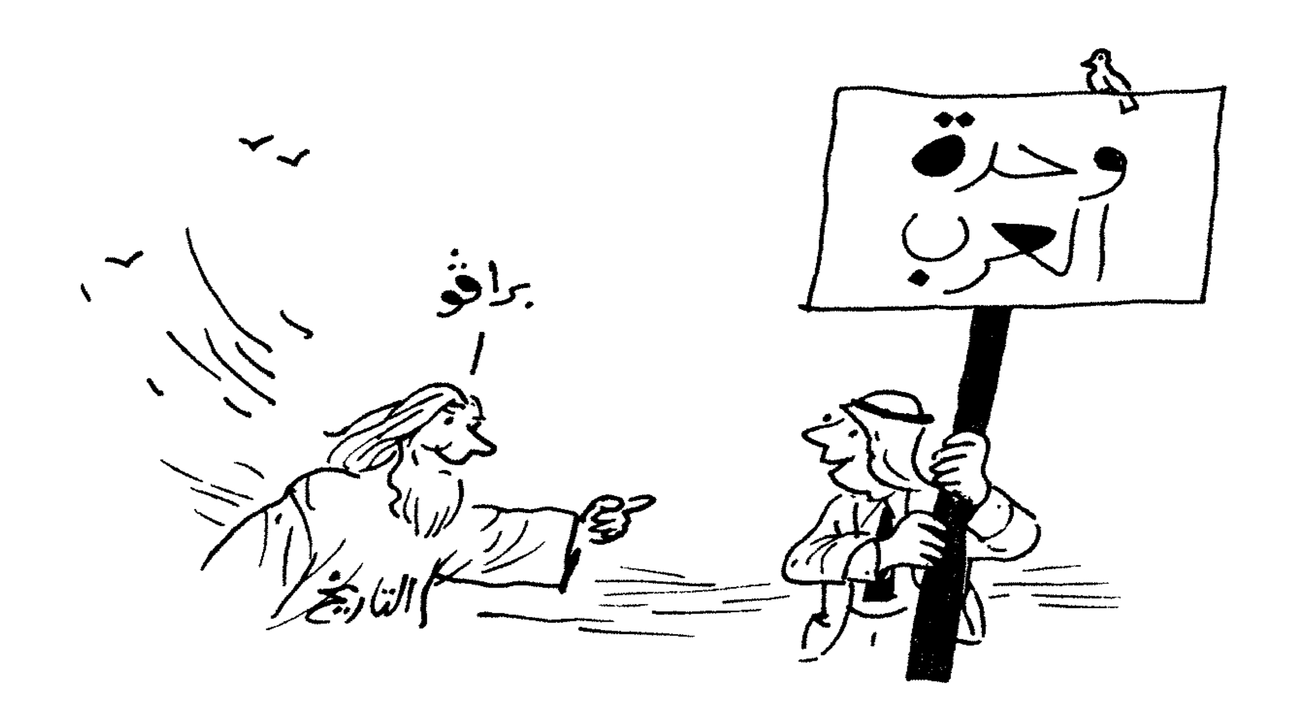
وسيفتح الاهتمام المتزايد بالبيئة والتوازن « الايكولوجي » آفاقا واسعة ، لتطوير المعارف

العلمية ، وطرح الحلول العملية لجملة الأخطار البيئية التي فرضها التقدم العلمي والتقني . فالاهتمام بثغرة الأوزون يدفع إلى تطوير منتجات كيمائية بديلة للمركبات الهالوجينية التي تعد سبب اضمحلال طبقة الأوزون . والاهتمام بظاهرة ارتفاع درجة حرارة الأرض ، بسبب زيادة تركيز نسبة ثاني أوكسيد الكربون في الجو ، يشكل حافزا للبحث عن بدائل مأمونة للطاقة ، وزيادة كفاءة استخداماتها . كما أن الاهتمام بالملوثات والمواد الخطرة يدفع نحو تطوير عمليات صناعية ، أكثر أمنا وأقل خطرا على الإنسان والبيئة .

تحديات خطيرة

تلك هي المجالات التي ينتظر أن تشكل الميادين الرئيسة للنشاط العلمي في العقد القادم . غير أنه يجدر التنويه بأن سرعة التحولات العلمية ، وكثافة الجهود العلمية العالمية ، قد يحملان مفاجآت ليست في الحسبان . فقبل أشهر قليلة فاجأ باحثان العالم بإعلانهما عن اكتشاف طريقة لتحقيق الاندماج النووي البارد . ومع أن البحوث اللاحقة أثبتت عدم صحة الادعاء ، فإن المفاجأة أذهلت الجميع ، وبينت أن حدود المعرفة العلمية لاتحدها تصورات مسبقة ولا أحكام جاهزة .

وفي الخلاصة نقول : إن الواقع العربي يواجه تحديات خطيرة على الصعيد العلمي ، وأن تطوير هذا الواقع لا يمكن تحقيقه إلا بانفتاحه على المعارف العلمية والتقنية ، وانتهاج منهجها وسبلها وفلسفتها . إن ذلك يقتضي - يقينا - إحداث تحولات جذرية في النظر إلى العلم والتقنية ، وإحداث تغيرات بنيوية في الثقافة السائدة . وتلك تحديات تسهل معها تحديات كثيرة نواجهها . □



العَربُ وَالعَالَم

بقلم : الدكتور سامي منصور*

«في نهاية هذا القرن تكرس انقسام العالم إلى قوى ومناطق نفوذ وصراع ، ويظل الوطن العربي منطقة بالغة الحساسية ، وفي بؤرة الصراع العالمي ، نظراً لأهميتها الجغرافية وثرواتها الكامنة ».

ما علاقة العرب بالعالم في هذا العقد الذي أطل علينا ؟ وما تأثيرات التغيرات الحادثة في الشرق والغرب على علاقة العالم بنا ؟ هذه محاولة للإيضاح .

إن عملية قراءة المستقبل لسياسات الدول المتقدمة عملية بسيطة ، أو على الأقل ممكنة ، بأقل قدر من الخطأ المحسوب ، وذلك نتيجة توافر كل العناصر ، من معلومات إلى نظم وتقاليد ، تجعل تطبيق قواعد علم المستقبليات عملية رياضية ، وذلك عكس الوضع في دول العالم الثالث ، ومن بينها الأقطار العربية ، حيث تغيب المعلومة ، وإن وجدت فهي متعددة ، بتضارب يفقد الرقم احترامه ، ثم دلالته . ومع ذلك فمحاولة قراءة المستقبل

* كاتب سياسي من القطر العربي المصري .

ضرورة على الأقل للترشيد أو التحذير ، وإن كانت احتمالات الخطأ فيها أكبر . !

وأظن قبل محاولة قراءة مسيرة الأحداث في التسعينيات أنه لابد من تسجيل عدد من الملاحظات :

١ ـ إن الأمل في الغد ضرورة للشعوب ، لاستمرار الحياة . لكن هناك فارقا بين الأمل والحلم ، فالأول يقوم على معطيات من الواقع ، بينما الثاني يعتمد على الخيال والأوهام . وتغيير الواقع إلى الأفضل حق ، بينما مصاحبة الخيال خطر بالنسبة للشعوب .

٢ ـ إنه ليس هناك مفر من المحاولة ، في ظل تناقض غريب ، فالعالم يتعامل مع المنطقة على أنها نظام إقليمي واحد ، قائم على قومية عربية واحدة ، بينما المنطقة تتعامل مع العالم على أساس أنها مجموعة من الدول والأنظمة المختلفة . وأحيانا يتبادل الطرفان ـ العالم والمنطقة ـ الأدوار !

٣ ـ تقوم هذه المقالة على أساس أن المعلومات الأساسية عن المتغيرات في العالم بوجه عام والمنطقة العربية بوجه خاص موجودة لدى القارىء ، أو على الأقل لديه إلمام بعمومياتها . ولذلك فليس هناك ضرورة لسرد التفاصيل ، وبخاصة أن المساحة المتاحة تفرض ذلك .

٤ ـ إن تفاعل المتغيرات مع الواقع ، لصنع حقائق جديدة ، تتحول مع الأيام إلى ثوابت ، وهي عملية تحتاج بطبيعتها إلى وقت يقصر عادة في الدول المتقدمة ويطول في العالم الثالث . ولذلك فإن بوادر ومؤشرات التغيير في الوطن العربي قد لا تمس الثوابت في مرحلة التسعينيات وهي أقرب إلى مرحلة التفاعل ، أي مرحلة انتقال حسب التعبير الشائع .

توقعات محتملة

ويبقى بعد ذلك أن ننتقل إلى «السيناريوهات» المحتملة لعلاقة العرب بالعالم في مرحلة التسعينيات . والمعروف أن أي سيناريو يقوم أساسا على مجموعة من الفرضيات ، يستخرجها الباحث من الواقع المعاش ، ويبني عليها الاحتمالات للمتغيرات الأخرى ، أي أن هناك ثوابت لابد أن تبقى في الذاكرة طوال عملية قراءة سير الأحداث المحتمل . وأعتقد أن هذه الثوابت في موضوعنا هي :

أولا : أن المتغيرات المحتملة في الولايات المتحدة ، خلال مرحلة التسعينيات ، لا علاقة لها بشكل جوهري على السياسة الأمريكية تجاه العرب ، حيث يبقى التأييد الأمريكي المطلق «لإسرائيل» ، ومحاولة دفع العرب لتقديم التنازلات إليها . وإذا كان الاحتمال الأغلب هو بقاء «بوش» في السلطة ، معظم مرحلة التسعينيات ، بإدارة عاجزة ، لغياب الأغلبية البرلمانية عنها ، فإن احتمالات تغييره لمرشح الحزب الآخر بأغلبية برلمانية لا تحقق للعرب شيئا ، لأنه لا فرق بين السيء والأسوأ .

ثانيا : إن أدوات العرب للضغط على المجتمع الدولي ، لعمل متغيرات ، سوف تبقى معطلة عن ممارسة دورها في ظل معطيات الوضع العربي الحالي . وهذه الأدوات هي حسب ترتيب اهميتها : مشتريات السلاح ، والسوق العربية التجارية ، والطاقة ، والأرصدة العربية .

ثالثا : تصاعد دور كل من العملاقين الاقتصاديين السياسي في مرحلة التسعينيات ، وهما ألمانيا الغربية واليابان ، ولهما مع الوطن

العربي علاقات اقتصادية مميزة عن بقية دول العالم ، مما يعطي للمنطقة العربية أهمية بالنسبة لكل منها

وهكذا تتفاعل هذه الثوابت ، خلال مرحلة التسعينيات ، لتشكل مع متغيرات الواقع الاحتمالات أو السيناريوهات الأربعة التي يمكن أن تسير فيها أحداث العلاقات العربية الدولية

الاحتمال الأول هو أن يستمر الحال على ما هو عليه ، بدون تغيير جوهري ، إذ يستحيل افتراض عدم وجود أي متغيرات ، ولكنها في هذا الإطار لا تمس الجوهر أو السياق العام للأحداث

وإذا كان احتمال الثبات على الحال نفسها مطروحا فإنه في حقيقته قد يكون وفق منطق النسبية تأخرا ، وليس حفظا للموقع نفسه ، وذلك على أساس أن العالم المحيط بنا يتطور ويتغير

فالحركة العربية ، وخاصة في الإدارة الجماعية للمنطقة على الرغم من التجمعات الإقليمية الثلاثة ، وعلى الرغم من التخفيف من أثر الصراعات الإقليمية العربية ، ما زالت تمثل أكبر إغراء للآخرين في المجتمع الدولي ، لعدم وضع حساب المخاطر بالنسبة لسياساتهم في أي قضية يكون العرب طرفا فيها .

ونجد أن العناصر الحاكمة في هذا الاحتمال هي أن يبقى للولايات المتحدة الدور المميز ، مع استمرار الإلحاح العربي بالرجاء لتغيير الموقف الامريكي .

وأن يستمر التوجه العربي نحو الاتحاد السوفيتي ليس إلى السوفييت أنفسهم ، وإنما ليكونوا أداة ضغط لتغيير الموقف الأمريكي .

حتى العلاقات مع أوربا يكون توظيفها للقيام بدور الوسيط ، لترشيد الموقف الامريكي ، وليس للقيام بدور مستقل .

"واسرائيل" من خلال واشنطن تجذب اليابان والمانيا للابتعاد عن سياسة المنطقة ، والاكتفاء بالتجارة معها ، وبذلك تبطل فاعلية التغير في القوى السياسية الجديدة على الموقف .

ويبقى عدم الانحياز مساحة للمخاطبة بحسابها إحدى الهوايات العربية دون فاعلية ، وخاصة أن أغلب الأقطار العربية مقيدة بعبء مشكلة الديون

ويجد هذا السيناريو دعائم قيامه من خلال الأحداث المعاصرة ، وفي مقدمتها التعاقدات



على السلاح العربي من أمريكا ، والصفقات المطروحة للتعاقد ، ويتم تنفيذها جميعها بما يستغرق أكثر من نصف مرحلة التسعينيات .

ثم هناك ظاهرة استمرار التفاؤل العربي الرسمي بإمكانية تغيير الموقف الامريكي بالرجاء أو بانتظار حدوث خلاف ـ مستحيل ـ مع «اسرائيل» وذلك على الرغم من الإدراك الشعبي العام لعدم تغيير الموقف الامريكي ، على الأقل من خلال هذه الأساليب المتاحة .

أدوات قليلة للضغط

وإذا كانت الانتفاضة هي عامل الأمل الإيجابي ، إن استمرت ، وأظن أن لا بديل عن استمرارها ، فإنها وحدها ، دون عمل عربي ديناميكي ، سوف تبقى في إطار الضغط على دائرة العمل الإنساني في المجتمع الدولي ، دون الانتقال إلى دائرة المصالح ، أي صنع القرار ، وبالتالي تغييره .

والسيناريو الثاني لمجرى الأحداث هو أن تكون مرحلة التسعينيات حقبة للتفاعل بالتغيير ، من خلال وصول الأزمة إلى ذروتها .

فإن استمر نظام الحكم الجديد في الاتحاد السوفيتي فإن ترجمة ذلك على السياسات تعني تراجعا كبيرا في الدور السوفيتي ، فالتركيز سيكون على القضايا الداخلية ، وتصبح القضايا الدولية ، وبخاصة للعالم الثالث ، رهينة بدرجة تأثيرها على حل هذه القضايا الداخلية .

وهذا يعني بالنسبة للمنطقة العربية انفجار أزمة ، أو على الأقل بداية مرحلة جفاء جديدة بين العرب والسوفييت ، وذلك لسببين : الأول منهما أن الانفراج بين العملاقين يقوم على أساس تسوية الصراعات الإقليمية ، إلى جانب تخفيف التوتر بينهما في التسلح طبعا . ووفق توزيع نسب المصالح في كل منطقة في لحظة التسوية في بداية التسعينيات تكون المنطقة العربية في الأغلب من نصيب الولايات المتحدة ، أي يكون لها الغلبة ، وهو ما يجعلها تنفرد بالمنطقة دون منافسة حقيقية ، وهو ما يجعل العلاقات مع السوفييت محدودة ، بل وباردة . والعامل الثاني الذي سوف يزيدها جفاء وبرودة هو أن سياسة الإصلاح السوفيتية سوف يترتب عليها تصاعد تيار هجرة اليهود السوفييت . وبالجهد الأمريكي سوف يتوجه هؤلاء إلى «اسرائيل» ، بعد أن كانت الولايات المتحدة هي الهدف الأول لهم ، أي يتحول السوفييت ، دون اعلان ، الى دعم سياسة الاستيطان «الاسرائيلية» . والغريب أن الانفراد الامريكي بالمنطقة سوف يدفع واشنطن إلى المزيد من حماقات الدعم «لإسرائيل» في مغامراتها وإرهابها ، مما يجعل المنطقة غير قادرة على تمرير السلوك الأمريكي في ظل انفراده ، ويضع الأنظمة في موقف بالغ الصعوبة .

وقد لا تجد المنطقة مخرجا ، في ظل هذا الوضع ، غير تشجيع الدور الأوربي ، ليس للوساطة لدى واشنطن ولكن للقيام بدور مستقل ، وذلك إلى جانب العمل على تنشيط العمل من خلال دول عدم الانحياز .

ونؤكد أن استمرار الانتفاضة الفلسطينية ، مع تطوير أساليبها ، سوف يجعل الانتفاضة وحدها أداة التشجيع لبناء الدور الأوربي المستقل ، القائم حاليا في الموقف الفرنسي والألماني ، وذلك بدعم من حركة عدم الانحياز .

ولذلك تكون السمة العامة لهذا الاحتمال في التسعينيات هي أن تكون العلاقة العربية الدولية في مرحلة إعادة التشكيل والبناء ، وليست مرحلة القرارات والسياسات الاستراتيجية .

والاحتمال الثالث محكوم بإمكانية توقف مسار السياسة السوفيتية ، حيث إما أن يتغير النظام أو أن يجد نفسه خطوطا حمراء يصعب عليه تجاوزها ، فتعود الحرب الباردة بين العملاقين ، وبخاصة أن الولايات المتحدة ليست مستعدة لسياسات السلام مع السوفييت بالقدر السوفيتي نفسه ، والسبب اقتصادي ، حيث إن السلام أكثر خطرا على الاقتصاد الامريكي الذي يعتمد إلى حد بعيد ، على الإنتاج الحربي في التنشيط الاقتصادي ، وزيادة معدل النمو ، واحتواء مشكلة العجز في الميزانيه ، بينما العكس تماما بالنسبة للاقتصاد السوفيتي

ووضح ذلك من خلال إسراع الولايات المتحدة ، دون دراسة جادة لرفض اقتراح موسكو بتصفية حلفي وارسو والاطلسي

وعودة الحرب الباردة في إطار جديد تعني المنافسة بين العملاقين في مناطق النفوذ الخاصة بكل منهما ، وفي مقدمتها المنطقة العربيه

وهي تعني أيضا تحجيم الدور الأوربي ، بحيث يبقى في إطار القيادة الامريكيه ، وإن لم يصل إلى حد التبعية الكاملة ، مثل بريطانيا

واكثر ما تطرحه مثل هذه المرحلة ان يكون دور العمالقة الجدد ، وبالتحديد المانيا العربية واليابان ، هو مورد السلاح ، حيث يُصعب تصور استمرار القرار الياباني بعدم دخول سوق السلاح بالتصدير ، وهو ما قد يخفف من الوجود الامريكي على الساحة العربية

وتجد الثورة الفلسطينية دعما ماديا من السوفييت ، وسياسيا من اوربا ، مما يشجع الوطن العربي على تقديم العون المادي إلى جانب السياسي للانتفاضة في الأراضي المحتلة ، فذلك وحده الذي يمكن أن يغير إرادة الاستعمار «الاسرائيلي» ، ويجعلها أكثر مرونة

ويبقى لحركة عدم الانحياز في ظل هذا السيناريو دور هامشي للعمل العربي

حماقات تدفع إلى التغيير

أما السيناريو الرابع ـ الاخير ـ لشكل العلاقات العربية الدولية في التسعينيات فالعامل الحاكم فيه هو أن يصل التطرف والعداء العضوي «باسرائيل» إلى درجة يتغير معها دورها ، فبعد أن كانت «اسرائيل» أداة منع التغيير الثوري ، أو على الأقل ، منع أي تحول اجتماعي في المنطقة العربية ، فإنها تصبح على العكس ، أداة للتغيير الثوري بضرب الاعتدال من خلال التصلب الاستعماري الصهيوني

وهنا لابد من إعادة التذكير بإحدى فرضيات هذه الورقة ، وهي استمرار الدعم الامريكي المطلق «لاسرائيل» في مرحلة التسعينيات

وهو ما قد يشجع «اسرائيل» على القيام بعمل عسكري ضد (قطر عربي) أو أكثر ، مما يقضي تماما على دعوات السلام وقبول الأمر الواقع ، وهو ما يسقط معه الدور المميز



للولايات المتحدة في المنطقة أيضا .

وأعتقد أن مثل هذا المناخ قد يكون هو الأنسب لانتقال الانتفاضة الفلسطينية إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية .

وهو ما يفرض على السوفييت ، حتى في ظل سياسة الإصلاح ، إعادة النظر في مواقفهم ، وبخاصة في مسألة هجرة اليهود ، حرصا على مصالحهم في المنطقة ، فإن كانت سياسة الإصلاح قد توقفت عند الخطوط الحمراء الجديدة ، فإن ذلك سيكون فرصة لدعم العلاقات العربية السوفيتية .

ويصبح للعرب صوت واحد تعبيرا عن إرادة واحدة ، على الرغم من تعدد الأنظمة واختلاف السياسات الداخلية ، وهو الشرط الوحيد الذي يمكن أن يحقق معجزة تغيير السياسة الامريكية تجاه العرب . وقاعدة العلاقات العربية الامريكية خلال نصف قرن هي التي تعطي هذا المؤشر . والقاعدة تقول : إنه حين كان في المنطقة تحد للوجود الامريكي ـ قوميا ـ كان التأييد الامريكي «لاسرائيل» مختفيا خلف دول أوربية ، ولما أصبح الوجود الامريكي في ظل قبول عربي شبه كامل أصبح الدعم الامريكي «لاسرائيل» مطلقا .

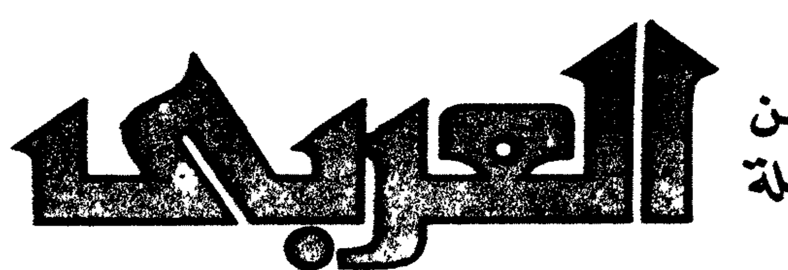
هذه هي ملامح الخيارات المتاحة للعرب مع المجتمع الدولي في التسعينيات .

وإذا كانت التفاصيل لكل احتمال قد أغفلت فإن ذلك لا يغير من الخطوط الرئيسة للاحتمالات المنتظرة . □

اقـــرأ في عـــدد
أبـــريـــل ١٩٩٠



من
مجلة



استطلاعات مصورة:

- مستقبل التيارات الدينية في الوطن العربي — د. سعد الدين إبراهيم
- أوروبا الموحدة.. الواقع والآفاق — د. رياض صعصع
- رمضان في الجزائر — عبدالحميد بن هدوقة
- من دفتر الذكريات — بدر خالد البدر
- المقولات العلمية بين التغير والثبات — د. راشد المبارك
- حضارة المغرب العربي وأثرها في الشخصية الأفريقية — د. محمد فاروق النبهان
- الساعة البيولوجية.. ما هي؟ — د. حسن حلمي خاروف
- مسائل أساسية في قضية الوحدة العربية — د. عبدالمالك التميمي
- نجم غامض اسمه الشمس — رؤوف وصفي
- الوقاية من آلام الظهر — د. علاء محمود

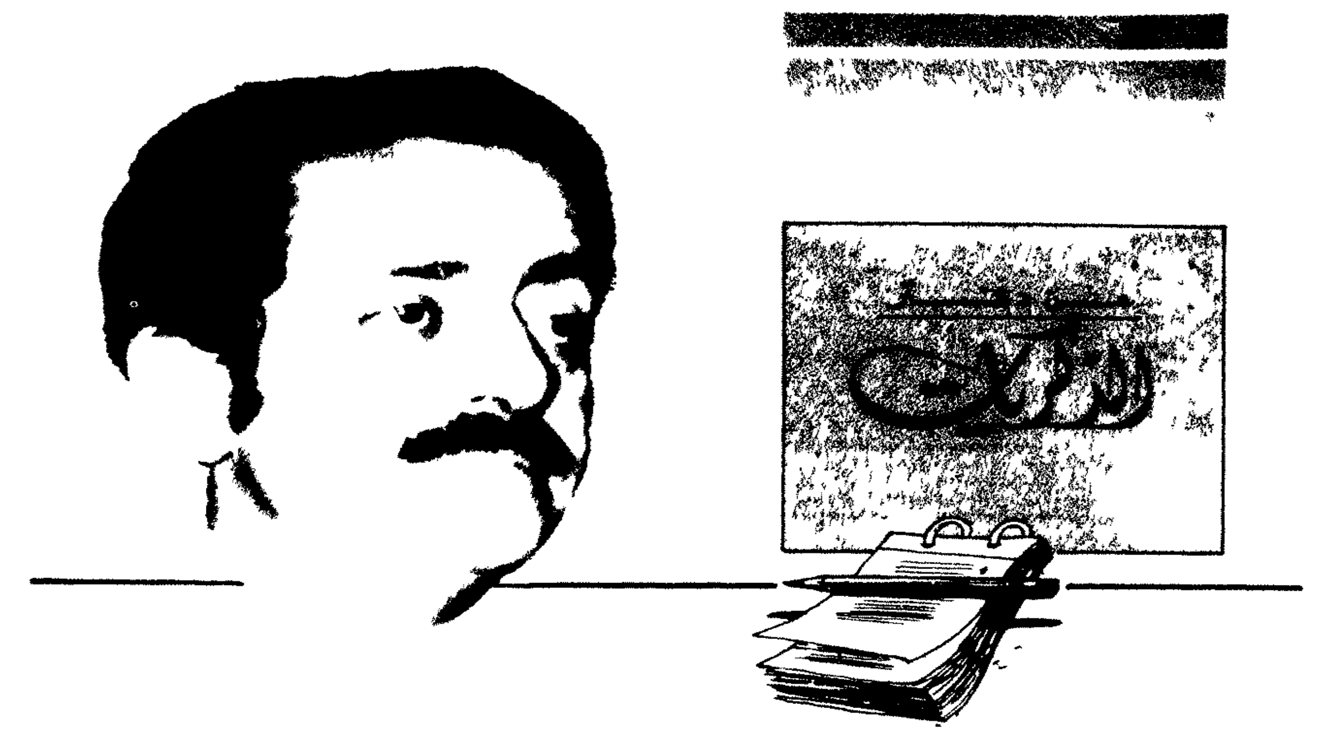
حافة الكون الفضية
صلاح حزين
• • •

من بلاد الشام
سليمان الشيخ

- القصة في وادي النيل — د. الطاهر أحمد مكي
- القصة في بلاد الشام — فخري صالح

واقرأ أيضا للكتاب: الدكتور علي فهمي خشيم و حسن حميد

د. محمد الرميحي * د. أحمد عبدالرحيم مصطفى * فاضل خلف * د. هند حتاحت
محمد الفايز * حسن الكرمي * عبدالرزاق المطلبي * د. محيي الدين لبنية



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

بين الدراسة والسياسة

بقلم : الدكتور حسين عبدالله العمْري

من غريب المفارقات أن الإمام يحيى حميد الدين الذي أحكم عزلة اليمن طوال النصف الأول من القرن العشرين (١٩٠٥ - ١٩٤٨م) كان قد أقنع آخر الأمر بضرورة إرسال بعثة دراسية إلى لبنان عام ١٩٤٧ - سيأتي الحديث عنها - وثانية إلى العراق ، قبل مقتله في ثورة الدستور في مطلع عام ١٩٤٨ ، وإذا بتلك الثورة تنتكس ليقرر ابنه أحمد (الإمام الجديد) إعادة تلك البعثة التي كانت قد وصلت إلى عدن ، وتنتظر السفر إلى بغداد ، وكان عددها ٣٢ طالباً منهم خمسة من العسكريين .

وحرص قادة حركة الدستور ، وفي مقدمتهم مدرب الجيش - بل وقائده الفعلي في الثورة - الشهيد الرئيس (العراقي) جمال جميل في مواصلة سفر تلك البعثة - سيئة الطالع - إلى غايتها العلمية في العراق . كانت الأحداث متسارعة ، وإذا بأوامر أحمد الذي نجح في إجهاض ثورة الدستور ، تقضي بسرعة إعادة تلك البعثة من عدن فوراً ، واللحاق به إلى معسكره في (حجة) ، حيث كان يشرف بنفسه على الإعدامات الأولى لقادة تلك الثورة . وكأنه أراد بذلك ليس حرمان أولئك الشباب واليمن

من تحصيل علمي سينفع مستقبلاً ، بل ولتلقي درس رهيب لازال بعضهم ممن عرفنا يتذكره حتى اليوم .

أما تلك البعثة السابقة المكونة من أربعين طالباً الذين جرى اختيارهم من مدارس المدن الرئيسية الثلاث ، فقد غادرت اليمن إلى لبنان في أغسطس عام ١٩٤٧ ، حيث التحق نصفهم (بكلية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا) ، والنصف الآخر في (كلية التربية والتعليم بطرابلس) . وبعد عام التأم شمل البعثة كلها في طرابلس ، بيد أن ذلك لم يدم أكثر من نصف عام ، تقرر بعده نقل البعثة إلى مصر ، حيث استقرت في (حلوان) ، والتحق أعضاؤها بمختلف مراحل الدراسة الثانوية ، بما كان يتفق مع أعمارهم ومستوى تحصيلهم ، وكان مقدراً لبعض أعضاء تلك البعثة أن يقوم بدور طليعي مبكر في الحركة الطلابية والوطنية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر التي رحبت بالزعيم الوطني الكبير الشاعر الأستاذ القاضي محمد محمود الزبيري - استشهد في عام ١٩٦٥ - بعد أن كان لاجئا في باكستان . لقد التف حول الزبيري عدد كبير من بعثة (حلوان) التي قد انضم إليها عدد آخر من الطلاب اليمنيين بأوامر خاصة وحالات فردية ، فبلغ عدد أعضائها مايقرب من سبعين ، سرعان ما التحق بالجامعة من أكمل منهم الثانوية العامة ، كما التحق آخرون بالكليات العسكرية .

وفي هذه الفترة - ٥٣ - ١٩٥٤م - تصاعد نشاط الاتحاد اليمني في القاهرة بزعامة الزبيري . وهذا ما أزعج الإمام أحمد . فقام شقيقه الحسن بزيارة مصر ، وزار البعثة في حلوان ، وكانت خلاصة رأيه لأخيه هو توزيع من حصل على الثانوية العامة ، أو من قد التحق بالجامعة على العواصم الأوربية والولايات المتحدة ، وهكذا تم إرسال بعضهم إلى فرنسا (الأساتذة محسن العيني ، يحيى جغمان ، محمد الرعدي) ، ومثلهم إلى ايطاليا ، وبريطانيا ، وأمريكا وربَّ ضارة نافعة ، فقد تثقف معظم أولئك مع غيرهم ليكون منهم عماد الدولة والحكومة الحديثة بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م ، ومازال بعضهم يؤدي واجبه في أعلى مناصب الدولة ، وسلكها الدبلوماسي حتى اليوم .

بعثة إلى مصر وآمال شخصية

لم يكن بوسع الإمام أحمد ونظام حكمه الذي يتلقى هجمات نقد شديد علنية من الخارج ، وسرية في الداخل (بعضها مخلصة من بعض مقربيه لإصلاح الوضع) أن يستمر في التعامي عما يدور في عالم القرن العشرين من حوله، فلا تعليم عال ، ولا متخصص يوجد في اليمن يسد أبسط الاحتياجات التي فرضها العصر ، ومنها احتياج الدولة أو الحكومة نفسها . ولابد أنه قد ثار جدل ولغط كبير بين الإمام وأشقائه ، وعلى الأخص مع الحسن (ممثل الرجعية الأكثر تطرفاً) وعبدالله ممثلها الأكثر تنوراً ، وآخرين من المسئولين المؤيد منهم أو المعارض لسياسة البعوث إلى خارج اليمن . ويبدو أنه قد تبلور رأي جديد من كل ذلك وعلى ضوء زيارة الحسن لمصر ، وبدلاً من تطوير نظام التعليم والاستعانة على ذلك بمصر أو العراق أو سوريا ، فقد جرى الاتجاه إلى حل وسط ، هو العودة إلى سياسة البعوث إلى مصر ، ولكن ليس إلى القاهرة ، حيث يتمركز بها نشاط الزعيم الزبيري والاتحاد اليمني .

وكيفما كان الأمر ، فقد تم تجهيز بعثة من أربعين طالباً من تلاميذ المدرسة المتوسطة والثانوية ، عين على رأسها مرب فاضل ، هو القاضي أحمد الهيصمي ، وتقرر بالتشاور مع الجهات المصرية المختصة أن تكون بعيدة عن

القاهرة والنشاط السياسي المعارض للإمام ، فأرسلت على دفعتين ، بين أغسطس واكتوبر ١٩٥٤ ، إلى قرية (ساحل سليم) في محافظة أسيوط ، حيث كان يوجد بها مركز تعليمي كبير ومدرسة داخلية . غير أنه رُئي بعد ستة أشهر نقل البعثة إلى (بني سويف) ، واستؤجرت لها دار استقرت بها ، والتحق طلابها بالمدرستين الإعدادية (والنيل الثانوية) التي تخرجت فيها أول مجموعة صغيرة التحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٥٩ ، وكان أحدهم واحداً من العشرة الأوائل في (الجمهورية العربية المتحدة) .

كان سفر تلك البعثة إلى مصر حديث الناس ، كما كان غاية الأمل والطموح لطلاب المدرستين الوحيدتين في صنعاء (المتوسطة) و(الثانوية) وإخوانهم في تعز والحديدة ، فمن تلك المدارس كان اختيار بعثتي ١٩٤٧ و ١٩٥٤م .

إنني لاأزال متذكراً ـ وبعد مرور أربعة وثلاثين عاماً ـ مدى الفرحة والزهو اللذين عمّا من كنت أعرف من زملاء تلك البعثة عشية سفرهم ، ومدى الحسرة والأسى في أنني لم أكن معهم . وواقع الأمر أنى كنت أصغر عمراً ، بما لايقل عن ثلاث أو أربع سنوات عن أصغرهم سناً . وفي العام التالي أكملتُ المرحلة الابتدائية في مدرسة (الإصلاح) ، والتحقت بالمدرسة (المتوسطة) ، فكانت عالماً جديداً عليّ . فالأساتذة من خيرة المربين والرواد التربويين ، ومعهم مدرسون من مصر وفلسطين ، كما أنها المرة الأولى التي كنا نقرأ فيها في بعض المواد كتباً مطبوعة وفق المنهج المصري ، فكانت تشعل حماسنا للتنافس والتفوق (ربما على أمل اللحاق بمن سبقنا إلى مصر ، فذكراهم لم تبرح مخيلة زملائهم ممن بقي ، فكانوا يحدثوننا بما يصل منهم من رسائل عن مستقبلهم الدراسي والعلمي ، حيث لامستقبل يرتجى بعد المدرسة الثانوية إلاّ الأعمال الكتابية (الوظيفية) العادية ، أو الالتحاق بدار العلوم (المدرسة العليا) ، وهي مخصصة لسلك الحكومة ورجال الفقه والقضاء ، ولم يكن كل ذلك شاغل بال أحد منا ـ في المتوسطة ـ باستثناء مالاح في العام الثالث للدراسة (١٩٥٧) ، وهو الحديث عن إنشاء كليات عسكرية (الشرطة والطيران والحربية) التي كانت متنفساً في العام التالي لكثير من زملائي ومن سبقنا في المدرسة الثانوية ، ومنهم كانت الطليعة ـ مع ضباط وطنيين قدماء ـ التي صنعت حدث التغيير الكبير في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م .

غير أنه حدث طارىء مهم خلال عام ١٩٥٧ ، أحسب اليوم أنّ له علاقة بما كان يدور ويجري في المشرق العربي آنذاك من مشاعر وطنية وقومية ألهبت حماسها حركة التحرر العربية بزعامة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر .

ففي ربيع ذلك العام قامت القوات البريطانية المحتلة للشطر الجنوبي من اليمن بعدوان جديد على منطقة (حريب) ، بعد سلسلة من الاعتداءات والمناوشات في العام السابق [1] . وكانت مصر وسورية من بين

---

(١) شهد عام ١٩٥٦م سلسلة من الحوادث الحدودية والاعتداءات البريطانية ، لعلها من بين أسباب توجه الحكم للمعسكر الاشتراكي وشراء السلاح منه ـ كما فعلت مصر ـ وذلك في زيارة البدر المشهورة على رأس وفد رسمي في يوليو ٥٦ لكل من موسكو وبراغ وبكين ، وهي الزيارة التي تهكم منها ساخراً الزعيم الزبيري في صورة شعرية بليغة ، أظهر فيها تناقض واقع الحكم الإمامي مع تلك الزيارة حين قال من قصيدة وطنية :

(يَبْهرُونَ الدّنيا بِزيَارة مُوسكو وعَلَيْهم غُبَار دُنيا ثَمُود !)

الدول الأعضاء ـ القليلة ـ للجامعة العربية التي تحمست لشكوى اليمن واستغاثتها بالجامعة التليدة ، فقامت بعثة منها برئاسة الأمين العام المساعد المرحوم أحمد الشقيري بزيارة لليمن في ٣ ابريل (نيسان) ١٩٥٧ لمعرفة الأوضاع ، ومؤازرة اليمن ضد الاعتداءات البريطانية المتكررة ، وبعد أن عادت البعثة إلى القاهرة قدمت تقريرها إلى الأمانة العامة ، وكان مماجاء فيه بأنه تبين لها أن في الجنوب اليمني ، حركة قوية عامة « تهدف إلى التحرر من النفوذ الأجنبي ، والانضمام إلى اليمن الأم ، إيماناً بوحدة اليمن : شماله وجنوبه ، وبالروابط القومية العربية . . » وبعد أن عرضت نتائج العدوان ونزوح عدد كبير من سكان الجنوب إلى الشمال ، وعدم تكافؤ القوة والتسليح في اليمن (الشمالي) مع القوة البريطانية المحتلة ، وضعت اللجنة جملة من المقترحات العملية والسياسية في إطار التعاون العربي والمجال الدولي .

وفد وبعثة

وفي الشهر التالي قام وفد سوري مدني وعسكري رفيع المستوى ، برئاسة وزير الخارجية ، المرحوم الأستاذ صلاح البيطار ، بزيارة لليمن ، إستمرت أسبوعين (من ٢٣ مايو (أيار) إلى ٨ يونيو (حزيران) ١٩٥٧م) ، لعلها أول زيارة لوفد سوري على ذلك المستوى .

لقد تيسر للوفد السوري دون عناء كبير أن يطلع على الأوضاع السيئة المتخلفة التي كان اليمن يحياها ، ووضع أعضاؤه تقارير علمية موضوعية عن مختلف جوانب الحياة العامة فيه [٢] وجاء في مستهلها تمهيد مركز وحَصِيف للأستاذ البيطار ، أكد فيه أواصر العروبة والقربى ، وعراقة اليمن وحضارته القديمة ، وضرورة تعاون العرب لإخراجه من عزلته وتخلفه ، حيث باتت اليوم تلك العزلة الطويلة « . . ضارة وغير عملية ، . . إنها [اليمن] بحاجة لإخوانها في العروبة أن تأخذ بيدها ، وأن تفيد بتجاربها » . وأضاف مشخصاً ومُحِقاً « ولكن علينا أن نعلم بأن نهضة اليمن لايمكن أن تقوم إلّا على اليمنيين أنفسهم ، وأن تكون مساعدتنا لهم في حدود التوجيه والتعليم والتدريب . إن في عنق الدول العربية أمانة مساعدة هذا البلد الشقيق في شق طريقه إلى الأمام ، ولكن السياسة التي يتحتم اتباعها ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل والاستغلال ، مصبوغة بصبغة الأخوة الصادقة ، قائمة على أساس أن اليمن المتقدمة المتطورة ستكون حجراً كريماً ، ودرعاً واقياً في بناء الأمة العربية .

إن علينا واجب انفتاح اليمن إلى البلاد العربية ، القريبة والبعيدة ، ووصلها براً وبحراً وجواً بهذه البلاد ، وإن علينا واجب تقديم المساعدات المالية والاقتصادية والبعثات ، في مجال الطب والتعليم والخبرة والاختصاص . . » .

كان متفقاً على ضوء مباحثات البيطار ، فتح سفارتين في العاصمتين ، وربطهما بخط جوي منتظم ، تقوم به الخطوط السورية ، وكذلك إرسال بعثة دراسية إلى دمشق ، وهو الأمر

---

(٢) قام بنشرها الاستاذ بشير كمدان ـ عضو الوفد ـ في عدد خاص من صحيفة (الجمهورية) السورية التي كان رئيساً لتحريرها ، وقد قام (الاتحاد اليمني) في القاهرة بُعَيْد ذلك بإعادة نشرها ـ كما هي ـ في كتيب ذكر في مقدمته القصيرة بأنه « يقدم هذه التقارير من جديد لأبناء الشعب العربي في كل مكان ، ليجدوا الصور الحقيقية لأوضاع اليمن . . فهي تدين المدافعين عن الطغيان في اليمن والسائرين في ركابه من العملاء والأذناب »

الوحيد الذي تحقق في نهاية صيف ذلك العام .

لقد كان من حسن حظي ـ بعد معاناة ـ أن أكون آخر من التحق بتلك البعثة التي لم يزد عددها عن خمسة عشر طالبا حول خمسة منهم إلى (مدرسة الشويفات) في لبنان .

لقد كانت الحياة في اليمن ، حين فارقتها ، بائسةً في كل مَناحِيْها ، راكدةً رتيبةً ، تذكرني كلما قرأت أو رجعت إلى مقدمة العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بقوله قبل ذلك بستة قرون عن حال عصره :

« وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض ، فبادر بالإجابة . . » .

ولهذا لم أصدق نفسي بعد مغادرة صنعاء إلاّ حين هبطت الطائرة المقلة لنا من القاهرة [٣] في مطار (المزةّ) القريب ـ في ذلك الوقت من دمشق ـ وذلك في يوم بارد من أيام ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٧م .

لم تكن ملابسي المتواضعة صوفية ، ولم يكن لدي معطف ، وكان شتاء الشام ذلك العام قارصاً شديداً ـ أو هكذا وجدته ـ وفيه شاهدت أول مرة في حياتي هطول الثلوج التى لم أكن قد تصورتها من قبل ! .

كنت في أول الأمر بعيداً عن المجموعة التي كانت تسكن في (داخلية) المدرسة الصناعية الفنية ، وتذهب للدراسة في مدرسة التجهيز (الإعدادية ـ الثانوية) القريبة ، ولم ألبث أن التحقت بهم ، وكانت أوضاعهم المادية والسكنية غاية في الصعوبة ، كما أن الدراسة كانت في واقع الأمر ـ وفي المواد العلمية على الأخص ـ فوق مستوانا جميعاً .

ووجدت نفسي مع زميلين آخرين من العشرة أصغر عمراً بكثير من زملائنا ، فكان لكل ذلك ـ مع الإحساس بفراق الأهل والوطن ، لمن كان في عمر لم يتجاوز الرابعة عشرة ـ شعور بأمور لم أكن أحسب لها أي حساب من قبل . وسرعان ما تأقلمت مع الأوضاع الجديدة ، وشغلت في تحد للسباق في الدراسة ، ثم انغمست مع زملائي في مظاهرات فرحة الجماهير بالوحدة العربية بين سورية ومصر التي عايشت أوجها . ولن أنسى يوم الرابع والعشرين وليلته من شهر فبراير (تشرين الأول) ١٩٥٨ ، ذلك اليوم الذي وصل فيه المرحوم الزعيم جمال عبدالناصر ، وانتظرناه بين عشرات الألوف في ساحة قصر الضيافة ، حتى أطل مخاطباً الجماهير ، بل والأمة العربية كلها ، ومكثنا في الساحة إلى ساعة متأخرة من الليل ، وحين رجعت مع زميلين لي إلى مدرستنا القريبة الواقعة في (١٠ زقاق الصخر) وجدنا أبوابها مقفلة ، وكان مديرها الاستاذ الأحدب شديد الصرامة ، فنمنا ليلتنا على بوابتها حتى الصباح !

نجحت في ذلك العام الدراسي ، ومع بداية الصيف عاد الأمل والحنين للالتحاق بإخواني وزملائي القدماء أعضاء بعثة (بني سويف) . وجري توحيد مناهج الإقليمين (الشمالي) و (الجنوبي) في « الجمهورية العربية المتحدة » ، ففارقت مع آخرين دمشق ، لألتحق في صيف قائظ بصعيد مصر ، حيث سعدت بالانضمام إلى البعثة التي سبقتني قبل ذلك بأربعة أعوام ، ومعها عشت سنوات لها ذكريات عزيزة . □

(٣) كنت في صحبة وفد اليمن إلى اجتماع المنظمة العربية للعلوم الإدارية المنعقد في دمشق ، ومعنا زميلان أرسلا من القاهرة للالتحاق بجامعة دمشق (كلية الطب) .



من مخاطر العبث بالوراثيات



بقلم : مجدي نصيف

تطورت «الهندسة الوراثية» ، إلى درجة أننا دخلنا عصرا نخشى فيه من العبث بالوراثيات ، مما يثير معضلات أخلاقية على الأخص ، فالإمكانيات المستقبلية تكتم الأنفاس . فإذا أمكن رسم «خريطة» الجينات واللعب بعدد ضئيل منها ، فقد يتمكن الإنسان من علاج عدد كبير من الأمراض .

لكنها في الوقت نفسه تفتح إمكانية أن يعبث الإنسان بالهندسة الوراثية ، فيستخدمها للشر وليس للخير ، كما استخدِم من قبل الكشف عن أسرار الذرة .

فخلف كل حلم طيب يكمن كابوس ممكن الحدوث . لذا تحاول الهيئات التشريعية في الدول الصناعية المتقدمة الإسراع ، منذ الآن ، لوضع قوانين تحول دون اللعب بالجينات من أجل هدف شرير .

تبدأ الفرص التي تقدمها المعرفة الجينية الجديدة ، قبل الولادة ، وتصاحب المعضلات المشاكل برور هذه الفرص ، فقد أصبح من الممكن الآن ، من خلال عدد من الاختبارات المعملية على الوالدين ، تحديد ما إذا كان الطفل المرتقب ذكرا أو أنثى ، متخلفا أو معاقاً أو ضحية لبعض الاضطرابات الوراثية المميتة . فماذا يمكن أن يفعل الوالدان بمثل هذه المعلومات ؟ من المؤكد أن الأم ستحاول اللجوء إلى الإجهاض ، وهي مسألة

يثور حولها جدل شديد ، فقد يتعاطف كثيرون مع سيدة تختار التخلص من جنينها ، بدلا من أن تضع طفلا محكوما عليه بدخول صراع مؤلم مع مرض عضال طوال حياته ، أو محكوما عليه بالتخلف العقلي ، أو معاقاً طوال حياته .

لكن ماذا عن أم لثلاث بنات ، يريد زوجها لها صبيا ذكراً ؟ وماذا يحدث لو علمت الأم أن حملها المستكن به عيب خلقي ضئيل ، يمكن أن يحيا به ابنها طوال حياته . هناك الآن جماعات ضغط من الغرب ، تنادي بمنح الأم «حق الإجهاض عندما ترغب» ، ومنح الآباء حق اتخاذ قرار بالإجهاض ، حتى يمكنهم الحصول على ما يسمونه «الطفل المكتمل» .

ومما يعقد مثل هذه القرارات أن «التنبؤ الجيني» لن يصبح علما قاطعا ، فقد يتمكن العلماء يوما ما ، أن يحددوا ما إذا كان لدى جنين بعينه ، استعداد مسبق للإصابة بمرض القلب أو بنوع من السرطان ، أو بمرض من الأمراض العقلية ، لكنهم لا يمكن أن يتنبأوا بالضبط متى سيضرب المرض ضربته القاضية ، أو إذا كان سيضرب ضربته ، أو مدى ذلك المرض ، وعمر الطفل حتى مماته . ويحاول العلماء الآن عموما التوصل إلى اكتشاف عيوب ضئيلة في أحد خيوط (د . ن . أ . DNA) ، ومع ذلك سيصبح من الأصعب التمييز بين أنواع الشذوذ «الجيني» ، والتمايزات الطبيعية بين بني البشر .

وقد تأسست في الغرب مراكز بحوث لدراسة هذه القضايا الأخلاقية وغيرها ، النابعة من الدراسات في الهندسة الوراثية . أحدها «مركز الأخلاقيات البيوصحية بجامعة مينيسوتا» .

ويعترف مديره آرثر كابلان قائلا : «إننا لم نفكر كثيرا في وضع خط واضح في هذه القضايا ، وسيكون ذلك أحد التحديات الأخلاقية التي علينا مواجهتها في التسعينيات » .

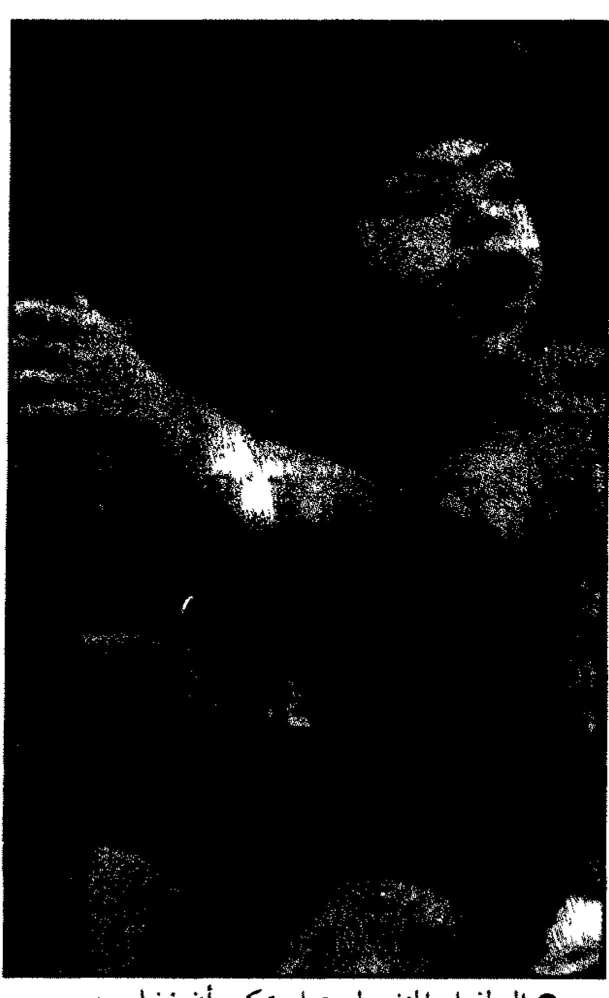
قصة كروموزوم

وتعتمد تصرفات الناس على مدى معلوماتهم ، والأحداث تثبت لنا أن عدم المعرفة «الجينية» يمكن أن يكون غاية في التدمير ، ولنأخذ كمثال قصة حدثت عام ١٩٦٥ : ففي ذلك العام ، وجد مجموعة من العلماء قاموا بدراسة حول عدد من المجرمين والعتاة بمؤسسة عقلية اسكتلندية ذات نظام أمني مشدد ، أن نسبة مدهشة الارتفاع ، من بين هؤلاء المجرمين ، تتميز بشذوذ كروموزومي خاص ، فبالإضافة إلى الكروموزوم (X) ، والكروموزوم (Y) الموجودين بشكل طبيعي في كل بني البشر ، كان كل منهم يحمل كروموزوم (Y) إضافي ، وهو الكروموزوم الذكري . وتعلقت وسائل الإعلام آنذاك بفكرة أن أولئك الذين أطلق عليهم إسم «السوبر ذكور» مكتوب عليهم حياة الجريمة . لكن سرعان ما ثبت أن هذا التعميم زائف ، فلقد أظهرت بحوث تالية أن ٩٦٪ من الرجال الذين يحملون الكروموزومات (XYY) يعيشون حياة طبيعية ، لكن قبل أن تخمد الضجة قدمت عدة مقترحات لاتخاذ إجراءات لحماية المجتمع من تهديد متوقع من هؤلاء الرجال . من ضمنها تشجيع الآباء على إجراء فحوص على الأطفال قبل الولادة ، ويفترض أن يكون معنى ذلك تشجيعهم على

ترتيب عملية إجهاض إذا كان الطفل يحمل كروموزومات (XYY) ، وبادر علماء بإجراء دراسات بعيدة المدى لتحديد الأطفال الذين يحملون هذه الكروموزومات ، وتتبع تقدمهم في الحياة عبر السنين من خلال زيارات منزلية ، يقومون فيها باختبارات «سيكيولوجية» ، إلى جانب تقارير يقدمها المدرسون ، لكن في نهاية الأمر انتهت المسألة ، ولكن ليس قبل أن يلطخ عدد من الصغار الأبرياء .

ويمكن أن يدفع البالغون خطأ أيضا : فلاشك أن شركات التأمين على الحياة ، والتأمين الصحي ، ستطلب من زبائنها يوما ما ، القيام بفحص «جيني» ، لمعرفة الأشخاص المحتمل أن يتطور لديهم مرض من الأمراض المميتة أو المعيقة . وفي هذه الحالة قد لا توافق الشركات على التأمين على حياتهم ، أو توافق إذا ما دفعوا أقساطا أكبر .

ولقد استخدمت شركات تأمين في الغرب سياسة مشابهة ، عند التأمين على أشخاص افترضت أن عليهم خطرا عاليا في الإصابة بالايدز ، وقد منعت هذه السياسة قانونا في عدد من الولايات الامريكية . ومن المتصور أن يحاول أصحاب الأعمال تشغيل قوة عمل لديهم تتميز بالصحة ، والمؤكد أنهم سيطلبون في المستقبل إجراء «تحليل جيني» ، ومن الواضح «أن هناك إمكانية كامنة للتمييز الواسع النطاق ضد أولئك الذين لا تتسم جيناتهم بالمواصفات المقبولة . ومتى تمت دراسة جينات شخص ما ، فلاشك أنها ستجد طريقها إلى المصارف (البنوك) الالكترونية . ولابد في هذه الحالة من وجود قيود قانونية ، وإلا تم التشارك في هذه البيانات الجينية الشخصية من قبل الشركات والوكالات والهيئات الحكومية ، ومثلها مثل البطاقات الشخصية أو السجل «البوليسي» ، فقد يصبح تحليل (د . ن . أ) جزءا من الملف الالكتروني الدائم لشخص ما .



● الطفل المنغولي هل يمكن أن نخلصه من الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ؟

وحتى لو تم الحفاظ على سرية المعلومات الجينية ، فإن المعلومات قد تقلق الأشخاص المعنيين ، فالكشف عن نقص وراثي لأنزيم يمكن أن يعالج علاجا مؤثرا من خلال «ريجيم» ، أي نظام غذائي . ولكن ماذا عن هؤلاء الذين يخشون وراثة مرض ليس له شفاء حتى الآن ؟ قد يريد بعض الناس تنظيم ما تبقى من حياتهم . وقد يفضل آخرون ألا يعرفوا شيئا على الإطلاق . قالت الدكتورة دورين مايكل ، أستاذة «الوراثيات» بعيادة الأعصاب ، التابعة لجامعة ميتشيجان : «قد نستطيع أن نرى المستقبل ، ولكن هل هناك من يريد أن يعرف سبب وفاته» ؟

الجينات المعيبة !

ان وصم جين بأنه معيب يمكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة ، فبعد أن ظهرت الاكتشافات الجديدة في القرن التاسع عشر في الوراثة والتطور ، برزت «الحركة البيوجينية» ، وهو علم زائف ، آمن أتباعه بأنه يمكن التخلص من الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ، بطريقة منظمة ، خارج مجموعة الجينات البشرية . وكان ضمن المتحمسين لذلك العلم الزائف مجموعة من البيوجينيين الأمريكيين الذين اعتقدوا أنه يمكن تربية بني البشر كما تربى خيول السباق ، وكان من ضمنهم أيضا البيوجينيون الألمان الذين قدموا نصائح علمية لقادة «الرايخ الثالث» النازيين ، وتمثلت في تعليمات محددة لتطهير «الجنس البشري» عن طريق إبادة أجناس بأكملها ، والتزاوج الاختياري .

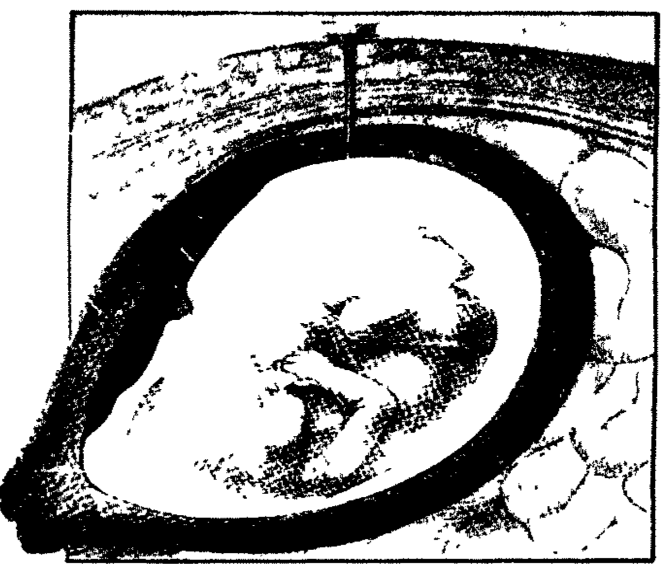
لكن الحقيقة أنه ليس هناك أي عالم جينات يتحدث اليوم عن خلق جنس ممتاز متفوق ، فالعلماء اليوم حريصون على الإشارة إلى هدف تجارب «العلاج الجيني» وهو شفاء الأمراض الوراثية ، وتخفيض الآلام البشرية وليس خلق بشر من نوع «السوبرمان» . لكن ماذا لو أراد الناس استخدام التقنية المكتسبة لتحسين جينات ليست معيبة ؟

وهل تستخدم «الهندسة الوراثية» كجراحة تجميل في القرن الواحد والعشرين ؟

وهل يتم بذلك التمييز ضد الأطفال الذين لم يتم «تعديل» جيناتهم ؟

أسئلة تعتمد إجاباتها على كيفية استخدام بني البشر لمكتشفات «الهندسة الوراثية» ، وبالتالي ـ إلى حد كبير ـ على القوانين الصادرة التي تنظم «الهندسة الوراثية» واستخداماتها .

وعلينا أن نقول هنا : إنه بنظرتنا الحالية إلى التقدم العلمي ـ فستكون إمكانية العلاج الجيني محددة في المستقبل القريب ، ذلك أنه إذا ما تم



● من سيحمي الجنين المشوه ؟

نقل جينات إلى خلايا نسيجية ـ خلايا نخاع العظام على سبيل المثال ـ فستموت هذه الجينات المعدلة مع موت حاملها المريض ، ومعنى ذلك أنها لن تورث لأطفال المريض بعد إجراء العملية . على أنه في المستقبل البعيد قد يصبح في الإمكان تغيير الجينات في الخلايا الجينية التي تنتج البويضات أو الحيوانات المنوية . وإذا ما نجح هذا ، أمكن أن تنتقل الجينات الجديدة ، وتورث .

لكن هذا هو بالضبط ما يخيف أعداء الهندسة الجينية ، ذلك أنه إذا تمكن علماء البيولوجيا من تغيير المسار الوراثي ، فإنهم بذلك يمسكون بين أيديهم مصير بني البشر ، وهذا ما لا يوافق عليه رجال الدين والقانون ، ويقف ضده كثيرون من المشتغلين بالقضايا العامة .

لكن علينا أن نذكر للحقيقة أنه ليس هناك علماء وراثيات يخططون في الوقت الحاضر لنقل جينات إلى خلايا جينية بشرية . وعلى الرغم من أن العلماء قد لعبوا دورا منذ القديم في تحسين المحاصيل وحيوانات المزرعة ، بالبحوث في مجال الوراثة ، لمواجهة الاحتياجات الإنسانية ، فإن العلماء لم ينادوا بأن تمتد بحوث الجينات إلى

بني البشر . ويقول العلماء : إن عليهم التزاما بحماية الإنسانية من الأمراض والآفات ، متى أصبح في إمكانهم القضاء على أحد الجينات التي تسبب خللا مميتا ، حتى يتم أيضا منع انتقاله إلى الأجيال التالية .

كان مشروع «الجينوم البشري» بالولايات المتحدة ، واحداً من أوائل مشروعات الجينات . يقول مديره ، الدكتور جيمس واطسون : إن بحوث المشروع لها مهمة إنسانية أساس ، هدفها ليس الحصول على معلومات جينية في حد ذاتها ، وإنما هدفهم منها تحسين الحياة من خلال المعلومات الجينية .

ويرى معظم العاملين في مثل تلك المشروعات ضرورة وجود قواعد تنظم تلك المشروعات والبحوث الجينية . ويتفق كثير من علماء الجينات والوراثيات وعلماء الأخلاق ، على مباديء أساس :

* يجب ألا يطلب أي إنسان الخضوع لاختبارات جينية ضد مشيئته .

* تستخدم معلومات «التكوين الجيني» لأي شخص لمعلوماته الخاصة فقط ، وليس لإلحاق الأذى به أو لإذاعتها أو لتقديمها لجهات أخرى دون علمه .

* يجب أن تستخدم «الهندسة الوراثية» البشرية لعلاج الأمراض ، وذلك من خلال عملية «التوحيد الجيني» .

المعرفة قوة وخطر !

إن المعرفة قوة ، لكنها في حالتنا هذه «قوة خطرة» . يقول الدكتور موري عالم الوراثيات بجامعة كيس ويسترن :

أؤمن إيمانا عميقا بأن أحكام الناس ليست دائما صائبة ، لكننا ـ في نهاية الأمر ـ سنحافظ على قدر معقول من المعاملة الطيبة والعدالة . وإذا كانت البشرية قد هضمت حقوق كوبرنيكوس ، وجاليليو ، وداروين ، وفرويد ، واستوعبت اكتشافاتهم ، فلا شك أنها ستهضم حق «خريطة الجينوم البشري» .

لقد انطلق مارد «الهندسة البشرية» من القمقم ، كما انطلق قبله مارد «الطاقة الذرية» . وإذا كانت البشرية قد أخذت درسا من استخدامها الشرير للطاقة الذرية ، فالذي نرجوه أن تضع الآن على عاتقها مهمة تسيير القوة الجديدة في قنوات تؤدي إلى إنقاذ الأرواح ، والحفاظ على الميراث الجيني الغني للبشرية . □

الدين أولا



● فردريك الكبير
ملك بروسيا

● أراد ملك بروسيا فردريك الكبير أن يكافيء أحد قواده البواسل ، فاستدعاه ، ووضع أمامه على منضدة وساما وكيسا مملوءا ذهبا وقال له :

خذ واحدة من هاتين الجائزتين .

فأخذ القائد كيس المال دون أدنى تردد .

فقال الملك : يظهر أنك لا تكترث للشرف لأنك فضلت المال على الوسام . فأجاب القائد الأبيّ : عليّ دين يقتضي شرفي أن أفيه قبل كل شيء ، أما الوسام فإنني أسعى إلى اكتسابه في المعركة القادمة .

على الحقيبة البنية ، وحرصت على ألا تبقى معي الحقيبة السوداء ، منحتها راحتي ونومي .

تركتها تجثم على ركبتي ، ألقي عليها بين الحين والآخر نظرة ، يختلط فيها العطف بالحنان بالحب ، دعوني أحدثكم عن الحب الذي أحمله لهذه الحقيبة . يقال : « الله لايطيح حبك على حجرة » (*) أما الحقيبة السوداء فهي أجدر بالحب . في سهري أفكر فيها، وفي غفوتي أحلم بها . حرصت على أن تكون من الجلد الممتاز ، وحرصت أكثر على الاعتناء بها بنفسي ، فلا أحد يفتحها غيري . كل من في المكتب يعرف ذلك . سمعت مرة أحد الموظفين يقول عنها الحقيبة المقدسة . لو يعلم الغبي أنها مقدسة فعلا لما أطلق ملاحظته الساخرة . مقدسة . لقد أفلح المعتوه في نعتها . قالت أخرى يبدو أنها عاشقة أو معشوقة أو قرأت حكايات الغرام التتري لو عرفوا قيمتها ، لو عاشروها ، لو فتحت لهم صدرها . لكن هذا لن يحدث .

السائق يبتسم ، لعله لاحظ أنني أكلم نفسي ، أو لعله رأى الرقة التي أتعامل بها معها . سيعتقد بدوره أنني مجنون ، فليبعث ما يبدو له .

تتوقف السيارة . يفتح السائق بابها وأنزل ، وحقيبتي السوداء في يدي . لقد قلت لكم : إنها لن تفارقني أبدا . يفتح خزانة السيارة الخلفية ، يخرج الحقيبة البنية ويحملها إلى داخل المطار .

كم هي متعبة هذه الصحافة . وهؤلاء الصحفيون . هاهم يترصدون خطواتي بآلاتهم ، وأجهزتهم ومعداتهم . يتسارعون نحوي ، أبتسم لهم . يتقدم أحدهم مني بآلة تسجيل ، ويطرح علي سؤالا ، ثم آخر ، ثم آخر . آلة التصوير تدور وأنا أرد . الأسئلة

(*) عبارة تتردد في المغرب تعني « حفظك الله من حب من لا يستحق الحب »

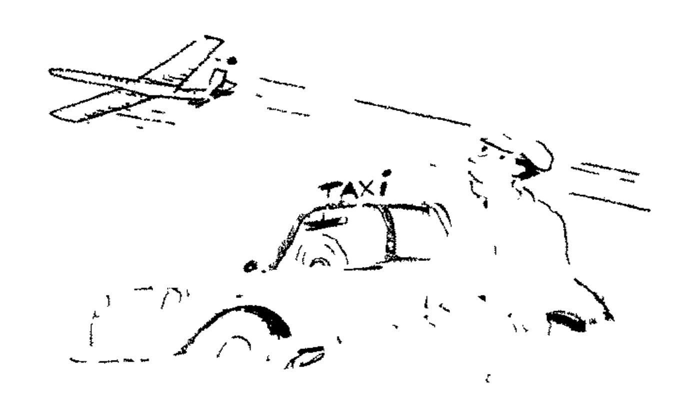
نفسها تطرح ، الأجوبة نفسها تكررها الصورة ، ويرددها الصوت عبر لاقط الصوت « الميكرفون » وتظهرها الصحف في صفحاتها الأولى في اليوم التالي .

أهم من هؤلاء كلهم الحقيبة .

هل أقول إني أكذب عليهم ، وأن الدافع الرئيس لسفري هو هذه الحقيبة الجميلة ؟ سيبتسمون ، وسيعقب أحدهم ببلادة أو بخبث : بالتأكيد ففيها كل شيء . أعتقد أنهم يعرفون أنني أكذب . وأنا أعرف أنني أكذب . ومن سيشاهد الخبر يعرف أنني أكذب ، ومن سيقرؤه يعرف أنني أكذب . وتأخذ الكذبة طريقها متنكرة في زي ، أوه ، لا داعي للخوض في حديث لايسمن ولا يغني عن حقيبة سوداء جميلة جذابة .

أعطي للسائق أوراقي كلها ، جواز السفر ، تذكرة السفر ، كل شيء ، ليقوم بإجراءات الجمارك ، إلا الحقيبة السوداء . يتسارع نحوي مسؤولو المطار ، ويقودونني بحفاوة واحترام كبيرين إلى قاعة الشرف . بالتأكيد ، فأنا كما تعلمون لا أنتظر دوري في طابور ، وأنا كما تعلمون أول من يصعد الطائرة . وأنا كما تعلمون صاحب امتيازات لاتعرفون منها إلا النزر اليسير . تفتح القاعة ، ويسارعون إلى إحضار ما أطلب من مرطبات ، يتطوع أحدهم بحمل حقيبتي السوداء ، فأكاد أنقض عليه . يعتذر بابتسامة مرتبكة . عندما يختلي بنفسه سيعاد المشهد أمام عينيه وستدور في رأسه أفكار ما فلتدر ، أنا مجنون الحقيبة السوداء . يعود السائق بعد أن هيأ كل الترتيبات ، يودعني ، يتمنى لي السلامة والتوفيق .

تنطلق الطائرة مخترقة الفضاء ، وأقلب جريدة تقول صفحتها الأولى : إن أحد رؤساء العالم قرر أن يقوم بحرب شعواء على مهربي المخدرات . هو يعرف أن ما يقوله ادعاء . أنا أعرف ذلك أيضا . كيس واحد أبيض في حجم



الكف يجلب أكداسا من الأوراق الخضراء . أين تذهب الأوراق الخضراء ؟ ألا تدخل المصارف ؟ وماذا تعمل بها المصارف ؟ ألا تساهم بها في تنمية المشاريع الاقتصادية النبيلة ؟

أتحسس حقيبتي السوداء الجميلة الساحرة . قبل دقائق تقدمت مني المضيفة الجميلة ، جميلة هي بالتأكيد ، لكنها أقل جمالا من حقيبتي ، واقترحت علي أن تضعها في الخزانة الموجودة فوق رأسي ، رفضت مبتسما ، وابتسمت رافضا ، ولم تلح . أقرأ الجريدة ، وأتحسس حقيبتي ، أتفحصها لقتل الوقت فقط . ثم لم لا أقتل الوقت بالتفكير في جميلتي الرابضة على ركبتي ، لم أقتله بقراءة هذه التفاهات ؟ نعم ، فكرة رائعة . هاهي الطائرة تنحدر نحو المطار الآخر دون أن أشعر بالوقت .

أنزل ، أتقدم نحو السلطات ، وأرى صديقي يلوح لي بيده ، أحييه ، فيتقدم نحوي بعد أن تحدث إلى الموظف هناك ، وحرك الموظف رأسه موافقا ، ثم تبادلا عبارات . وهاهو يقبل نحوي ضاحكا ، أصافحه ، أعطيه أوراقي لتنفيذ الإجراءات ، ويذهب إلى قاعة الشرف ، يطلب لي مشروبا . تمر لحظات نتبادل خلالها الحديث عن الطقس وعن الحالة العائلية يدخل شخص يتقدم نحو صديقي في أدب جم ، ويطلب مني الحقيبة السوداء الجميلة ، أكاد أرفض ، يضحك صديقي معاتبا الإجراءات التي لم تعد تفصل بين ذوي المقام

الرفيع والحثالات التي يحفل بها العالم . أشعر بقلبي ينفطر ، وبرأسي يدور ، ولم أجد بدا من اعطائه الحقيبة الفاتنة . يتسلمها الموظف ويقول : إنه سيعود بها بعد لحظة .

كم أتمنى أن يعود بها بعد لحظة .

يتحدث صديقي كثيرا ، يقول أشياء لا أعي منها شيئا . ألم أقل لكم إنني مجنون الحقيبة السوداء ؟ لن يعود إليّ وعيي إلا بعودتها ، ويعود الموظف دون الحقيبة . أتمسك بأعصابي ، تحاول الافلات مني ، ولكنني أتمسك بها . يقترب من صديقي ويهمس في أذنه . يلتفت نحوي الصديق ، ويطلب مني أن أسمح له بالغياب لحظة، إذن هي الواقعة .

انتظروا أنا أعلم ، انني أعلم ما أنتظر . ويعود صديقي وحده ، ويتأسف عن غيابه ، ثم يهمس بدوره بكلام كنت أنتظره . يقول كل شيء بهدوء وبسلطة . يدخل في حديث أخلاقي طويل ، لعله ينسى أنه يكلم مثقفا كبيرا غير محتاج لدروس من هذا النوع . ثم يفضي إلي بقرار رؤسائه الذين ما إن علموا بالخبر حتى رفضوا استقبالي ، وأمروا بابلاغ رؤسائي عن طريق البرق . رفضوا أيضا دخولي إلى بلدهم . وقالوا : إن احترامهم لعلاقات معينة سيجعلهم يكتفون بطردي من بلدهم .

يعتذر الصديق لأنهم كلفوه بتنفيذ إجراءات عودتي فورا ، وينصرف . أنتظر هناك وكلي غليان في غليان . إنها الواقعة .

حقيبتي الجميلة السوداء الفاتنة ذهبت إلى غير رجعة . تعود فقط الحقيبة البنية ، وأمتطي طائرة تأخذ الاتجاه المعاكس .

في المطار تنفذ الإجراءات ، وأجد السائق بانتظاري . أخبروه إذن . يحمد الله على سلامتي ويحمل الحقيبة البنية . أصل إلى البيت ، تستقبلني الخادمة ، تحمد الله على سلامتي ، تتولى مهمة حمل الحقيبة البنية ، ولا تسألني عن السوداء لعلها تتعمد ذلك . ثم أتلقى خبرا مفاده أن رئيسي يريد رؤيتي فورا . أرتجف قليلا وأذهب إليه .

يستقبلني بشوق ، ويأخذني إلى قاعة الاستقبال ، ويعطي أوامر أدرك عند تنفيذها أن رجال الإعلام قادمون يحملون آلاتهم وأقلامهم . يهمس في أذني : مبروك

يقول رئيسي : كافأناك لأنك تستحق المكافأة . أبتسم ، وأضحك ، يعانقني تلتقط الصحافة لنا صورا وأفكر في اقتناء حقيبة جلدية سوداء جديدة □

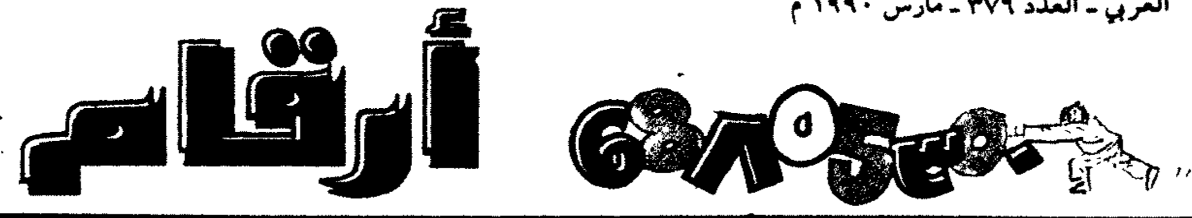
ممن تعلمت الحلم ؟

● قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ؟

فقال من قيس بن قيس بن عاصم ، كنا نختلف إليه في الحلم ، كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه ، ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه ، فجاءوا به مكتوفا ، فقال دعرتم أخي ، أطلقوه ، واحملوا إلى أم ولدي ديته ، فإنها ليست من قومنا ، ثم أنشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية
إحدى يديّ أصابتني ولم ترد
كلاهما خُلَفٌ عن فقْد صاحبه
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي





بقلم : محمود المراغي

الفلسطينيّون

الفلسطينيون هم الخبر اليومي في الصحف والإذاعات ووكالات الأنباء ، ومع ذلك فإن صورتهم لاتكتمل ولا تتضح دون قراءة الأرقام التي تزداد أهميتها ونحن نتحدث عن الدولة .

الفلسطينيون يزيدون على خمسة ملايين نسمة ؛ أي أنهم يفوقون « إسرائيل » عددا ، لكن السؤال : أين توجد هذه الملايين ؟ كيف يعيشون ؟ ماهو نشاطهم الاقتصادي ؟ إلى آخر علامات الاستفهام التي ترسم الملامح الأساس لشعب من الشعوب .

في محاولة للإجابة ، واستنادا لأرقام الجامعة العربية ، يصدمنا الواقع .

الشتات : ذلك هو مايعرفه الفلسطينيون جيداً ، وتبرزه الأرقام بوضوح ؛ فإن ٣٩٪ يعيشون على الأرض الفلسطينية المحتلة ، بينما تعيش الأغلبية خارج الحدود ، ابتداء من نقاط التماس في الأردن ولبنان ، وامتدادا إلى بلاد الغربة في الولايات المتحدة أو أمريكا اللاتينية أو أوربا واستراليا .

هم شعب الشتات ، في الداخل والخارج ، ولأنهم كذلك فإن توزيع تجمعاتهم يأتي على غير المألوف - إن ربع الفلسطينيين - أو أكثر قليلا - يعيشون في الأردن الذي يضم أكبر تجمع فلسطيني ، ويليه التجمعات الثلاثة :

سكان الضفة الغربية (١٧,٤٪) ، وسكان الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م من الفلسطينيين (١١,٨٪) ، وسكان غزة (٩,٨٪) والرقم الأخير يقترب من عدد الفلسطينيين في جنوب لبنان .

وتشير الأرقام إلى أن أكبر الأقطار العربية استيعابا للفلسطينيين - بعد الأردن ولبنان - هو الكويت ، كما تشير إلى أن مجموع ما تستوعبه الأقطار العربية يقترب من ٥٥٪ من الشعب الفلسطيني .

والأرقام على هذا النحو تثير الأسى عند القاريء العربي ، لكنها عند « الاسرائيليين » تثير الفزع ، فعلى الرغم من كل محاولات التهجير للفلسطينيين التي نجحت جزئيا فإن ما بقي على الأرض يثير المخاوف لديهم .

في هذا العام - ١٩٩٠ - تذهب التوقعات إلى أن عرب الضفة والقطاع سوف يمثلون ٣٩٪ من السكان فوق الأرض الفلسطينية . ولكن . وبعد عشرين عاما ، فإن النسبة تقفز إلى (٥٠٪) ، وبما يعني - بإضافة الفلسطينيين في الأرض التي احتلت ١٩٤٨ - أن العنصر الفلسطيني سوف يكون أغلبية السكان في القرن القادم ، وربما يهدد كيان « اسرائيل » .

هذه الحياة

لا تستطيع « اسرائيل » أن تمنع الإنجاب - ونسبته عالية بين الفلسطينيين - لكنها تستطيع أن تمارس كل أنواع القهر ، والضغط الاقتصادي ، لتدفع أعداداً متزايدة إلى الخارج ، أو لتجعل لهذا التفوق السكاني أهمية اقتصادية وسياسية أقل .

داخل الأرض المحتلة (١٩٤٨) ، وطوال سنين الاحتلال أصبح التراجع سمة للاقتصاد الفلسطيني : فالأرض الزراعية التي يملكها فلسطينيون أصبحت أقل ، والأرض التي تتمتع

بالري المنتظم صارت تنكمش ، والتقنية الحديثة لليهود أولا . لذا ، وفي عام ١٩٥٥ كان نصف العمالة الفلسطينية - تقريبا - يعمل في الزراعة ، فأصبحت النسبة عام ١٩٨٦ (٨,٣٪) فقط لاغير ! وفي العام نفسه فاقت نسبة البطالة بين الفلسطينيين (١٢٪) ، بينما كانت النسبة بين اليهود نصف ذلك .

ومن الرزق ولقمة العيش يمتد الحصار إلى مجال الخدمات التي يتمتع بها الفلسطيني ، فعلى الرغم من حسبانه عند الكيان الصهيوني مواطنا « اسرائيليا » ، فإنه عند توزيع الخدمات يختلف الأمر .

مثال ذلك ، المزايا التي يجري منحها في قطاع الإسكان وتساعد في الحصول على وحدة سكنية . هذه المزايا لاتشمل الفلسطينيين ، والسبب أن القانون قد نص على أن المزايا تمنح لمن أنهى الخدمة العسكرية الإلزامية ، وبالطبع فإن الفلسطيني خارج هذه الدائرة .

مثال آخر : التعليم ، ففي عام ١٩٨٦ لم يكن هناك أكثر من ٥٨٢ طالبا في التعليم الجامعي ونصف الجامعي . وبين عام ١٩٤٨ و ١٩٦٤ لم يتخرج في كليات الطب أكثر من عشرة فلسطينيين . حتى بداية السلم - وهي روضة الأطفال - لا تستوعب أكثر من (١٠٪) من أطفال الفلسطينيين ، بينما ترتفع النسبة إلى أكثر من (٩٠٪) عند اليهود !

الحصار على جميع الجهات ، والفلسطينيون يردون من خلال تمسكهم بالمدارس العربية التي تستوعب ٩٢٪ من تلاميذهم .

الدولة

زاد عمر الاحتلال في معظم الأرض الفلسطينية على أربعين عاما ، واقترب في الضفة والقطاع من ربع قرن . فما هي أحوال السكان في غزة والضفة الغربية ؟

تقول الأرقام : إن الاحتلال الصهيوني قد استولى ، حتى عام ١٩٨٥ ، على نصف أراضي الضفة الغربية ، و (٤٠٪) من أراضي غزة ، و (٩٥,٥٪) من مخزون المياه ، حتى بات معدل استهلاك الفرد من المياه في الضفة الغربية ، طبقا للتقرير الاقتصادي العربي الموحد ، أربعة أمتار مكعبة في العام ، في مقابل تسعين مترا في المستوطنات « الاسرائيلية » .

الفارق شاسع ، لذلك فإن نسبة نمو الناتج المحلي في الضفة الغربية وقطاع غزة تأتي - إذا راعينا التضخم - بالسالب ، أي أن الدخل يتناقص تقريبا عاما بعد عام ، والمشتغلون في الزراعة والقطاعات السلعية يقلون عددا ، وطابع النشاط الصناعي حرفي في الأساس ، والخدمات تسير على الوتيرة نفسها فعدد الأسرة في المستشفيات يقل ، والأمراض تزيد ، وفرص التعليم تتراجع ، وثلث السكان يعيشون في مساكن الغرفة الواحدة ، بينما يعيش نصف السكان في مسكن من غرفتين فقط !

في هذه الظروف يصبح طبيعيا أن تلعب « اسرائيل » لعبتها .

فالاقتصاد الفلسطيني ينبغي أن لا يكون إنتاجيا ، لكن التجارة والخدمات تحتلان المكان الاول ، وقد أصبحت التجارة الخارجية هي أهم مكونات الدخل ، وأصبح العميل الأول : « اسرائيل » وتسجل أرقام ١٩٨٦ - قبل الانتفاضة - أن ٨٩٪ من واردات الضفة والقطاع قادمة من تل أبيب ، بينما تتجه ٧٣٪ من الصادرات إلى « اسرائيل » أيضا !

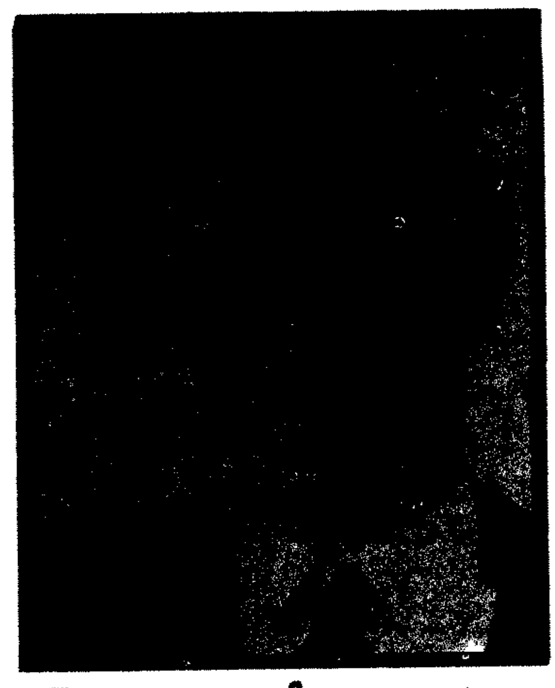
على الجانب الآخر جاء ضرب الاقتصاد الفلسطيني لحساب « اسرائيل » التي حصلت دائما على يد عاملة رخيصة ، ليس لها حقوق عمالية في معظم الأحوال . وبين (٢٦١) ألف مشتغل فلسطيني في الضفة والقطاع عام ١٩٨٦ اتجه (٩٥) ألفاً للعمل داخل الكيان الصهيوني .

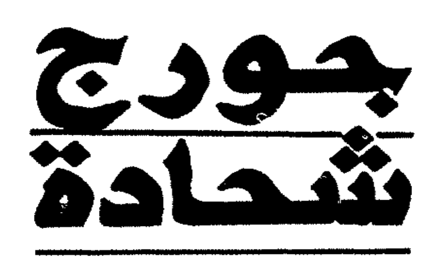
الآن ننتظر ميلاد الدولة ، والآن ننتظر الأرقام الجديدة التي خلقتها الانتفاضة ، والتي تشير إلى أن عملية فض الاشتباك بين الاقتصاد الفلسطيني والاقتصاد الصهيوني مقدمة أساس للاستقلال ، وعلى الدرجة نفسها من الأهمية : مساندة الاقتصاد الفلسطيني ، وهي مهمة عربية ، ومهمة الفلسطينيين خارج الحدود . □

الرأسمالية تجدد نفسها

تأليف

الدكتور فؤاد مرسي





جورج شحادة
الشعرُ والبراءة والمسرحُ الكبيرُ

بقلم : الدكتور نديم معلا محمد*

لا يمكن للمرء إلا أن يدهش وهو يرى قامة هذا الشاعر اللبناني ، وهي تنتصب ، وسط حشد كبير من الكتاب المسرحيين الكبار الذين أسسوا التيار المسرحي الطليعي الذي ما زال تأثيره قائما حتى اليوم . فمن هو هذا الشاعر ؟ وما أهم أعماله ؟

وقف جورج شحادة جنبا إلى جنب ، مع يونيسكو ، وبيكيت ، وجان جينيه ، وآداموف ، وجان فوتيه ، أولئك الذين صنعوا ما سمي المسرح الطليعي . عزف شحادة لحنا عذبا شفافا ، جميلا ، نثر الشرق في كل زاوية ، وأطلق صوتا نادرا ، لا يشبهه صوت ، تتوحد فيه البراءة الناعمة بالطفولة المفجعة حينا والأسرة الفاتنة حينا آخر .

بين العبث والأمل في الإنسان

تشرّب شحادة الثقافة الفرنسية وأدرك سر لغتها ، لكنه بالمقابل ـ وكما قال المخرج المسرحي الشهير جان لوي بارو ـ سيد من أسياد اللغة الفرنسية . خلع على الكلمات وشاحا سحريا ، فجر فيها الصورة والإطار ، ترك الحلم يمتزج بالهواء ، وأخرج الضحكة من قلب

* كاتب من القطر العربي السوري .

الغرابة ، وفتح أعيننا على قسوة الحياة ، ولم يتوقف عن البحث ، عن الحقيقة والبراءة والشباب ، كما قال الناقد الأمريكي ليونارد برونكو ، في كتابه « مسرح الطليعة » . وعلى الرغم من أن شحادة أقرب إلى العبثيين ، باتساع مساحة الحلم وتقوض المنطق ، فإنه لا يغلق النوافذ والأبواب أمام الإنسان ، بل ثمة قبس ، ثمة ضوء يكسر أمواج العتمة . ويذهب برونكو إلى القول : « إن شحادة يقودنا إلى جنة عدن ، ويتيح لنا أن نلقي نظرة على ما في داخلها » .

ولعله يريد أن يقول : إن مسرح شحادة ليس نفقا مظلما .

إن شخصياته لا تتحلل من واقعها ، ولا تبدو على قطيعة معه ، أو متنافرة معه .

أولى مسرحياته

في مسرحية « السيد بوبل » وهي أولى مسرحياته (١٩٥١) يرسم الكاتب شخصية غريبة ، شخصية لغزا ، يملك بوبل لمسة ساحرة ، تبعث الحياة في الطبيعة ، والإنسان على حد سواء . كأنه يلقي الضوء في كل الاتجاهات ، كأنه يتسلل إلى القاع ، إلى الداخل ، فيزيح الملوث ويبسط الصفاء . دخل قرية باولا سكالا ، وهو المسافر الغريب ، فحرك كل شيء فيها . « آثرت أن أقيم إذعانا للواجب ، وطلبا للمرح والدعابة ، ورغبة في الصلاة » . قد لا يستطيع أبناء القرية تفسير سلوك بوبل ، وقد تبدو كلماته سلسلة متصلة من الألغاز التي تستعصي على عقولهم ، بل قد يبدو هو وكأنه حط رحاله تواً وجاء من قارة أخرى ، أو عالم آخر . ثمة حقيقة ساطعة بالنسبة لسكان باولا سكالا ، وهي أنه طيب ، نقي ، طفل في إهاب رجل .

السفر ، تلك النغمة الشجية العذبة القلقة في آن واحد ، تخترق مسرحيات شحادة ، تبدد السكون ، تؤجج نار الرغبة باكتشاف الأماكن القصية المجهولة التي تتحطم على صخورها السفن .

لقد تعلقت قلوب القرويين ببوبل المسافر ، وراحوا ينتظرون عودته مع كل فجر . لكن نهاية السفر موت ! كأن بوبل يفرغ ما في كيسه من مرح وشعر ودعابة ، ثم يرحل إلى مكان آخر ، ليضع رأسه على وسادة الموت ، بعد أن يكون قد خفف قسوة الحياة ، وجعل الإيمان بوجود الربيع ممكنا .

الرحيل ومهاجر بريسبان

وفي مسرحية « الرحيل » يستبد الحنين إلى السفر بالشاب كريستوفر ، فيدفعه هذا الحنين إلى التنكر بملابس البحار ، وتنكر وتقمص شخصيته ، ثم تحمل ـ ودون أن يدري ـ مسؤولية جريمته . وفي المحكمة يعلن أنه سوف يتحمل ما اقترفته يدا البحار .

لم يغادر كريستوفر بلدته إلا في الحلم ، إلا أن الحلم أقوى من الواقع . أليس السفر محركا للشخصية ، ودافعا لها باتجاه الفعل ؟

في « مهاجر بريسبان » (١٩٦٥) يستيقظ سكان القرية على مشهد غريب :

ـ رجل ملقى في الساحة ، وثروة طائلة تستقر في جيب ولد ، تُثبِتُ علاقة أمه بهذا الرجل الغريب .

وهكذا يلقي شحادة القنبلة في قلب القرية الهادئة ، وهكذا أيضا ، وبالقدر نفسه تشتعل النار ، نار الشرف ، ونار الثروة . يخلخل الغريب بنية القرية ، وتخرج إلى العلانية ، كل الأشياء ، تقف كلها على السطح : الفقر والحب والشرف والصبر .

الثروة إذن في مواجهة القيم كلها . الثروة تهزم البراءة ، إلا أن البراءة تحلق في الغابة (عبر شخصية آنّا) . ويشير الكاتب إلى مرورها العابر في سماء القرية ، خارج نسيج البنية الدرامية .

شيء يشبه الخرافة الرائعة ، واقع عجيب ليس أكثر من حلم ، إلا أنه يزلزل كل شيء : يا للحوذي الذي حمل المهاجر والمال ورماه في ليلة مقمرة في ساحة قرية مجهولة ، فإذا كل ما بدا متماسكا قوياً يتداعى ، كاشفا عن هشاشته الداخلية .

الغريب إذن لغز ، ووحوده العابر يتغلغل في النفس ، يلقي ظله على الطبيعة ، كما يلقيه على الإنسان ، ونهاية الرحلة موت لا يشبه الموت .

وإذا كان الكاتب لا يرغب في تحديد فضاء مسرحياته ، أو بعبارة أدق تأطيره ، فإنه في

جورج شحادة

بطاقة :

● ١٩١٠ - ولد في الاسكندرية من أسرة لبنانية

● ١٩٣٠ - سافر إلى باريس حيث التقى الشاعر سان جون بيرس الذي نشر له بعض قصائده .

● ١٩٥١ - استقر في باريس وقدم له مسرح هوشيت مسرحية « السيد بوبل » .

● ١٩٥٤ - قدم له المخرج جان لوي بارو مسرحيته الثانية « أمسية الأمثال » .

● ١٩٥٦ - تم اللقاء الثاني بين بارو وشحادة في مسرحية [illegible] فاسكو » .

● ١٩٦٠ - حدث اللقاء الثالث بين الكاتب والمخرج في مسرحية « سهرة الأنس » .

● [illegible] - مسرحية « مهاجر بريسبان » [illegible] اخراج كورت [illegible]

● [illegible] سلسلة المسرح العالمي [illegible]

« البنفسج » (١٩٦٠) يحيل الفندق إلى مكان مسرحي مغلق ، تلتقي فيه شخصيات ، ليست غريبة فحسب ، وإنما مخيفة ، سيدة تزعم أنها أحدثت ثورة في الحساب إذ تقول : إن ٦ + ٦ تساوي ٦٦ !

في الفندق فتاة جميلة ، ابنة أخي صاحبة الفندق ، تملأ حياتها بالحب والهدوء . يأتي من يخرق التوازن السائد ، يأتي العالم كوفمان الذي يعتزل في عالمه الخاص ، ويتفرغ لإجراء التجارب على البنفسج . يتحول البنفسج الذي يتضوع عطرا ، على يديه ، إلى قنبلة .

الحب مهدد بالفناء والدمار . قد يأتي على كل ما هو رقيق وعذب .

البنفسج رمز البراءة الإنسانية ، والحب هو الذي يحمي هذه البراءة ، ولا يريد شحادة أن يكون البنفسج موتا وخرابا ، لذلك تشق الفتاة الجميلة دربها إلى قلب العالم كوفمان ، ويهرب العاشقان إلى فضاء يزهر فيه البنفسج .

يدخل كوفمان الغريب المكان ، فيحدث فيه انقساما ، ولا يرحل الغريب هذه المرة حاملا سره ولغزه ، ولا يموت على مشارف القرية أو في ساحتها ، أو في مكان آخر بعيد ، بل يمضي محطما المكان السجن إلى مكان تتموه فيه البراءة بالبنفسج .

البراءة هنا بنفسج ، وفي « مهاجر بريسبان » تتجسد في الطفلة آنّا ، وفي كلتا المسرحيتين تحلق في أجواء المكان ، ويدخل البنفسج هنا في تركيب البنية الدرامية ، بل إنه مركز ثقلها ، أما في « مهاجر بريسبان » فيحلق طيف الفتاة كعصفور ، في جناحيه يحمل الضوء .

البراءة ضوء والطفولة ضوء ، والحلم أقوى حضورا من الواقع .

وجورج شحادة ، لا ينفك يعيد صوغ الحوار العادي ، بلغة لا يفارقها الشعر

في كل مرة يمسك خيطاً درامياً لا ينقطع ، ألا وهو إيقاظ تلك الرغبة الدفينة في الإنسان ،

استعادة طفولة مضت « أحب صخب الأطفال وعنادهم حتى يخف اضطرابهم » هكذا يردد السيد بوبل .

وعندما يموت فاسكو ، ولا يغدو بطلا كما أراد له القائد ، يصفه الضابط العدو قائلا : « له نظرة طفل وديع ، يرتعب من الذئب ، وهو مع سلته ومظلته قد اتخذ مكانه في حيز البراءة » .

الباحث المسافر دائماً

الإنسان ، في مسرح جورج شحادة ، يكافح ضد الحياة نفسها ، يتقصى دائما مثلا أعلى أفلت منه . الماضي يشده إليه ، بيد أنه ليس سجينا فيه ، لذلك فهو الباحث دائما ، المسافر دائما .

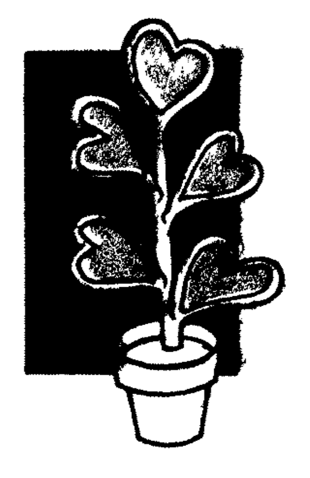
صحيح أن عالم شحادة مغلف بالأساطير والخرافات ، لكن الصحيح أيضا أنك تشعر بالخرافة والأسطورة وقد تحولت شعرا محسوسا ، يشي بالعادي واليومي . ليست الكائنات عنده متصارعة ، وإنما متآلفة ، ثمة رابط ، أو ناظم خفي ، يربط بينها (البراءة ـ الطفولة ـ المثل الأعلى) ، في كل مرة يقتحم غريب قرية أو مكانا ما ، ويمزق سكونه (مهاجر بريسبان ، السيد بوبل ، كوفمان) ، لكنه لا يدخل في صراع معه ، إذ ليس في مسرح شحادة صراع درامي تقليدي ، وقد تختلف الآراء والأهواء وتتنافر الرغبات ، إلا أنها لا تتصادم ، والصراع الدرامي في أبسط تعريف له : صدام بين قوتين .

تبحث في مسرح شحادة ، عن الأفكار والموضوعات وتجلياتها ، فلا تعثر إلا على صور ، وأحلام ، ورؤى تقترب من الخرافة . إنه لا يبشر بايديولوجيا ، ولا يروج لثقافة محددة أو لتيار محدد . ابحث في تضاعيف أعماله عن الثابت الراسخ ، غير القابل للنقض ، فلن تجد شيئا من هذا القبيل .

في الشهادات التي يوردها أدونيس ، في مقدمة ترجمته السلسلة التي عرفت كيف تجمع بين الشعري والمسرحي ، ثمة إجماع على أن قلة الفعل في مسرحه ، والاسترسال في الحوار ، لا يدفعانك نحو الملل ، وإنما يدخلانك أجواء كل ما فيها يأسرك . حقيقة : إن مسرحه مسرح جو ، وليس مسرح فعل أو حدث صاخب ، مسرح لا يؤخذ صاحبه بالمظاهر ، بل في البحث عن الجوهر ، عن ذلك الذي لا تقع العين عليه مباشرة .

مسرح جورج شحادة ، مسرح فضاؤه الكون ، وشخصياته تتقاذفها أمواج البراءة والطفولة والحلم الذي لا يشبه الأحلام . □

تعريفات لاذعة



* الإنسان : هو المخلوق الوحيد الذي يولد باكيا ويعيش شاكيا .
* الاعتذار : تقهقر نظامي في معركة كلامية خاسرة .
* الأرباح : النتيجة الختامية لخسائر الآخرين .
* الأمل : وجبة خفيفة ولكنها مقوية .
* الأناني : امرؤ يحرق منزلك ليسلق بيضة .
* البخيل : رجل ينتحر جوعا لقتل ورثته بالتخمة .
* الجبان : يفكر في حالة الخطر بقدميه .
* الحب : نبتة بيتية تحتاج إلى الري كل يوم .



كوابيس لعرس الحبيبة

شعر : شوقي بزيع *

تُزَفِّين للحرب هذا الصباح
يقتضي المَشهدُ العاطفي بأن تَنْهضي من رُقادِك
مُجلّلةً بِسوادِك
وأنْ تُتْبِعي دقّة الصمت
وهْوَ يزُفّ الفجيعة للحاضرين
يقتضي المَشهدُ العاطفي بأن تخلعي ثوبَ عُرْسِك
وترميه طُعْماً للعب الغريزة
أوْ تُمضي فيه جُرحَ السرير
تُزَفّين
ليْت يداكِ اللتين تفوحان تحت البياض المرير

* شاعر من القطر العربي اللبناني

ولا كتفاك اللذان يشنَّان حتى الزّبد
ولا الموكب العاطفيُّ أحد
هي الحرب
تُلقي بقفازها المترهِّل في كُلِّ يد
وتجعلُ منْك عروساً على الانهيار
ليفْضح عُرْسك عجز الْجسد

تُزفين للحرب
للإنْكسار الغريزي

وهُو يعضُ ابْتسامتك اليانعة
وفاء انهضي ،
لا أريدُك شاحبةً ووحيدة
لا أريدُك ذكرى على صفحات الجريدة
أُريدُ يديْن نَحي تَحْملاني إلى النر
عيْنيْك كي تفْضحا قسوة المرْحلة
هي ذي تتهادى ببطءٍ ثقيل
تُحرِّك أعضاءها بقليل من الريح
ثُم تسيرُ إلى عُرْسها

كالملائكة الْمتعبين
الجنوبية القسمات
اليتيمةُ بيْن النّساء
التي ينْحني صدرها لأقلِّ البراعم
تمْشي إلى عُرْسها الآن طافحةً بالسّواد
وتبْني منَ الذّكريات البعيدة فرْدوسها المستعاد
لا ،
ليْس عُرْسُك هذا ،
هُو عُرسُ البلاد ،
هُو عُرسُ الذين أحبوا
وَأثكلهُمْ (أربعاء الرماد)
أيْن الْعروس ؟
ـ سيدي ،

ذهبتْ تجْمعُ الأقحوان عنْ القاسمية .
ـ أيْن العروس ؟
ـ إنْها تسْتحمّ على ضفة النهر
كي تتوحد قبْل الزفاف
بموجته الأزلية
ـ أيْن العروس ؟
ـ إنْها تقْطفُ التبغ في ديرقانون
سيدتي ، امرأتي ، طفْلتي
لحني القروي الخجول
اسْتفيقي من الحزن
شُدّي يديْك على نخْلة القلب
ها هُمْ يُنادونك الآن ،
إنْ كُنْت راضية بالزواج فقُولي . نعم
لا تخافي من الْقُبلة الأبوية
يطْبعُها فوق خدك

وحْشُ السأم

ولا تُطْبقي راحتيكَ على محْبس الأسئلة
فها نحْنُ ،
لمْ نتغيَّرْ كثيرا ،
ولمْ يخترقْ لحمنا خنْجرُ الحرب
لكنّه موتُ بيْروت فينا
حمَلْناهُ مُنْذُ سنين لِيَقْتُلنا الآن ،
هُو عُرْس الْحبيبة ،
بيْروتُ طبل ينامُ على جُثّة الْوقت
بيْروتُ ساحة عُرْسٍ ودبكة موْت
وفي ليْلها رجلٌ وامرأة
يتْبعان معاً سهم رَوْحيْهما الْمُتشرِّد
أوْ يركُضان وحيدين ضِد انهيارات عاصمة
يحْفُران الخنادق كَي يحْميا وردة الشعر ،
يحْتجزان الْجمال الكسيح لأغنية البحر ،
يفْترقان
لكي تتزوج كَابوسها العائلي

ويرقبُها ذابلا ووحدا
وبَيْروتُ مِنْ حوْله شارعٌ مُقفر
وزواجٌ بَعيد
هُوَ عُرسُ الْحبيبة
هلْ تشهدون حُضوراً لهُ هذه الأبهة ؟
كُلُّهُمْ يَدْخُلون تباعا إلى باحة الاحتفال ،
الْجنُوب وأوجاعُهُ ،
الشَّجراتُ الحزانى
السدود على النهر ،
موْجةُ صور المريضة ،
صفٌّ قبور يصفق بين الأكاليل،
أضغاثُ خوف،
مظاهر يتقدمها «حسن الحايك» المستريح
على شتلة التبغ
وأنا واقِفٌ في العراء الإلهي وحدي
أراقب حفل الزفاف الذي يتحلق من حوله
راقصون بطيئون
وامرأة تستجير
وَفاءُ تُزفُّ إلى الحرب
وَفَاءُ تُكُفُّ عَنِّ الحب هَذا الصباح
وَقَدْ ضفَّرتْ شَعْرَهَا بِحطام بِنفسجةٍ
وارْتَدت طَرحةَ الخوفِ ،
ثُم دَعتَني لأنْ أتزوجُ بِنْتاً سِواهَا
وَخَانَتْ ذِراعي عِنْدَ اللقاء الأخير
هُوَ عُرُسِ الْمَدِينَةَ لا عرسها
افتحوا كُلَّ نافذةٍ مُغْلَقةٍ
اضربوا الآن كفًّا بِكَف
وانهضوا كي تروها تُزَفّ ،
انهضوا كيفما اتفق ،
الحكماءُ مِنَ الْخندق الحكمي ،
النِّساءُ مِنَ الوحشةِ الأنثوية ،
وانتظموا في صُفُوف
دعوا كل شيء كما هُو ،
خلّوا البنايات مقلوبة
والمتاريس منْصُوبة
واستعدوا ،
لِنقْرع بيْنَ يديْها الدفوف

تزفّين بيْنَ الكوابيس
بيْروتُ ساحة عُرْس مُدمًى
وفي وسطها ترْقُص امرأة بالقبور
تُصفِّق أنْصافُ أبنيةٍ ومتاريس
يمْشُون خلْفُ الْعرُوس
التي لا تبين مَلامحُها
ثُمَّ يتَّضحُ الْمشهد ،
امرأة هي أنت ،
تُرافقُها أذرعٌ وأكاليلُ ،
يحْملُها رجُل باتجاه السرير الذي يَشبه القبر ،
ثُم يهيلُ التّراب على صدرها الْمتقهقر
نحْو الوراء
امرأة تَسْتَغيث
وَلَا مَنْ يُجِيبُ النداء
يَقولون : هذي وفاء
وَتِلْكَ ابتسامَتُها
تَتَأبطُ في الصفرةِ الأنثوية شخصاً سِواك
وَتَنْسَاكَ
لِتتْبع شخصا هُو الحرب ،
حيْثُ تَزُفُّكِ بَيْروتُ دونَ ذراعي ،
كَان معاقون يحتفلون بعيْنيك
تحْت الأنين الْمزَغْرِد ،
كان مُصَابون يحيون عُرْسَك
في غرفةٍ مِنْ نُعَاس وقهقهة .

العربي ـ العدد ٣٧٦ ـ مارس ١٩٩٠ م

على هامش قول على قول :

هل للكبرياء وعزة النفس مجال في الحب ؟ أيهما أوقع وأكثر تأثيرا في السامع ، التماس العذر أو أخذ المحبوب بالمبدأ القائل العين بالعين ؟

أبو السائب المخزومي وظرفه

بقلم : حسن سعيد الكرمي

كان أبو السائب المخزومي ، واسمه عبدالله ، من الظرفاء في المدينة ، ولم يكن له همة في دنياه إلا في الشعر والشعراء يطلب الشعر الجيد أين كان ، ويطرب له ، ويسعى لسماعه من أربابه وكان مع ذلك غير مبتذل في سلوكه وكان الناس يحترمونه ويحبونه ، وكان أشراف المدينة يستظرفونه وكان أبو السائب خليطا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي إذا ذكره قال «نعم الخليط كان أبو السائب»

وكان أبو السائب يطرب للشعر الجيد ويردده ، ومن ذلك بيت عروة بن أذينة

فدنا وقــال لعــلهــا معــذورة   فــي بعض رِقْبتهـا فقلــت لعلهـا

ومن ذلك قول العرجي

فتــلازمــا عنــد الفــراق صبابــة   أخْـذ الغــريم بفضـل ثـوب المُعْسر

ومن ذلك قول قيس بن ذريح

ألا ياغــراب البيْـن قـدْ طرْت بالذي   أُحـاذرُ مـنْ ليْلـى فهـلْ أنْت واقـعُ ؟

أما بيت عروة بن أذينة فقد تقدم ذكره وهو شبيه بما قاله جميل لما علم بأن صاحبته بثينة علقت رجلا اسمه حجنة الهلالي -

وبينـنـا حبالٌ ذات عقـد لبثْـنة   أُتيـح لهـا بعضُ الغـواة فحلّهـا
فعُـدْنـا كأنّـا لمْ يكُـنْ بيْـنـنـا هوى   وصـار الـذي حـلّ الحـبال هـوى لهـا
وقـالـوا نراهـا يـاجميـل تبدلـت   وغـيرّهـا الـواشـون قلـت لعـلهـا
لعـلّ حبالاً كنـتُ أحْـكمْتُ عقْـدهـا   أُتيـح لهـا واشٍ فحـاء فحلّهـا

وحدّث الزبير بن بكار أن أبا السائب أتاه ليلة بعدما رقد الناس ، وفي ساعة متأخره ، وقال له إنه سهر تلك الليله ، وأراد صديقا يتحدث إليه ، ثم قال قم بنا إلى العقيق ، فقاما ، وأخذا هناك يتناشدان الأشعار ، فأنشد الزبير أبياتا للعرجي ، منها هذان البيتان

باتـا بأنْعـم ليلـةٍ حتّـى بـدا   صُبْـحٌ يلـوح كالأغـرّ الأشْـقـرِ
فتـلازمـا عنـدَ الفـراقِ صبابـةً   أخْـذ الغَـريـم بفضـل ثوبِ المُعْسِرِ

فطرب أبو السائب وأخذ يردد البيت الأخير . ومضى وأقسم أنْ لايكلم أحدا إلاّ بهذا البيت . ولقيه في الطريق عبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فقال له : كيف أنت يا أبا

□ من القلب :

الطارق والسيد موللر

● دق جرس الباب الخارجي للمسكن الجديد الذي استأجره شابان انجليزيان في ضاحية المدينة ، فلما فتح أحدهما الباب سأله الطارق :

ـ هل السيد موللر موجود ؟

فأجابه : نعم ياسيدي ، لكنك دققت الجرس مرة واحدة ، وكان يجب عليك أن تدقه مرتين مادمت تريد السيد موللر كما هو موضح بالبطاقة التي فوق الجرس .

فاعتذر الطارق آسفا ، في حين أغلق الشاب الباب في وجهه غاضبا ، وبعد قليل دق الزائر الجرس مرتين ، وقد أثار دهشته وارتباكه حين فتح الشاب الأول نفسه الباب وسأله عما يريد .

فقال له معتذرا : آسف لإزعاجك ياسيدي ، هل يمكن أن أقابل السيد موللر ؟

فأجاب الشاب في هدوء :

نعم ، أنا موللر .

□ مجرم جبان

● الزوج للشرطي : من فضلك ، اسجني ، لقد ضربت زوجتي بعصا غليظة على رأسها .

الشرطي : وهل قتلتها ؟

الزوج : لو أنني قتلتها ، ماحضرت لأسلم نفسي .



□ في الصميم :

● بإمكاننا أن نعيش طويلا ضعفي عمرنا لو أننا خلال النصف الأول من حياتنا لم نتخذ عادات تقصر من النصف الثاني .

مارسيل آشار

● العجيب هو أن الصيادين الذين يروون أجمل حكايات الصيد ومبلغ تفوقهم بالصيد ، هم أولئك الذين يصطادون بمفردهم .

بيير لالو

● إذا قلنا شيئا للرجل دخل إحدى أذنيه وخرج من الأخرى ، ولكن إذا قلنا شيئا للمرأة فإنه يدخل الأذنين ويخرج من الفم.

جان أنوي

□ بسرعة

● الطبيب للمريض : في المرة القادمة حين تصفق ، ابعد رأسك من بين يديك .



الفرج بعد الشدة

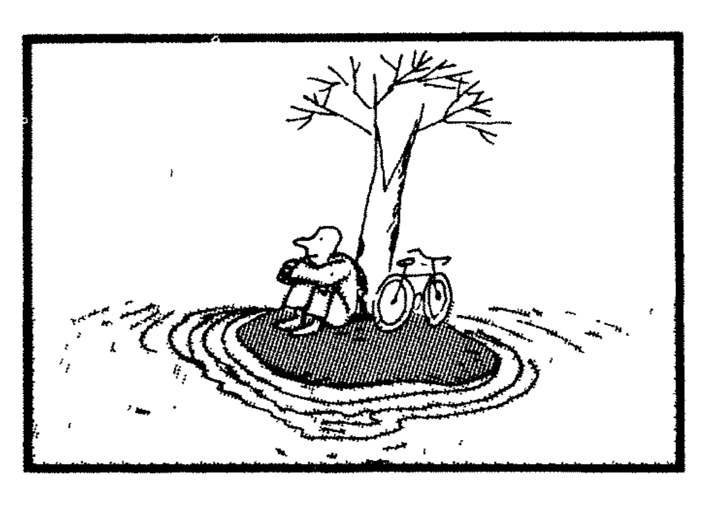
● سئل عبد الله بن الزبير يوما : ما الفرج بعد الشدة ؟
فقال : أن تحلف على الضيف ، فيعتذر بالصوم .

لقد صافحت

« شو » ولكن .

● استقبل برنارد شو قبيل وفاته اثنين من المعجبين به ، وقد اصطحبا ولدهما البالغ اثنتي عشرة سنة . فمد إليه يده مصافحا ومرددا :
ـ بعد خمسين سنة يابني سوف تقول باعتزاز : لقد صافحت برنارد شو ، فيسألك سامعوك ، ولكن من كان برنارد شو هذا ؟


برنارد شو



المدينة الأكثر ضبابا

● شكا أحد الأصدقاءالأجانب للممثل الانجليزي الك جينيس من ضباب لندن الكثيف فثار جينيس وقال :
ـ هذا مبالغ فيه ، فلندن ليست أكثر المدن ضبابا ، فأنا شخصيا عرفت مدينة أكثر ضبابا منها .
ـ ما هذه المدينة ؟ وأين تقع ؟
ـ لم استطع معرفة مكانها لكثافة الضباب فيها .

سر الاعرابى

● قيل لأعرابي استودع سرا فكتمه : أفهمت ؟
قال : لا ، بل نسيت .
وقيل لآخر : كيف كتمانك السر ؟
قال : أجحد المخبر ، وأحلف للمستخبر .
وعندما سئل أعرابي : كيف حفظك السر ؟
قال : أنا لحده !

لحظة حرجة

● قالت السيدة لجندي المظلات : لابد أنك تعرضت للحظات حرجة في حياتك.
أجاب الجندي : بالتأكيد ، هبطت في إحدى المرات في حديقة عامة ، ونزلت بجوار لافتة مكتوب عليها « ممنوع السير على الحشائش » .

أستراليا:
القارة البكر
والقوة الجديدة
وسط المحيط

استطلاع : أنــور الياسين
تصــوير : طالب الحسيني



«تقع في طرف العالم الجنوبي ، وسط مياه المحيط ، وعلى الرغم من ذلك فإن لها حضوراً في الذهن العربي ، فآلاف من الشباب العرب يحلمون بالهجرة إليها ، وعلى موائد ملايين البيوت لحومها الشهيرة ، وفي الأحاديث اليومية مئات الترددات لوصف «البغل الاسترالي» وحكايات عن «الكنغر» .

وبحثا عن الصورة القريبة كانت رحلة «العربي» للبلد «القارة» .

كثيرة هي الأقطار التي نتداول أفكاراً عنها ، وبعد حين تصدقها وتصبح كالحقائق تشيع بيننا ونؤمن بها .

واستراليا واحدة من هذه البلدان : قبل أن تسافر بعثة «العربي» كنا نسمع من الناس أنها أنظف بلدان العالم ، وأنهم ـ الاستراليين ـ من شدة حرصهم على النظافة يقومون بعملية «تبخير» للقادمين إليها بالمبيدات والمواد الكيميائية وهم في الطائرات قبل أن تفتح الأبواب ويدعونهم للنزول ، وكنا نسمع أنها أرض ممتدة وشواطيء ووديان وسهول وصحارى وجبال ، ثروة هائلة ، وعدد قليل من السكان ، وأن حاجتها للسكان لاتنتهي ، وأن ثرواتها لم



● الكنغر شعار استراليا الذي لا يخطئه أحد .

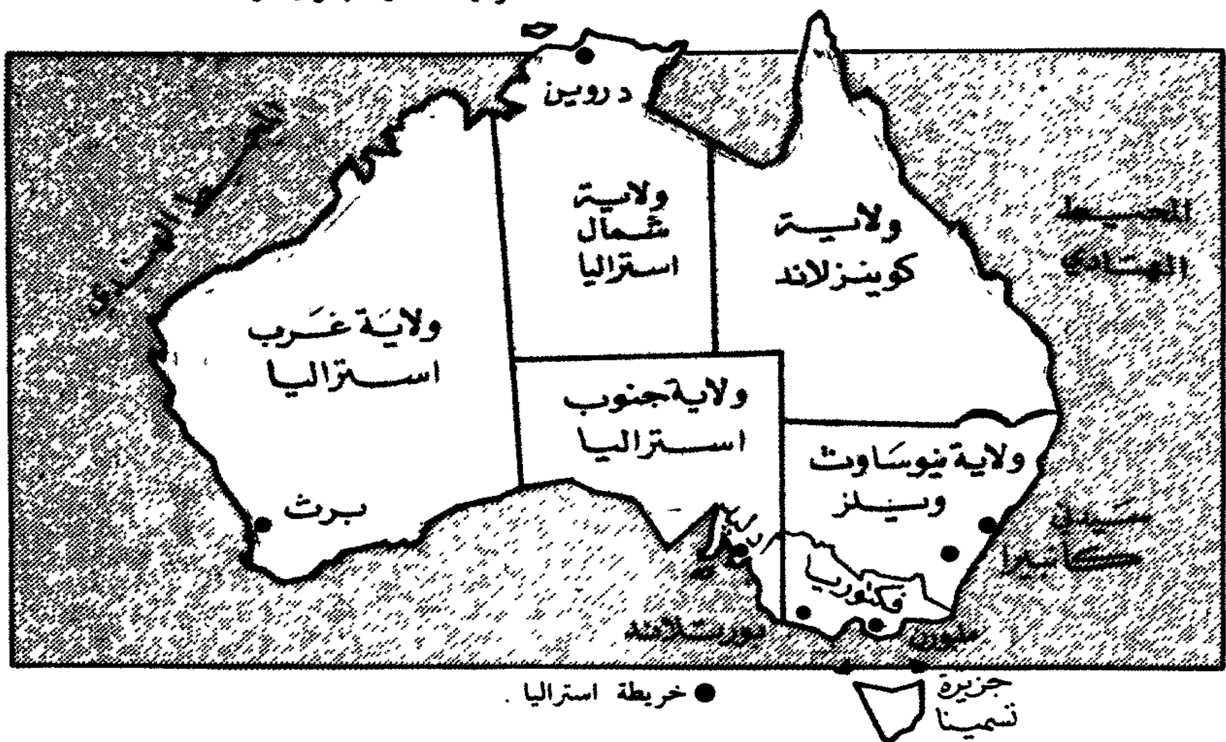
تستغل الاستغلال الكافي لندرة العنصر البشري ، وكنا نسمع عن العرب هناك ، وقصص النجاح الكثيرة التي حققوها . وكنا نسمع ، ومثلنا سمع كثيرون عن استراليا . وبعد وصولنا حاولنا أن نبحث عن الصورة الحقيقية ، ونختبر صحة ماسمعناه ، ونضبط الخيال على الواقع ، فماذا رأينا ؟

تاريخ قديم

قبل مائتين وعشرين عاما فقط ، لم يكن أحد يعرف أن هناك أرضا في هذا الجزء من العالم ، حتى اكتشف الرحالة البريطاني ، كابتن جيمس كوك ، الساحل الشرقي من استراليا في عام ١٧٧٠ وقد تم احتلال القارة على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى بدأت بوصول اسطول انجليزي إلى القارة ، يحمل ١٠٣٠ شخصا ، منهم ٧٣٦ من السجناء ، وقد استمرت مرحلة إرسال السجناء إلى استراليا فترة ، تلتها مرحلة إرسال المزارعين ، ثم آخر مرحلة استيطانية ، وهي وصول المنقبين عن الذهب .

وقد استمرت حركة السفر إلى استراليا نشطة طوال القرن الماضي الذي تم خلاله تطوير المستعمرات التي احتلها البيض ، لتتحول إلى مدن وعواصم . «فسيدني» التي تعد كبرى مدن استراليا حاليا هي أول مستعمرة سجناء تكونت في استراليا ، وهكذا فالمستعمرات المختلفة التي كانت مقامة للسجناء أو للمزارعين أو للمنقبين عن الذهب تحولت إلى مدن وعواصم للمقاطعات الرئيسة في استراليا حاليا ، ولأن الازدهار الذي حدث في استراليا قد تم خلال القرن الماضي فإن معظم المدن تأخذ طابع

● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط .



● خريطة استراليا .

العصر «الفيكتوري» في التصميم والبناء والتخطيط .

الموقع والسكان

تقع استراليا في قلب مايعرف بمنطقة «الباسيفيك» ، وهي تشغل مساحة شاسعة ، تطل بسواحلها الشرقية على المحيط الهادي الجنوبي ، بينما يقع ساحلها الغربي على المحيط الهندي ، وتبلغ مساحة استراليا (٣,٦٨٢,٠٠٠ كم٢) ثلاثة ملايين وستمائة واثنين وثمانين ألف كيلو متر مربع ، وهي بذلك تعد سادس دولة في العالم من حيث المساحة بعد الاتحاد السوفيتي وكندا والصين والولايات المتحدة والبرازيل ، وهي القارة الوحيدة التي يشغلها «شعب» واحد بدولة واحدة . ويقدر عدد سكان استراليا اليوم بما يقارب ١٦ مليون نسمة ، وفق احصاءات الحكومة الفيدرالية وإن، متوسط الدخل السنوي يبلغ حوالي ١١ ألفا و ٩٢٠ دولارا أمريكيا ، وتملك استراليا قدرا هائلا من الثروات ، ففي الجزء الشمالي منها يتركز ٢٠٪ من جملة الاحتياطي العالمي من اليورانيوم ، بالإضافة إلى ثروات معدنية مهمة كثيرة ، كالذهب والفضة والنحاس والزنك والرصاص .

وسكان استراليا خليط من السكان الأصليين الذين يعيشون في الجزء الجنوبي من القارة وهي الأقلية التي تكاد أن تنقرض ، وأجيال المستوطنين القدماء الذين جاءوا سجناء مبعدين ومنفيين أو مغامرين باحثين عن الذهب أو مهاجرين حديثا .

وقد قدر عددهم وقت الاستيطان الأوربي بحوالي ٣٠٠ ألف شخص ، أما في الوقت الحاضر فهم حوالي ١٥٠ ألف شخص .

بصمات أوربا

وعلى الرغم من أن الهجرات الاسيوية أسبق تاريخا من الهجرات الأوربية ، فإن هذه الهجرات لم تصمد طويلا أمام الهجرة الأوربية ، فالأوربيون قد جاءوا من مناطق كانت في ذلك الوقت ـ القرن الثامن عشر ـ مناطق ازدهار نسبيا ، وكان العالم قد عرف آلة البخار والمدفع والبندقية . وكانت الثورة الصناعية قد تبلورت آثارها الاجتماعية والعمرانية ، وبدأت هذه الهجرات في صياغة الحياة التي تعثرت في البداية

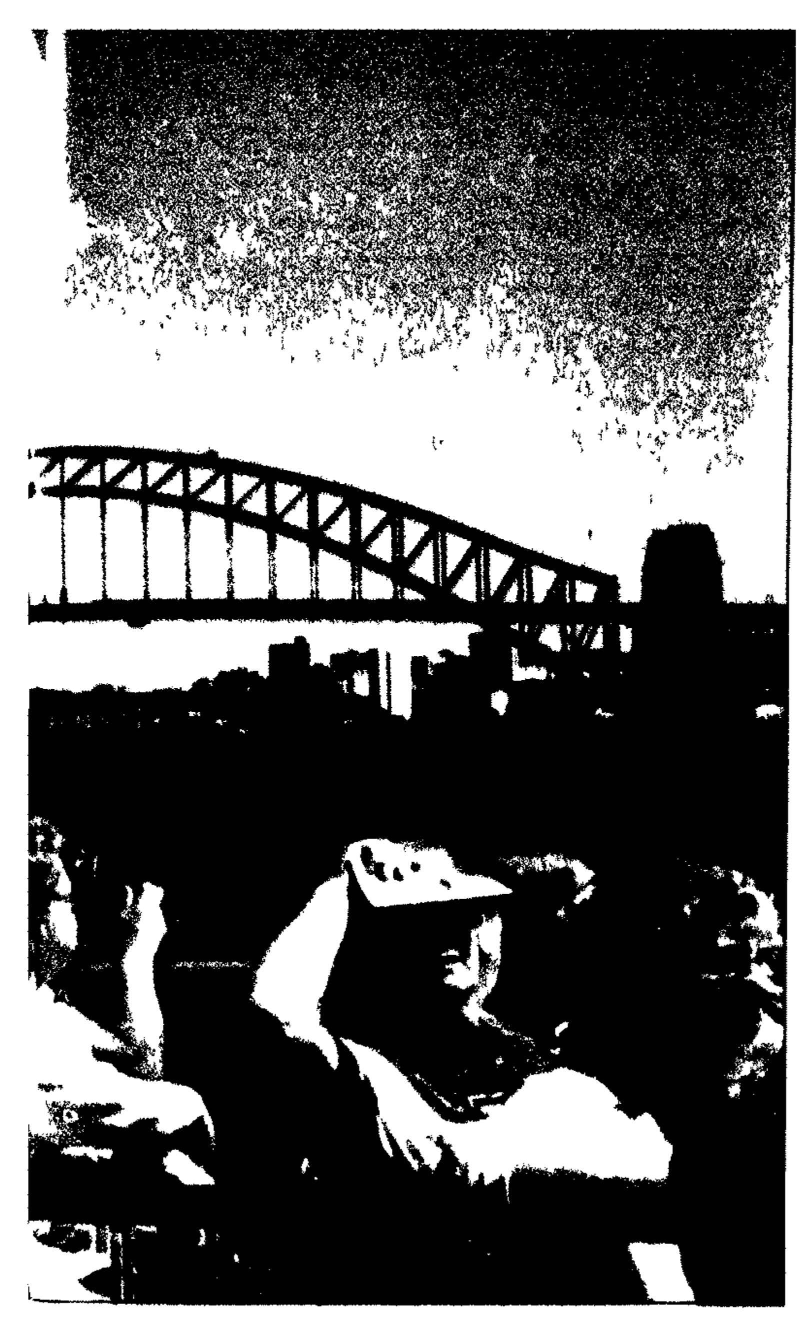
لأساس البعد المكاني والموقع الجغرافي ، ولكنها عندما انطلقت أحدث أشكال الحياة الأوروبية وأنماطها ، فالعمارة القديمة - كما قلنا - هي نمط العصر الفيكتوري ، والحياة السياسية والاقتصادية ، وفقا للنظام الليبرالي المتبع في أوروبا الغربية بل مازالت استراليا حتى اليوم تعد الملكة اليزابيث الثانية (ملكة بريطانيا) ملكة على استراليا ، ويمثلها الحاكم العام الذي هو بمثابة رئيس الدولة ورئيس السلطة التنفيذية (ولو اسميا)

لا أعرف

هناك واقعة طريفة شهيرة تقول إن أحد المستوطنين الأوروبيين قد رأى الكنغر أول مرة ، فسأل أحد السكان الأصليين عن اسم هذا الحيوان ، فرد عليه الساكن إنه لايعرف لغته ولا يفهم مايقول مختصرا ذلك في كلمة واحدة (كنغر) ، وهي تعني لاأفهم بلغة السكان الأصليين ، فأطلق الأوربي الكلمة اسما على هذا الحيوان ، وشاعت الواقعة ، واستمر هذا الاسم لذلك الحيوان ، وانتقلت الكلمة كتعبير مجازي في الأدبيات السياسية ، فصار يقال مفاوضات وحوار الكنغر دلالة على أن الطرفين يتحدث كل منهما عن شيء يختلف عن الشيء الذي يتحدث عنه الآخر ، كالمقصود بقول العرب «حوار الطرشان»

وصلنا سيدني صباح يوم أحد ، وكان الجو في منتصف العالم الذي نحن منه في بداية الخريف ، أما هناك فكانت بدايات الربيع الذي يستمر حتى أول ديسمبر ليبدأ بعد ذلك الصيف حتى نهاية فبراير (شباط)

فور عبورنا حاجز الجوازات بمطار سيدني بدأ موظف الجمارك في تقليب وتفتيش حقائبنا وبعناية شديدة ، حسبنا أنه يبحث عن ممنوعات ، ولكن عرفنا بعد لحظات أنه يبحث عن أطعمة أو مواد غذائية ، ثم بدأ يقلب صفحات جواز السفر ، ويستفسر عن البلاد التي زرناها ، وتاريخ آخر زيارة ، ثم سألنا سؤالا بدا غريبا هل عندك مزرعة خاصة ؟



وهل تقتني حيوانات أيا كان نوعها ؟

عندما قدمنا له هويتنا الصحفية قال لنا إن هناك إجراءات مشددة ، وذلك لضمان عدم انتقال عدوى الفيروسات والجراثيم التي تصيب المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ، فنحن في جزيرة معزولة عن العالم ، ولا نريد أي نوع من أمراض العالم تأتي إلينا خاصة إلى مصادر ثروتنا الزراعية والحيوانية ، ونظرا للخوف الشديد من هذه العدوى فإنهم يمنعون دخول أي نوع من المأكولات ، ويدققون كثيرا خوفا من العدوى التي من الممكن أن تصيب الحيوانات ، حيث ان ثروتهم الأساسية تتمثل في الأغنام التي



يملكون حوالي ١٧٠ مليون راس منها ، ويعتمدون عليها في صناعة الأصواف واللحوم المحمدة وتصديرها

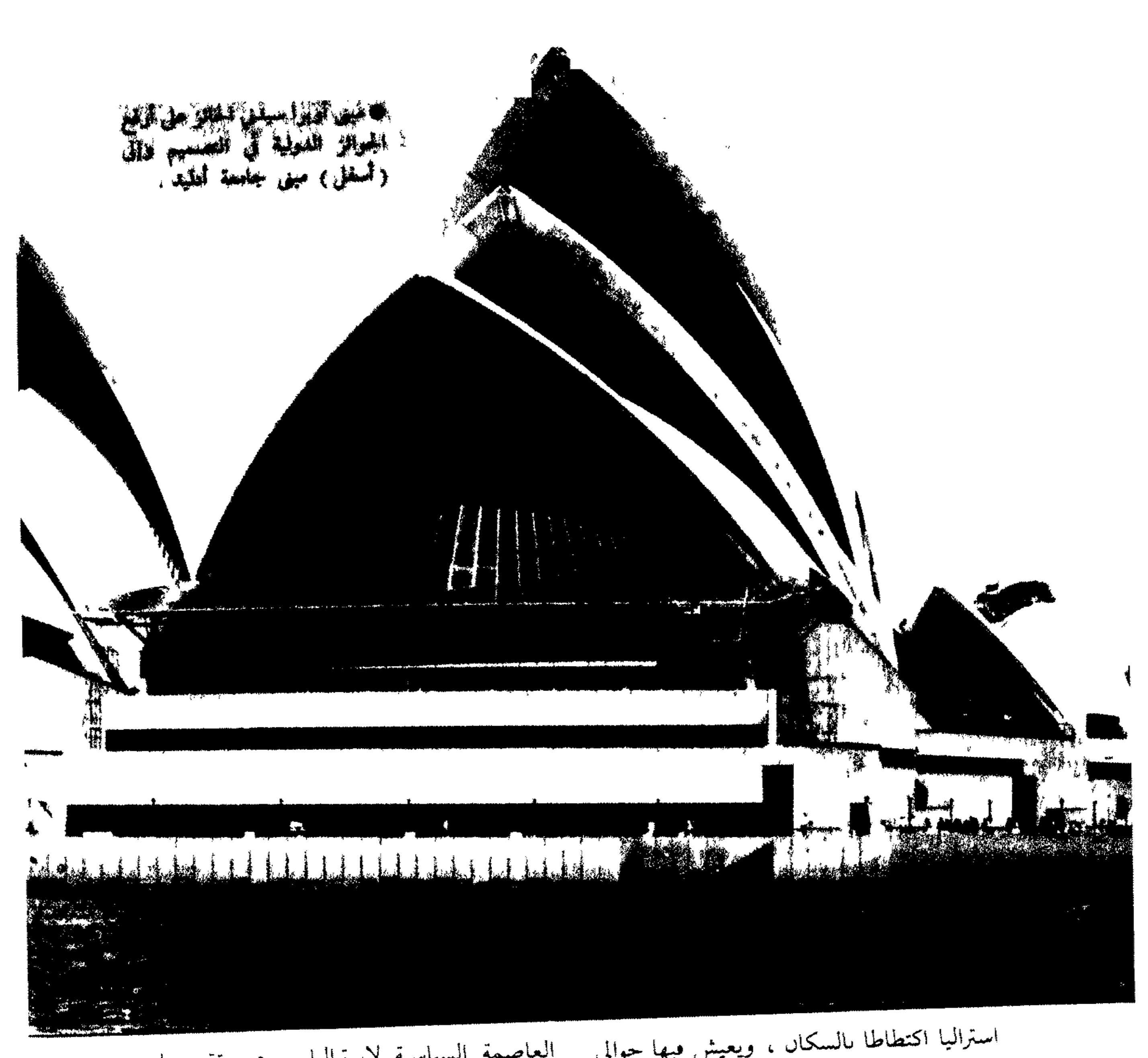
خرجنا من مبنى المطار ، ووقفنا في طابور سيارات الأجرة ، وجاء دورنا فإذا سائق السيارة يتمعن بملامحنا العربية ، ثم يفاجئنا بالحديث باللغة العربية ، وبلهجة لبنانية محببة مرحبا بكم في سيدني

وسألنا إن كنا مهاجرين جدداً ؟ ولماذا لم ينتظرنا أحد من معارفنا ؟ وطوال الطريق من المطار إلى الفندق أخذ يحكي لنا كيف أن المهاجر العربي الجديد عندما يصل ، كثيرا مايذهب أقاربه وأهل بلدته ومعارفه وأصدقاء أقاربه إلى المطار حتى يكاد يصبح طابور استقبالهم ، ممتدا من المطار حتى منزل القريب ، أو محل إقامته المؤقتة

ويقول لنا سائق سيارة الأجرة إن هذا ليس تعبيراً عن الروابط والصداقة فقط ، ولكن أي مهاجر جديد يأتي وهو يحمل لنا أخبار الوطن ومعلومات جديدة عنه نتشوق لسماعها ، خاصة أن معظمنا قد انقطع فترة طويلة عن بلده

العاصمة غير المتوجة

سيدني هي عاصمة ولاية نيوساوث ويلز ، وهي أكثر الولايات الست التي تتكون منها



● مبنى أوبرا سيدني الفائز على أرفع الجوائز الدولية في التصميم وإلى (أسفل) مبنى جامعة أطليد.

استراليا اكتظاظا بالسكان ، ويعيش فيها حوالي ستة ملايين نسمة ، يمثلون ٣٤٪ من مجموع سكان استراليا ، وتبلغ مساحة الولاية ٨٠٠ الف كيلومتر مربع ، وسيدني هي أكثر مناطق الولاية ازدحاما بالسكان ، إذ يبلغ مجموع سكانها ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة أي مايعادل ٥٨٪ من سكان ولاية نيوساوث ويلز

وتعد سيدني أقدم المدن وأكبرها ، وهي العاصمة غير المتوجة لاستراليا ، على الرغم من أن مدينة كانبيرا التي يبلغ تعداد السكان فيها ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرين ألف نسمة هي العاصمة السياسية لاستراليا ، وهي تقع على بعد ثلاثمائة كيلومتر (٣٠٠ كيلومتر) جنوب غرب سيدني ، وفيها أيضا مقر الحكومة الفيدرالية ، ومقر البعثات الدبلوماسية

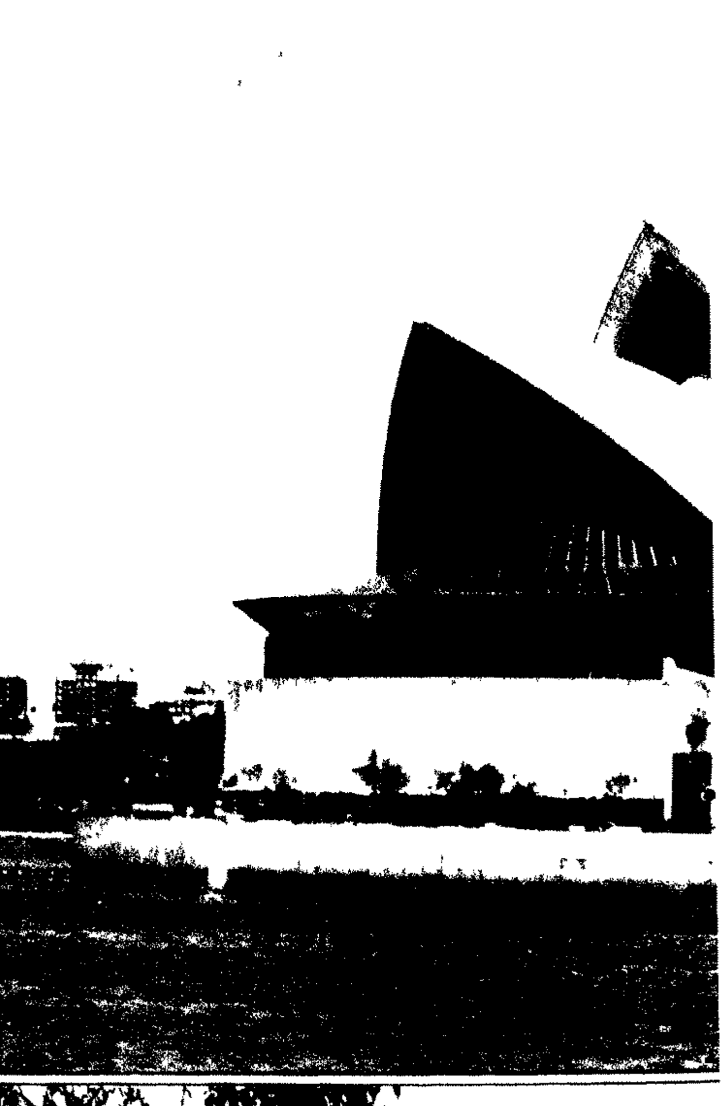
اقتربت السيارة من قلب مدينة سيدني ، الشوارع واسعة رحبة ، والبنايات الحديثة شاهقة الارتفاع كأي مدينة عالمية كبرى كأنك في لندن أو باريس أو فرانكفورت ، الخضرة والأشجار والزهور في كل مكان ، وكل مافي الشوارع نظيف ، وتلفت انتباهك ظاهرة سير المشاة بخطوات حادة سريعة قلت لزميلي المصور

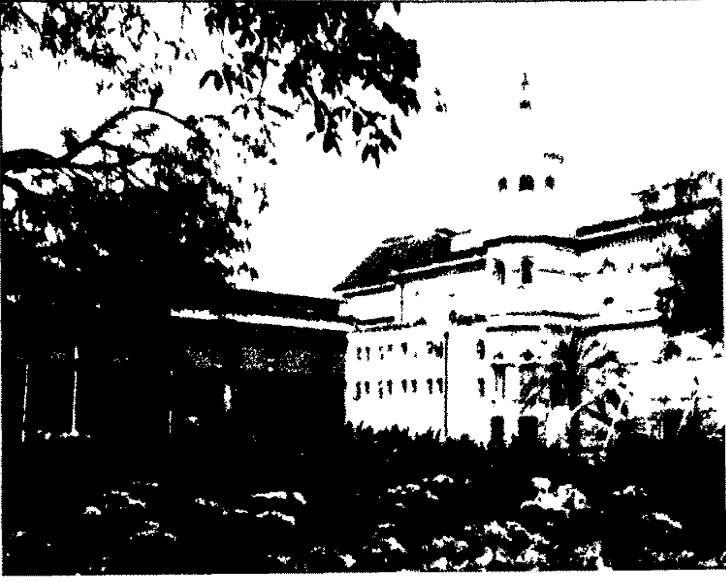
من المؤكد أنك سوف تجد في هذه المدينة مجموعة من العرب ، ولكنهم هنا لايتسكعون في الطرقات ، ولا يسيرون على مهل مثل مانفعل في بلادنا . التقط سائقنا ابراهيم السؤال وقال مجيبا وبسرعة : هنا ، إذا لم تعمل مثل الأوربيين فستدوسك الأقدام ، وهنا لاأحد يرحم ، قلنا له : لكننا نسمع أن هنا بطالة وناسا لاتشتغل ؟ فأجاب : نعم كنظام اقتصادي يعتمد على أسلوب التجارة الحرة وحرية رأس المال ، الناس تدفع ضرائب باهظة وعالية للدولة ، وبالتالي هنا نظام للتأمينات الاجتماعية ، وتعويض العامل إذا كان عاطلا عن العمل ، بأن تدفع له مبلغا محترما من المال ومساعدات أخرى مثل إيجار المنزل والتأمين الصحي وغيرها ، أي أنه لا أحد يموت من الجوع نظريا ، ولكن كما قلت فالعملية ليست سهلة في تدبير العمل ، والرزق يأتي بالحركة

كنا نسمع كثيراً أن استراليا هي بلد المهاجرين ، وأن هناك جالية عربية وإسلامية تعيش في استراليا ، وقد لاحظنا ذلك في لوحات الإعلانات في بعض المناطق التي كتبت بالعربية : مطعم لبنان ، ملحمة الزهور ، مكتبة المعارف ، صيدلية الأمل .

الجالية العربية

تعيش في استراليا جالية عربية يبلغ عددها تقريبا حوالي ٤٠٠ ألف نسمة ، من لبنان ، ومصر ، والعراق ، وسوريا ، والأردن ، ومن أقطار عربية أخرى مختلفة ، لكن الجالية العربية في استراليا تتميز بطابع واحد ، وهو أنهم نقلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم ومأكولاتهم وصحفهم ، ونقلوا إليها خلافاتهم وأحزابهم أيضا ، إنهم سعداء في حياتهم ، أو هكذا يعتقدون ، وإن كان ذلك شعوراً بالراحة المصطنعة التي ماتكاد تزيح عنها بعض الرمال حتى تراها على حقيقتها ، كل شيء يملكه الواحد منهم جميل ، منزل تحيطه حديقة ، وسيارة ، وهاتف ، وغسالة كهربائية ، وجهاز «فاكس ميلي» وتلفاز ، ولكنه لما يملكها بعد ،



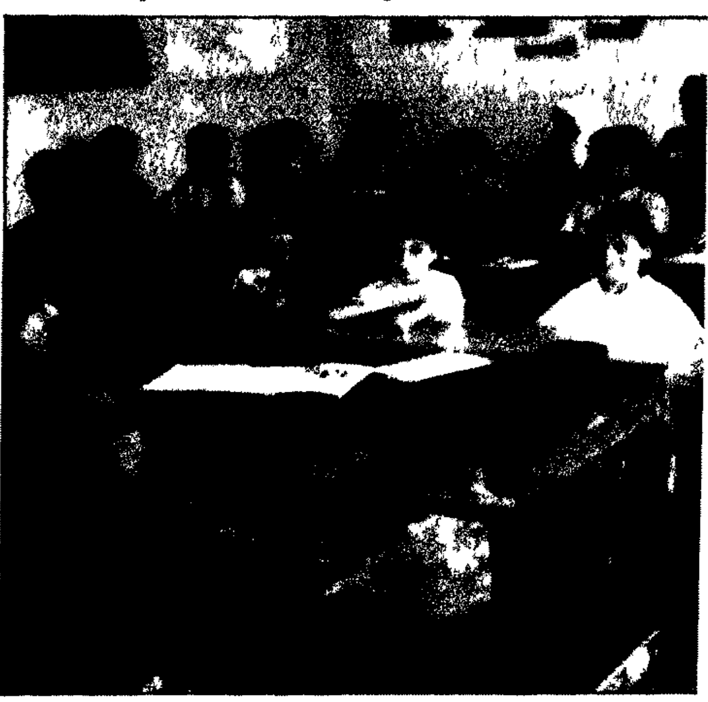


لأنه يشتريها بالتقسيط الطويل الذي يمتد إلى ٢٥ سنة في بعض الأحيان ، مع فوائد فاحشة مركبة ، ولكنك تجده على الرغم من هذا كله سعيدا بشوشا ، لأنه يقتنيها اليوم في منزله ، ويتمتع بها مع أسرته ، وهذا هو المهم عنده . لقد اعتاد العيش على هذا الأسلوب الاسترالي ، يفكر بيومه ليومه ولعائلته وبكيفية دفع الأقساط ، وتعبئة استمارات ضرائب الدخل ، وجمع إقرارات الكسب ، وإرسالها بالبريد إلى مكتب الضرائب ! .

حياة جديدة غريبة ، يعيشها المغترب العربي ، في بلاد لايعرف أهلها أي شيء عن العرب إلا ماندر ، وقلة منهم تتعامل مع الأقطار العربية اقتصاديا . ويتركز العرب في استراليا في مدينتين : سيدني وملبورن ، ولهم أكثر من مائة جمعية وناد ، عدد ضخم ولكنه في بعض الأحيان لايعني شيئا فكل فريق له جمعية ، وهي تعمل على مستويات طائفية ، وعائلية ، وعشائرية ، وحزبية ، واقليمية .

الغالبية من المغتربين العرب في استراليا من اللبنانيين والمصريين ، ويمثلون حوالي ٨٥٪ من مجموع المغتربين العرب ، ولكل من أفراد الجاليتين أسلوبه في الحياة ، فالمصري يسعى جاهدا إلى اتباع طريق السلامة والأمان في حياته ، يعمل موظفا في المصارف أو الدوائر الحكومية ، أو طبيبا أو صيدليا أو أستاذاً في الجامعة .

أما اللبناني فهو على عكس ذلك ، فينطلق بمبادرات فردية ، مثل مشروع تجاري أو جريدة يومية ، أو مكتب سفريات ، أو مكتبة أو دار توزيع أو بقالة أو مطعم مع أفراد أسرته .



● تدريس الطلاب العرب في فصول خاصة الدين الاسلامي واللغة العربية .

الصحافة العربية

من المغامرات العربية في استراليا إصدار الصحف العربية اليومية التي بدأت في الصدور عام ١٩٥٧ م ، حيث تنوعت وتعددت الإصدارات ، حتى وصلت إلى مايقارب مائة إصدار ، مابين جريدة ومجلة ، توقف بعضها أو مازال . ومن أشهر الصحف التي ماتزال تصدر : التلغراف الوطني ، والبيرق ، والأنباء ، وصوت المغترب ، والمحرر ، وهي توزع إما مرة في الأسبوع أو مرتين أو ثلاث مرات . وترسل من سيدني إلى كل أنحاء استراليا ، وبخاصة إلى المدن الكبيرة ، مثل بيرث ، وملبورن ، وادليد .

ولهذا السيل من الصحف جمهور ، هم القراء من الجالية العربية المتشوقة لأخبار الوطن العربي ومتابعة أحداثه ، كما أنها تشكل ـ حسب رأي صاحب جريدة البيرق ورئيس تحريرها الأستاذ جوزيف الخوري التي تصدر في سيدني وتوزع مرة في الاسبوع ـ رافداً آخر لفهم بعض المسائل القانونية وترجمتها ، والتي يجهلها بعض المغتربين الذين ليست لديهم قدرة على قراءة القوانين الاسترالية ومعرفتها ، كما أنها تنقل للحكومة الاسترالية طلبات الجالية العربية ومشاكلها ، وتتولى نشر النشاطات الاجتماعية التي تقوم بها الجالية العربية ، كما تمثل لهم نوعا من الخدمة الإعلانية ، سواء للمغترب العربي أو الحكومة الاسترالية ، وتقوم المكتبات العربية المنتشرة بتوزيع المجلات العربية التي تصدر في



● من معالم سيدني الشهيرة برجها الذي يحتل موقعا ممتازا في وسط المنطقة التجارية ، وكذلك القطار الكهربائي الذي يخترق المدينة .

الوطن العربي .

وهناك إذاعة خاصة موجهة للجالية العربية ، تشرف عليها الحكومة الاسترالية ، وتبث برامجها يوميا مدة ساعتين صباحا ، ومثلها في المساء ، ويقوم المنسق العام للإذاعة الاستاذ نبيل طنوس ، بدور كبير في ربط المغترب العربي بالوطن العربي ، من خلال البرامج ونشرات الأخبار واللقاءات ، كما تقدم قنوات التلفاز الأربع الرسمية في استراليا في بعض الأوقات برامج موجهة بالعربية لأبناء هذه الجالية ، كما أن لأبناء الجالية العربية مراكزهم الثقافية ، ودور السينما الخاصة بهم ، وأماكن الترفيه التي يتم فيها إحياء الليالي العربية حيث تعزف الموسيقا العربية ، ويصدح الغناء العربي ، وتقدم الأطباق المصرية واللبنانية ، بأنواعها ، فأنت هنا لاتشعر أنك تعيش في الغربة ، سوى بتعاملك بعملة نقدية هي ليست عملة بلدك .

من المشاكل التي تصادف العربي في استراليا

● مزرعة لتربية الأغنام تشمل الخراف [illegible] والخراف الخاصة باللحوم ، والخراف [illegible] .

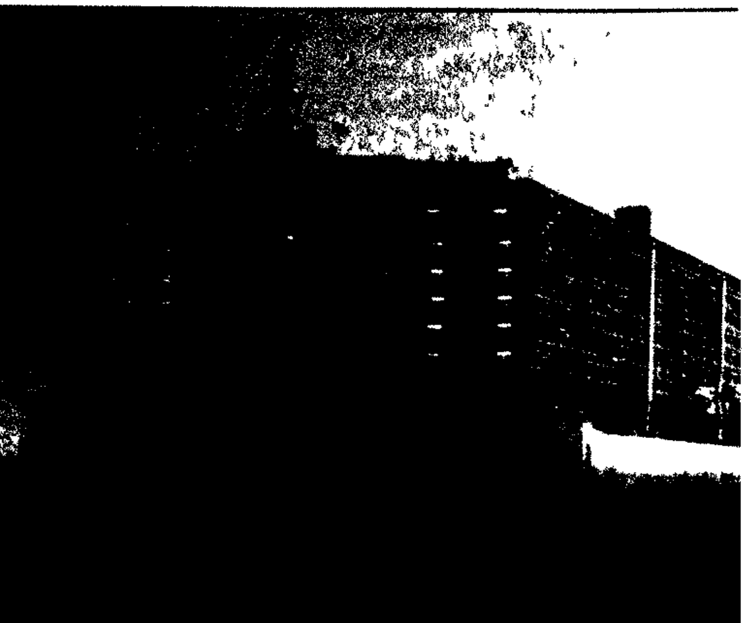




● صاحب جريدة البرق جوزيف الخوري مع المخرج في المرحلة النهائية للطبع . (وأقصى اليسار) ناقلة المواشي الكويتية « اليسرة » في ميناء بورتلاند تستعد للتحميل في طريقها إلى الخليج العربي .



● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط .



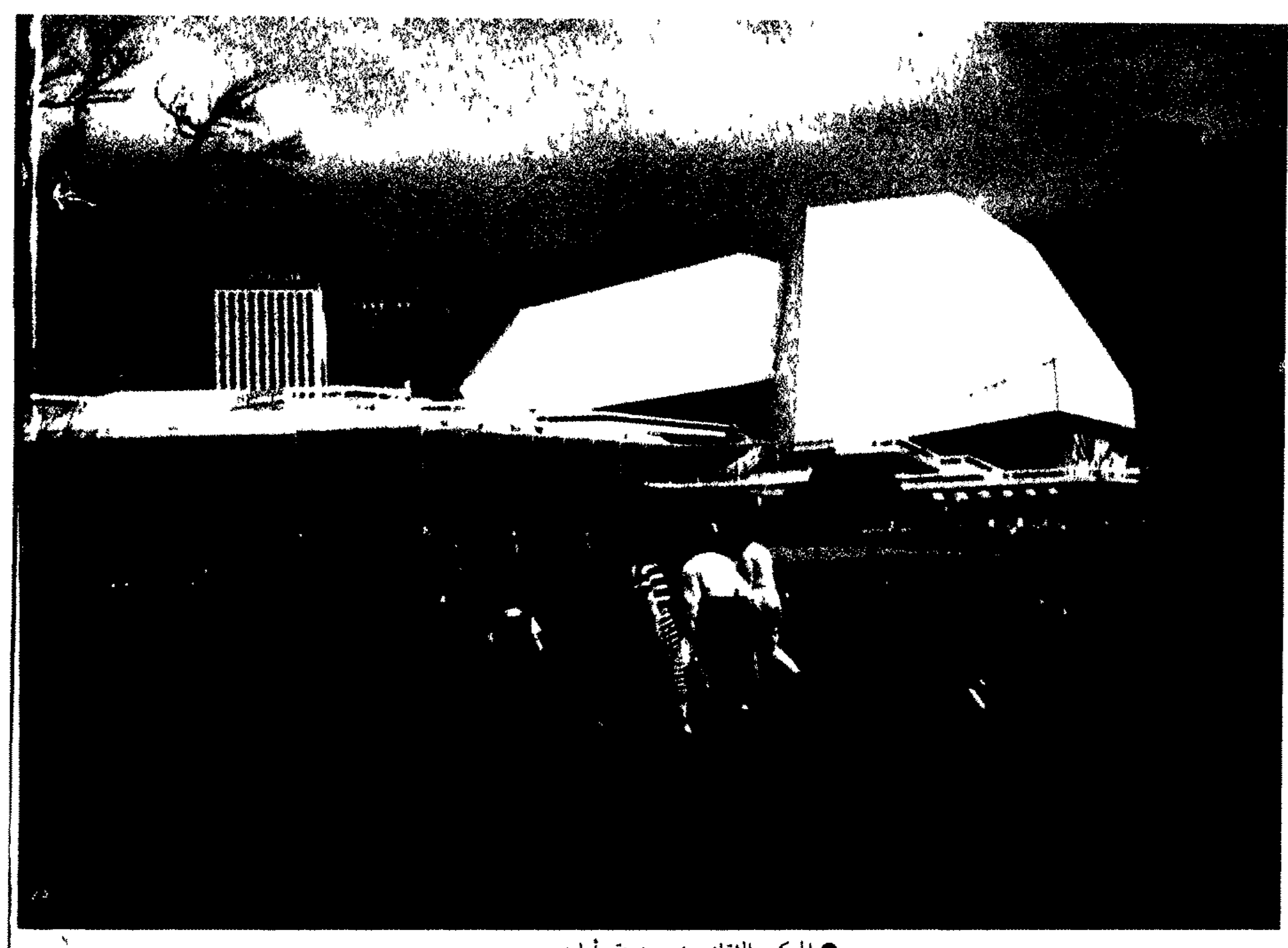
هي اصطدامه بتقاليد وعادات تختلف تماما عن العادات المتبعة في بلاده ، فحرية المرأة حرية مطلقة ، وهذا شيء لم يتعوده في بلاده ، ولهذا تظهر بشدة المشاكل الأسرية وخاصة خروج البنات عن طاعة أولياء أمورهن ، ومن هنا يحرص كثيرون من العرب على الزواج من عربيات للمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم ، وهذا يسبب للجيل الجديد المولود في استراليا ، نوعا من عدم الاستقرار بسبب تناقض ما يتعلمه في البيت بذلك الذي يراه في المجتمع ناهيك عن مشاكل الجهل بالقوانين ، واللغة .

حال الإسلام والمسلمين

تعيش في استراليا جالية إسلامية كبيرة ، تقدر بمائتي ألف نسمة من مختلف الجنسيات ، معظمهم عرب وآخرون من بلدان أخرى كالأتراك والبنغلاديشيين واليوغسلاف ، ويتولى أحوال الجالية الإسلامية ويشرف على أنشطتها الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية الذي أسس عام ١٩٥٦ ، وكذلك المركز الاسلامي العام في استراليا ، وجمعيات إسلامية أخرى ، ولديها مراكزها الثقافية الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء استراليا ، كما توجد هناك الجمعيات الإسلامية المحلية في كل ولاية ، وتشرف عليها مجالس محلية ينظمها الاتحاد الإسلامي للمجالس المحلية . والمسلمون لهم ظروفهم الخاصة ومشاكلهم التي تبدأ بأوضاعهم الاقتصادية ، حيث إن معظمهم قدموا من مناطق فقيرة ، مثل بنغلاديش وباكستان والهند ، وتنتهي بخلافاتهم المذهبية ، وطرق دفنهم موتاهم . وللمسلمين مساجدهم التي يترددون عليها لأداء الصلاة ، والدولة هنا تؤمن بأن لكل فرد كامل الحرية في ممارسة معتقداته الدينية .

كما يشرف الاتحاد على عملية ذبح المواشي بالطريقة الإسلامية بترخيص من الحكومة الاسترالية التي ترسل جزءاً منها إلى منطقتنا العربية .

وفي مدينة سيدني العديد من المساجد ،



● المركز الثقافي في مدينة أدليد

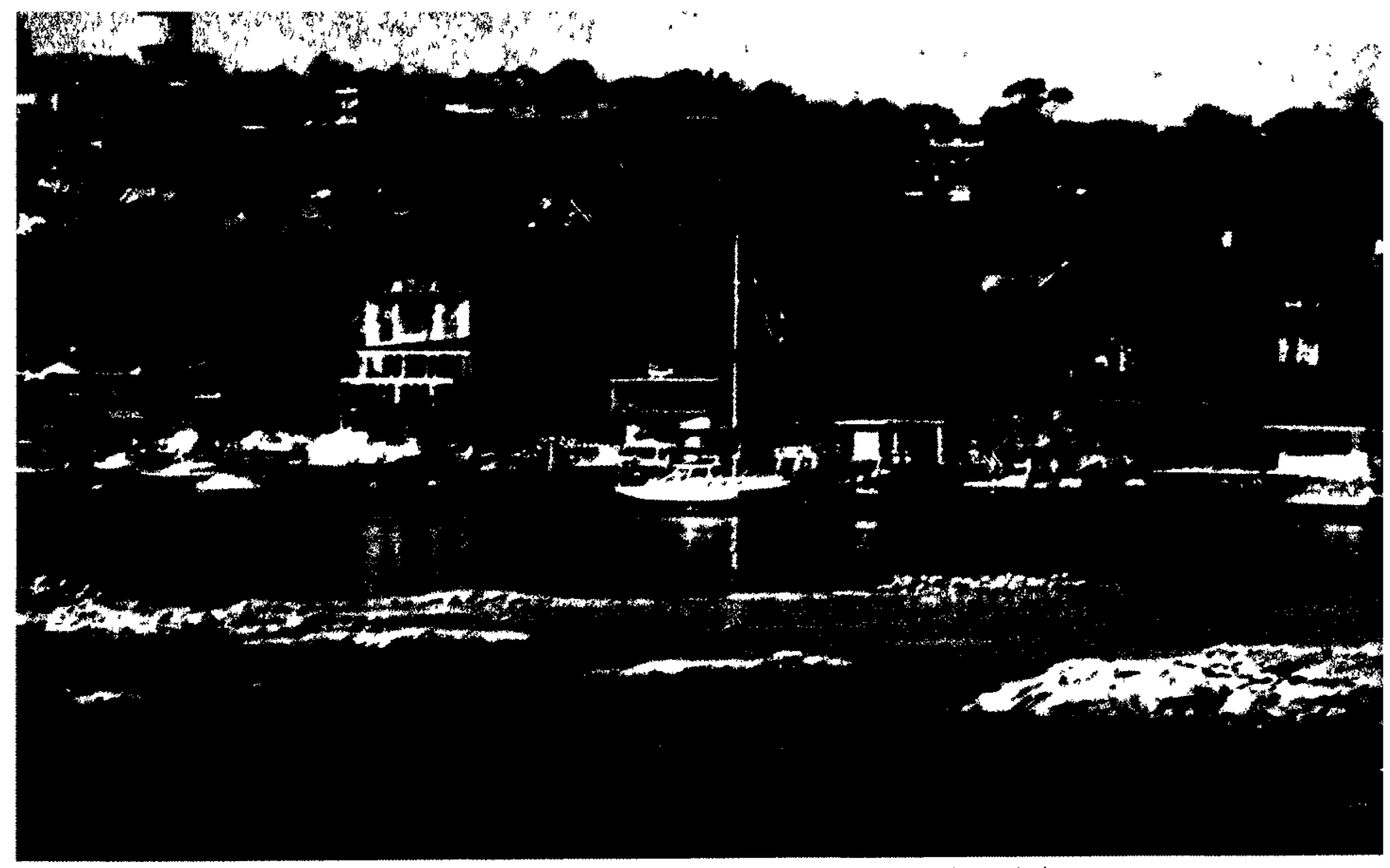
أكبرها مسجد (لاكنبه) ، نسبة إلى المنطقة التي بني فيها ، ويحدثنا عنه مفتي استراليا الشيخ تاج الدين هلال . فيقول : إن مسجد (لاكنبه) يعد من أكبر المشاريع الإسلامية في استراليا ، وهو عبارة عن مركز إسلامي يحتوي على جامع يتسع لحوالي ألفي مصل ، كما يوجد به قسم خاص للنساء يستوعب ٥٠٠ مصلية ، ويضم مكتبة عربية ضخمة . إضافة إلى مدرسة لتعليم الأطفال ، وجمعية للمرأة المسلمة ، تسمى رابطة المرأة المسلمة ، وقد أنشئت عام ١٩٨٣ . ومن دورها المشاركة في البرامج الثقافية وتعليم اللغة العربية التي هي في الواقع هاجس كل أسرة تخاف أن ينسى أطفالها اللغة العربية ، وقراءة القرآن الكريم ، إضافة إلى أنشطة اجتماعية وثقافية أخرى .

ويضيف الشيخ هلال : إن موضوع الأحوال الشخصية والمنازعات التي تدور حوله واحدة من المشاكل التي تؤرق المغترب العربي المسلم في استراليا ، وأننا نعمل جاهدين على تسهيل مهام كثيرة ، منها عمليات الزواج والإرث وغيرها ، كما تواجه العرب المسلمين مشكلة وضع أموالهم في المصارف الربوية ويقول الشيخ هلال : (إن الإسلام دين تسامح يجيز في بعض الأحوال وضع الأموال في المصارف ، وأخذ الفوائد مادامت هذه المصارف غير إسلامية ، وقد تغلبنا مؤخرا على غسل الموتى ودفنهم بفضل جهود الجالية العربية المسلمة ، فقد كانت هذه المشكلة تسبب لنا متاعب في الماضي .

إننا في (لاكنبه) نعيش أجواء إسلامية في رمضان ، حيث تقام الاحتفالات ، ويتزاور الناس ، وتقام دورات تحفيظ القرآن .)

أمسية فنية .

في سيدني تقع أجمل دار أوبرا في استراليا كلها ، وإذا لم نبالغ فهي ربما أجمل مبنى



● المساكن والشقق التي تقدر قيمتها بالملايين لكونها فقط تطل على ميناء سيدني .

للاوبرا في العالم ، وهي تطل على البحيرة والمرفأ في سيدني ، وقد بلغت تكاليف بنائها مائة مليون ومليونين من الدولارات الاسترالية ، أي مايعادل خمسة وسبعين مليون دولار أمريكي ، بعد أن كان المبلغ المقرر لها حوالي سبعة ملايين دولار استرالي ، في بداية المشروع . وقد استغرق البناء ١٩ سنة ، وتم افتتاحها عام ١٩٧٣ . المبنى من تصميم الفنان الدانماركي العالمي : جورن أوتزن . وهو يتكون من قاعة عرض رئيسة ، ومسرح صغير ، وقاعة ثالثة لعروض الباليه ، وقاعتين للموسيقا . وبجوار هذه القاعات مطعم فاخر ، وهو من أغلى مطاعم استراليا ، به شرفة رائعة ، تطل على البحيرة والميناء . تقول السيدة مارلن المديرة العامة لدار الأوبرا : إن (الكافتيريات) الملحقة بالأوبرا التي تقدم الوجبات السريعة لزوار الأوبرا فقط تمثل دخلا لابأس به إضافة إلى مساعدات الحكومة المحلية ، لمواجهة الأعباء المالية لإدارة الأوبرا .

وتضيف قائلة : إن سعة الأوبرا تبلغ سبعة آلاف متفرج . وكذلك هناك مبنى للإدارة ، يتولى تنظيم العمل فيها ، وهي جهة مستقلة لا تخضع لأي إدارة حكومية .

والمشاهد للدار يلاحظ أن الشكل الهندسي للمبنى فريد من نوعه ، فهو من الخارج يبدو كالشراع لونه (بيج) وزجاجه من نوعية خاصة ، تم استيراده خصيصا من فرنسا ، وبني من حجارة تم احضارها من الجبل الأزرق ، المحيط بسيدني من جهة الشرق . أما القاعات الداخلية فكلها من الخشب الفخم ، ومقاعد الجلوس من الجلد ، حتى تمتص ترددات الصوت والموسيقا .

الخضرة والأغنام حولنا

غادرنا سيدني في الصباح الباكر ، مستقلين سيارة هذه المرة ، المطر الربيعي يتساقط من حولنا ، وعندما استوينا على الطريق الخارجي



● منظر للبحيرة التي حفرها نيزك سقط على مدينة مونت جامبيا على الحدود بين ولاية فكتوريا وجنوب استراليا

(الاتوستراد) ، أحاطتنا خضرة المزارع الشاسعة ، ووسطها تبدو قطعان الأغنام كنقاط بيضاء ، وسط الخضرة وقفنا في بلدة «كورا» في نيوساوث ويلز ، على بعد مائتي كيلو متر من سيدني ، البلدة عبارة عن مزرعة هائلة للأغنام .

أمام إحدى المزارع الخاصة توقفنا ، استقبلنا صاحب المزرعة ديفيد هنيلي وزوجته . تبلغ مساحة مزرعته قرابة عشرة آلاف هكتار ، وكان عائداً تواً من مزاد لبيع الأغنام ، ويعلق على ذلك قائلا : إن الأسعار منخفضة ، وأنه إذا استمرت الحالة على ذلك ، فإن هذا الموسم سيكون كارثة على أصحاب المزارع ، ويقول : إن السبب هو قلة الأمطار التي هطلت خلال الأسابيع الماضية ، وأن الناس تتوقع فصل صيف جافاً ، وبالتالي ستكون هناك مشكلة في توفير المياه والأعلاف للأغنام ، مما يعني أن الجميع سيبيعون أغنامهم بسرعة وهذا يخلق سوقا غير مستقرة ، فيها فائض في العرض والطلب قليل ، وهذا هو الذي سيحدد الأسعار ، والمسألة مناسبة لكم في المناطق العربية لأنكم ستحصلون على أغنام بسعر منخفض !!

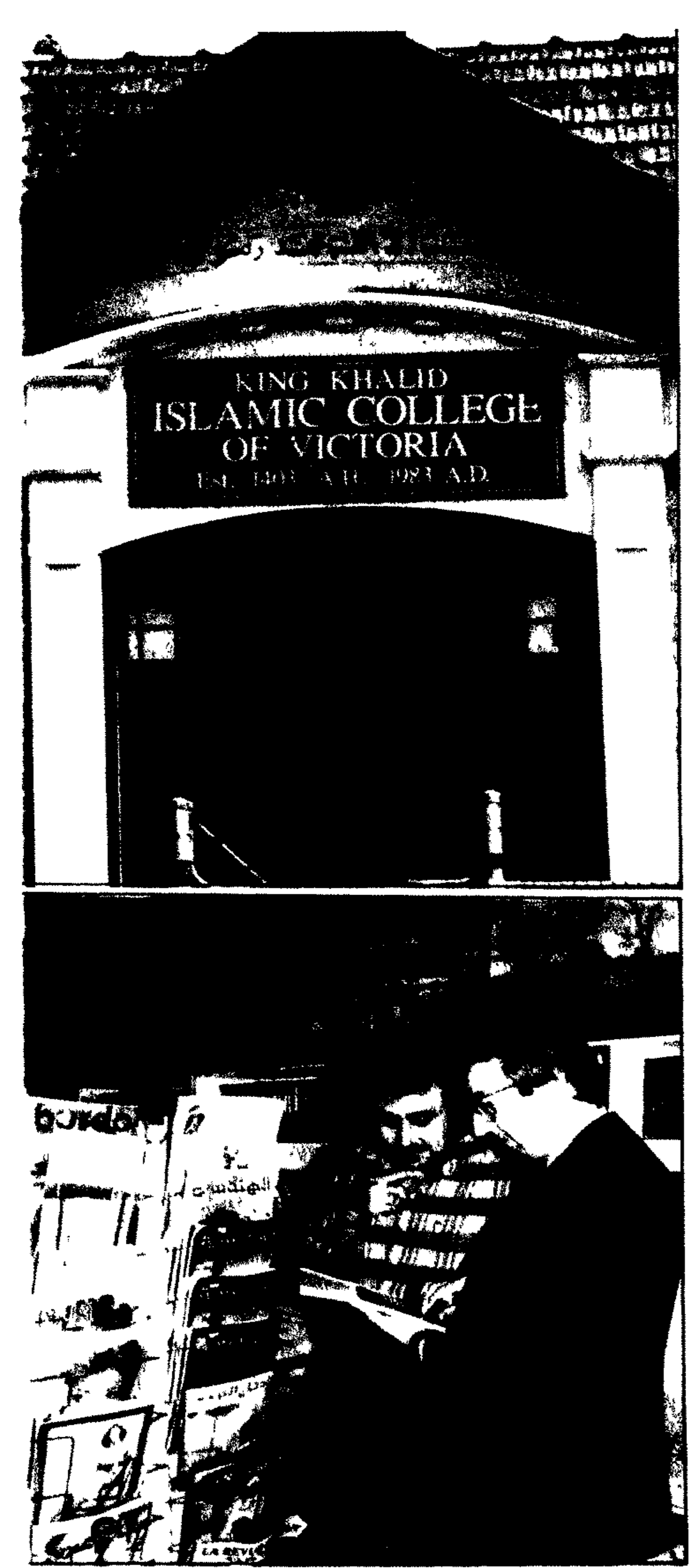
القادم إلينا

حول تجارة الأغنام مع منطقة الشرق الأوسط يحدثنا السيد لويدبيبي ، المدير الاقليمي لمنطقة الشرق الأوسط بالهيئة الاسترالية للحوم والمواشي ، في سيدني ، حيث يقول : لقد بدأت استراليا في تصدير الثروة الحيوانية ، وعلى الأخص الأغنام ، مع بداية الخمسينيات من هذا القرن ، إلى دول مثل سنغافورة وماليزيا ، وقد كانت الكويت أول دولة في منطقة الشرق الأوسط تستورد الأغنام من استراليا عام ١٩٦٠ م ، حيث شملت الشحنة ٢٥٠٠ رأس من الأغنام ، وارتفع هذا العدد إلى حوالي ٩٢ ألف رأس عام (٦٢ - ١٩٦٣) وإلى حوالي ١٩٠ ألف رأس عام (١٩٦٨/٦٧) .

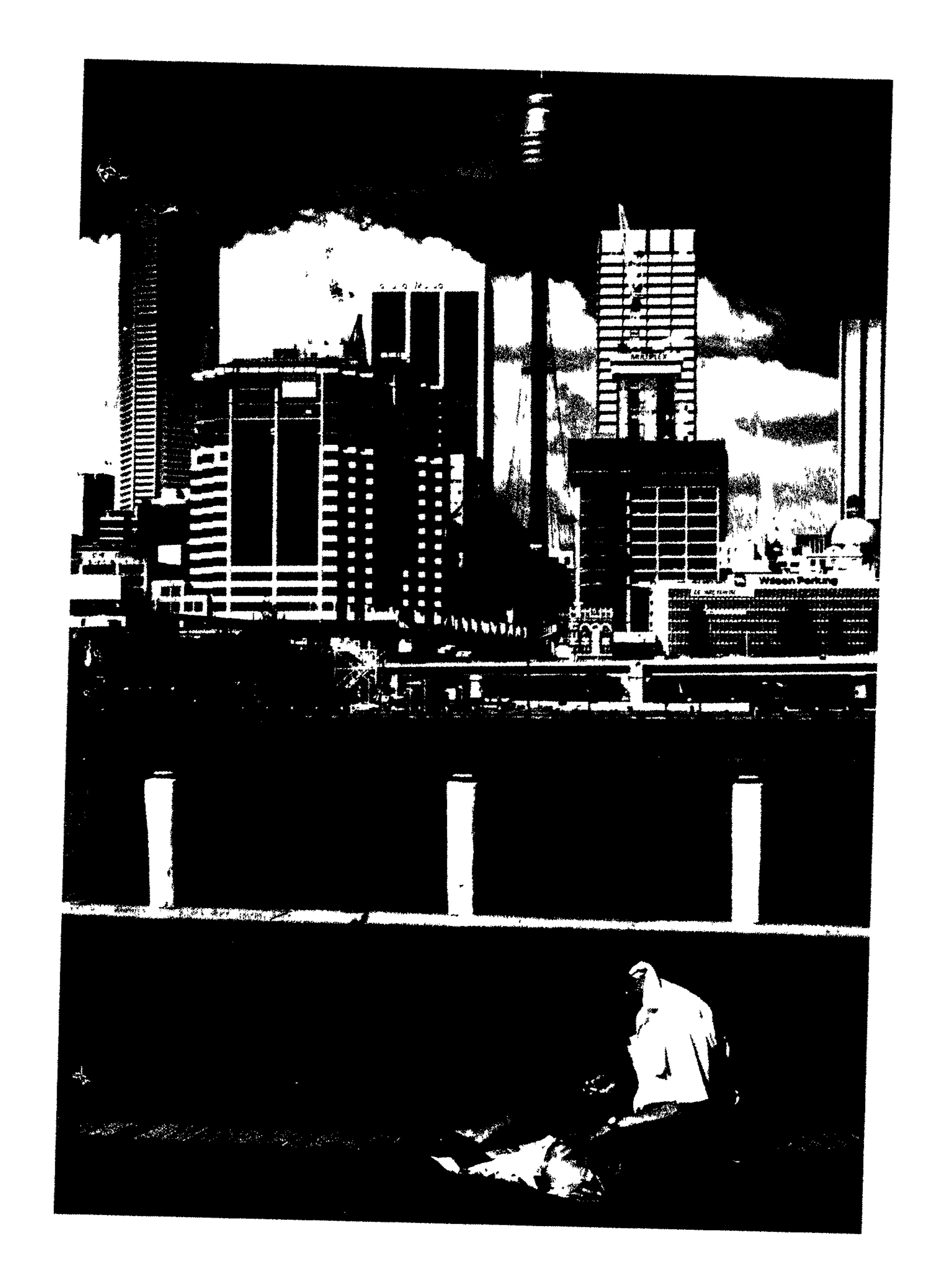
ثم بدأ معدل الاستيراد يرتفع في السنوات الأخيرة ، حيث بلغ جملة ما استوردته الكويت عام ١٩٧٨ حوالي مليون رأس من الأغنام . وحوالي مليونين عام (١٩٨٣/٨٢) ولكن الرقم حافظ على مستوى يصل إلى مليون ونصف مليون عام (١٩٨٩/٨٨) ، مما جعل الكويت تصبح ثاني أكبر دولة مستوردة في العالم للأغنام الاسترالية بعد المملكة العربية السعودية ، وهي علاقة متطورة وقوية مع شركة المواشي الكويتية التي لديها نظامها الخاص في شراء الأغنام من استراليا ، كما أن لديها أسطولها البحري الخاص لنقل الأغنام وإطعامها ، وكذلك عملية الذبح وتوزيع اللحوم ، إضافة إلى شركة كويتية خاصة أخرى ، تقوم أيضا باستيراد الأغنام من استراليا ، ولكن بكميات محدودة . وإذا نظرنا إلى بقية الأقطار العربية الأخرى نجد أن المملكة العربية السعودية تأتي في مقدمة مستوردي الأغنام مس استراليا في العالم ، حيث تستورد مامتوسطه ـ حسب احصائيات ١٩٨٨ ـ حوالي (٣,٥) ثلاثة ملايين ونصف مليون رأس ، أي حوالي ٥٢٪ من مجموع صادرات استراليا من الأغنام ، علماً بأن ثروة استراليا من الأغنام يبلغ مجموعها حوالي ١٧٠ مليون رأس تستورد الكويت منها ٢٠٪ ، ودولة الإمارات المتحدة حوالي ٧٠٠ ألف رأس في العام ، أي بنسبة ١١٪ وتظل تجارة تصدير الصوف هي الأساس في هذا القطاع الاقتصادي المهم من حياة استراليا ، والذي يصدر إلى أوربا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية .

مدينة الذهب والمال

ولاية (فكتوريا) هي صغرى الولايات مساحة ، حيث تعادل حوالي ٣٪ من مساحة استراليا ، وهي الثانية في جولتنا ، وملبورن عاصمتها انشأت عام ١٨٣٥ ، وتطورت بشكل سريع في عصر اكتشافات الذهب ـ من ١٨٥٠ إلى ١٨٧٠ ـ وهي الآن ثاني أكبر مدينة في استراليا ، ومعقل رجال المال والأعمال والصناعة ، ويقطنها حوالي مليونين ونصف



● إلى (أعلى) كلية الملك خالد في ملبورن وإلى (أسفل) الجالية العربية تتشوّق إلى قراءة الصحف والمجلات العربية .


Wilson Parking

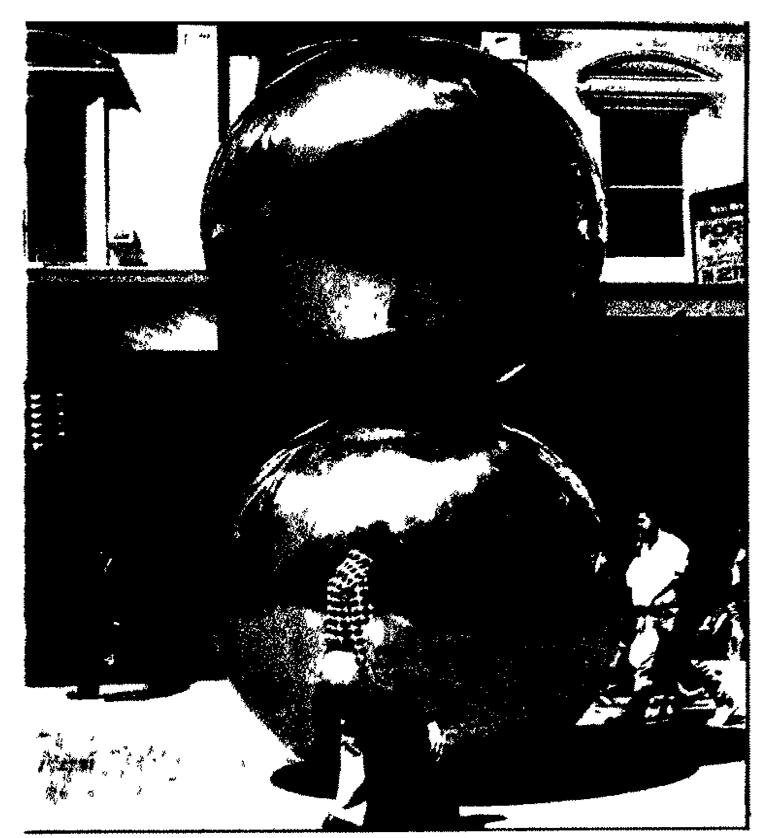
مليون نسمة أغلبهم جاؤوا مهاجرين من أوربا خاصة انجلترا ، كما أنها تتمتع بطبيعة خضراء وأشجار عالية ومبان لها طابع القرن التاسع عشر ، كما أنها تملك طرق مواصلات سهلة ويسيرة ، تحيط بها شبكة من الطرق البرية ، تربطها بمختلف الولايات الشمالية والجنوبية ، وعندما تسير في الأسواق تشدك الروعة والجمال في المحلات التجارية الضخمة ، كما يخترقها مجرى نهر «دلميري» الذي يمتد من ولاية نيوساوث ويلز ويخترق ولاية فكتوريا ليصب في ولاية جنوب استراليا في بحيرة الاسكندرية .

والعرب الموجودون في ملبورن هم عرب الصفوة ، الموظفون منهم قلة ، لكن الغالبية أصبحوا أصحاب مطاعم وملاه ، وهو فن يمتاز به اللبنانيون . وإعلانات السهرات اللبنانية تملأ الصحافة والشوارع ، وهي إعلانات أنيقة ضخمة .

إلى الكويت في خمسة وعشرين يوما

بالقرب من ملبورن يقع ميناء بورتلاند ، وهو من أهم موانيء تصدير الماشية على الساحل الجنوبي ، حيث تتركز كل تجارة تصدير الأغنام الاسترالية إلى العالم . والميناء مخصص ـ إضافة لتصدير الأغنام والأبقار إلى الشرق الأوسط ـ لتصدير بعض أنواع الحبوب والألومينا (أكسيد الألومنيوم) إلى اليابان ودول شرق آسيا كما أنه مجهز بشكل فني حديث .

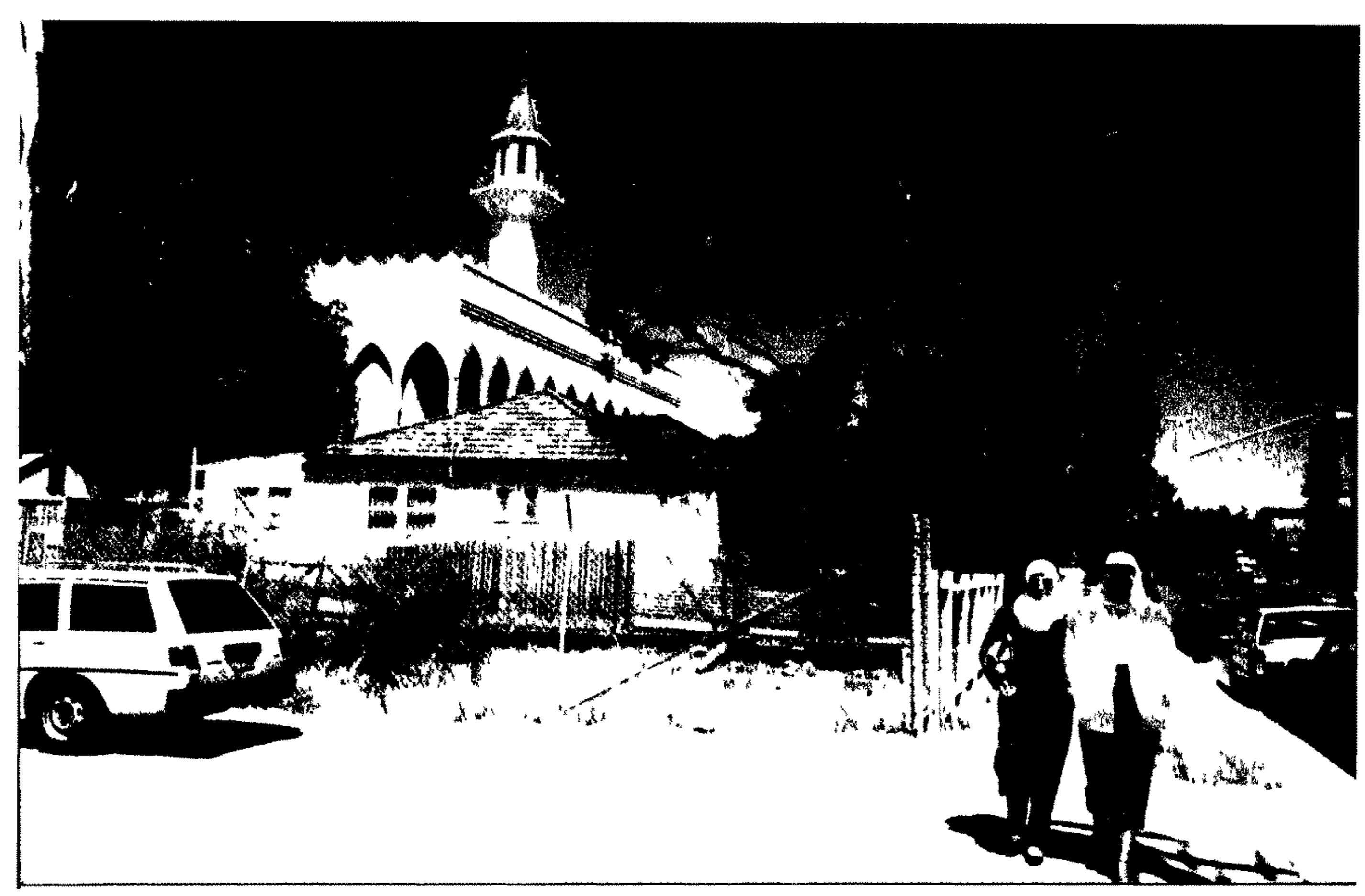
ناقلة ضخمة رابضة على رصيف ميناء بورتلاند ، يوحي شكلها بأنها سفينة ركاب من النوع الفاخر ، ومشعلة أنوارها أثناء الليل ، ويمكن للسكان القاطنين في هذه القرية الصغيرة ، في ولاية فكتوريا ، أن يروا ناقلة المواشي الكويتية (اليسرة) ، ذات الحمولة التي تبلغ مائة وعشرة آلاف رأس من الأغنام بشكل دوري ، وهي قابعة تحت السماء الصافية ، تحمل الأغنام الاسترالية ، في رحلة تستغرق خمسة وعشرين يوما إلى ميناء التفريغ في



● مدينة أدليد أهم مركز لتجارة الصوف .

الكويت . وقد عملت هذه الناقلة وشقيقتها بشكل خاص لنقل الماشية في رحلة تقطع خلالها حوالي ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف كيلو متر ، مخترقة المحيط الهندي ، ثم بحر العرب ، مرورا بخليج عمان ، ثم البحرين فالكويت ، وهي الوسيلة الوحيدة للنقل ، لذا فليس هناك بد لتحنيد جميع الإمكانيات لنجاح هذه العملية في هذا الميناء المهم على الساحل الجنوبي لاستراليا .

وشركة المواشي الكويتية تملك تسهيلات كثيرة في الميناء ، فالعملية تحتاج إلى إعداد مسبق . قبل النقل ، فمجرد العلم بقرب وصول الباخرة التي ستنقل الأغنام يتم قبلها بأسبوعين تحضير الحظائر بالقرب من الميناء لتجميع الأغنام ، فهي تأتي من مصادر مختلفة ، ثم تتم عملية الفحص الطبي لها ، كما يتم ترتيبها في مجاميع ، وتنقل إلى الباخرة في الوقت الذي يتم فيه تزويد الباخرة بالمياه لشرب الأغنام وتحميلها بالعلف للرحلة . يتم تصدير حوالي مليون رأس من الأغنام من هذا الميناء فقط إلى منطقة الخليج العربي كل سنة ، بمعدل ٢٢ سفينة في العام ، ويمكن شحن ٦٠ ألف رأس من الأغنام في اليوم الواحد .



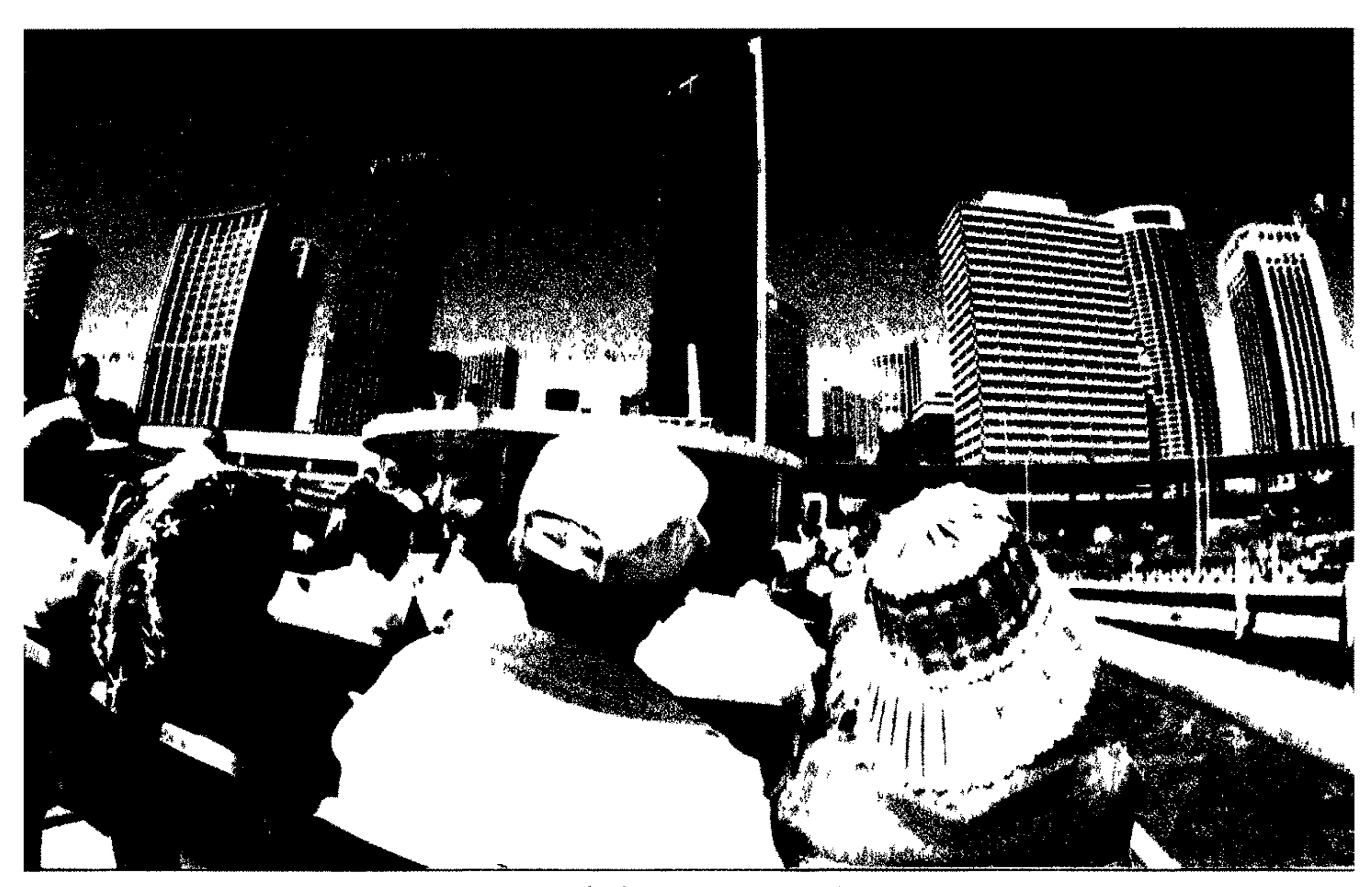
● المركز الإسلامي في «لاكنبه» في سيدني والذي يخدم الجالية العربية والإسلامية

رفاهية ورعاية

في طريق عودتنا من بورتلاند إلى «مونت جامبيا» في جنوب استراليا ، قمنا بزيارة مركز أبحاث علمي ، متخصص بدراسة كل ما يتعلق بالأغنام ، والأغنام في استراليا مدللة ، وكما يقولون في المركز : فإن المزارع عندما يتم تخصيصها لاتحصل على الموافقة بتربية أي كمية وأي عدد من الأغنام ، ولكن هناك حداً أقصى لعدد الأغنام في المساحة المعينة ، وفي المتوسط فإن الهكتار الواحد يخصص له ٦٠ رأساً من الغنم . وآخر أبحاث المركز هي دراسة التغيرات التي تطرأ على حالة الأغنام أثناء السفر البحري ، فقد لوحظ مؤخرا أن هناك نسبة بين ٣ - ٤٪ من كل شحنات الأغنام على السفينة لاتأكل مكعبات الغذاء الذي يقدم لها ، سواء في مركز التجميع قبل نقلها إلى الباخرة، أو في أثناء الرحلة ، وتموت نتيجة لذلك ، وهي في المركز ، حسب مايقول الخبير الدكتور ادريان كيلي ، يبحثون أكثر من افتراض لهذه الظاهرة : فهل هو الأسر بعد الحرية ، أو هو تغير نوعية الطعام ، حيث إن الأغنام على السفينة لاتأكل الغذاء الأخضر ؟ ولهذا بدءوا سلسلة تجارب طويلة ، تهدف في النهاية للوصول إلى حل ، لتخفيض كمية الأغنام التي تمتنع عن الأكل في أثناء الرحلة على السفينة .

ادليد المدينة الهادئة

ختام جولتنا كان في الولاية الثالثة ، وهي «ساوث استراليا» ، وبالتحديد مدينة ادليد ، عاصمة الولاية ، وهي مدينة يبلغ عدد سكانها ٩٦٠ ألف نسمة ، وهي عاصمة الأغنام في استراليا ، فالولايات الجنوبية في استراليا هي مناطق تربية المواشي ، وفي ادليد تتجمع كبرى شركات البيع والتصدير للأغنام التي تشترى عن طريق مزادات الأغنام من أصحاب المزارع ، ثم تعدها للتصدير ، كما أنها مركز تجمع شركات الأصواف الكبرى التي تبيع منتجاتها خاما



● سيدني بعدسة عين السمكة

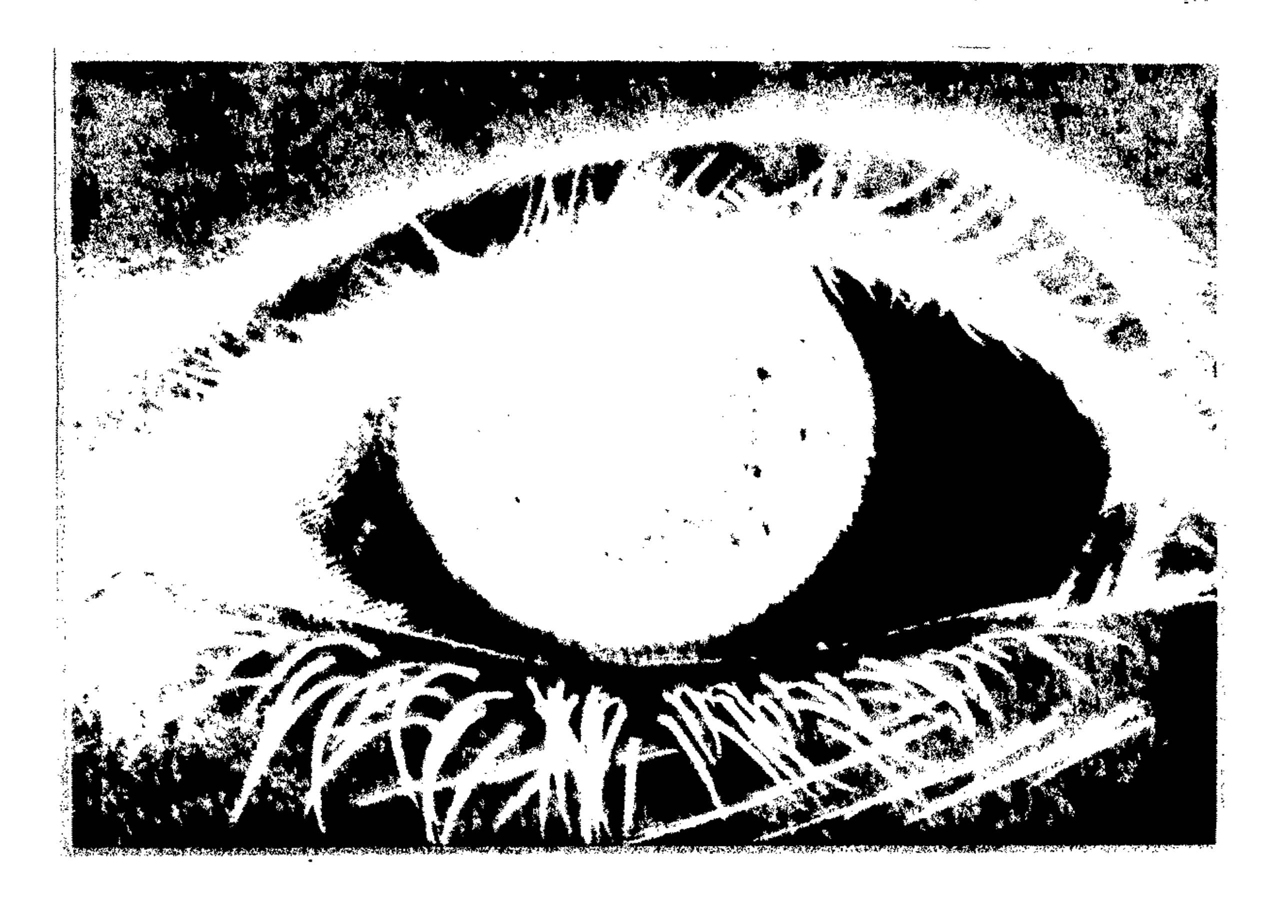
لبريطانيا وايطاليا واليابان وفرنسا . ثم تستوردها استراليا ملابس جاهزة تباع بأغلى الأسعار . وهم في استراليا يتندرون على هذه القضية .

فاستراليا أكبر دولة في العالم تنتج الأصواف الناعمة المستخدمة في صناعة الملابس . وهناك حوالي (٨٠,٠٠٠) من منتجي الصوف في استراليا يملكون حوالي ١٥٠ مليون رأس من الأغنام ، حوالي (١٦٪) من عدد أغنام العالم ، وتؤلف أغنام المارينوس حوالي ثلاثة أرباع الأغنام الموجودة في استراليا ، وهى أغنام ذات أصواف غاية في النعومة ، ويمتاز الصوف الاسترالي باتساق خيوطه . ويتم تصدير أكثر من ٩٠٪ من الصوف الاسترالي . وتقدم استراليا حوالي ٧٠٪ من صوف الملابس المتداول في التجارة الدولية .

وفي ادلـيد مكــاتـب شركــات بيع منتـجـات الكروم ، فهي مدينة فيها إدارات الأغنام والزراعة ، وتتمتع بساحل طبيعي جميل جدا ، ولذلك فإن أغلب سكانها إما موظفون في هذه الشركات ، أو «سماسرة» للشراء وللبيع ، أو أصحاب المزارع المحيطة بالمدينة . وحيث يسيل المال توجد أشهر طرق صرف المال وإنفاقه ، فيقام فيها في شهر نوفمبر من كل عام واحد من أكبر سباقات السيارات السريعة في العالم . وحول السباق تدور المراهنات وتحصد الأرباح أو الخسائر الفلكية .

وفي المدينة مكاتب تمثيل للمستوردين الرئيسيين من استراليا . والشوارع على جمالها وهدوئها تمتلىء بإعلانات أنواع الأغنام ، وبإعلانات أنواع الكروم والعصائر ، فالمدينة تعلن عن كل منتجاتها ، أمام زوارها الكثيرين .

قاربت الرحلة على الانتهاء ، ولم يعد في الإمكان البقاء أكثر من ذلك ، ولكننا لم نقدم صورة كاملة لهذا البلد القارة ، ومحاولة تقديم استراليا كاملة لايمكن أن تتم إلا بإقامة طويلة وانتقالات واسعة بين أجزائها الشاسعة ، ولكننا حاولنا أن نقرب صورة هذا البلد التي كانت حلم المكتشفين ، وأصبحت الآن حلم الكثيرين بالهجرة إليها وبدء حياة جديدة . □



بُومَة تكشفُ سِرّ قُزحِيَّة العَيْن !

بقلم : محمد فيض الله الحامدي *

عندما لم يجد الإنسان ما يفسر به بعض الأمراض ، أعادها إلى « عين » أحد الاخرين التي أصابته ، لكن العلم يقول : إنه عن طريق عين الشخص المريض يمكن معرفة إصابته !

* كاتب ومدرس علوم بالقطر العربي السوري

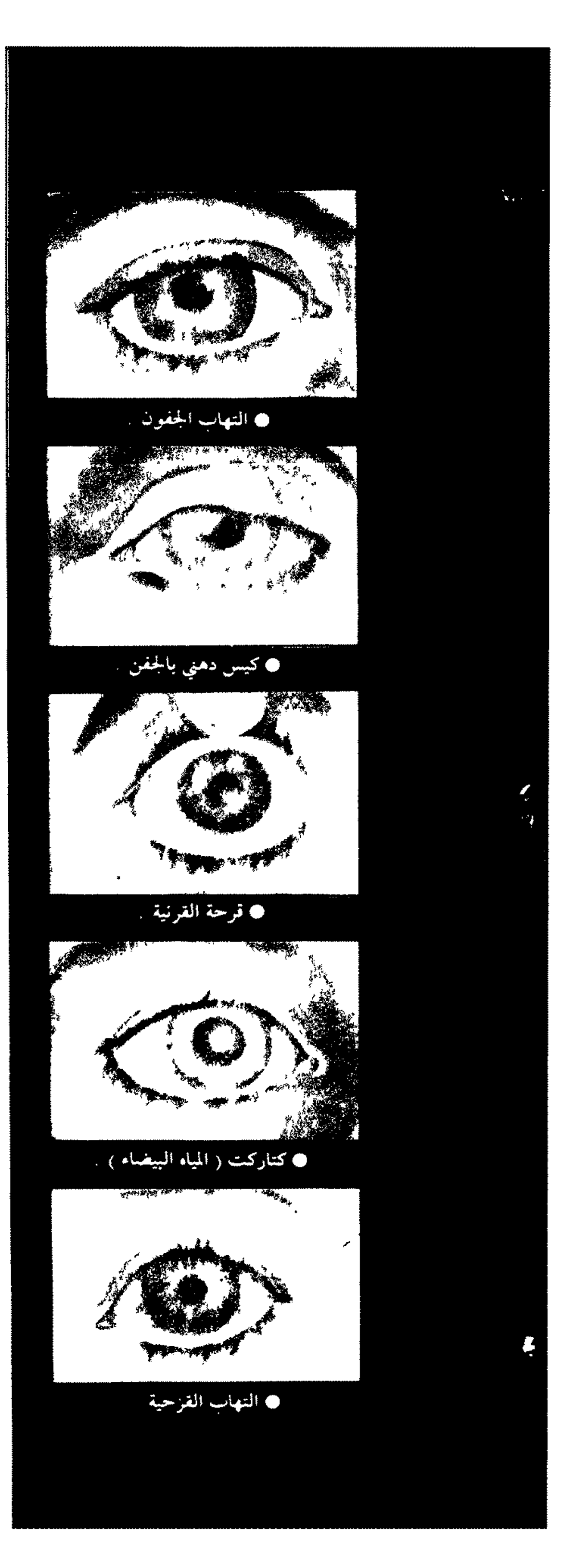
عندما كان الطبيب المجري « ايفناش بيكسيلي » في الحادية عشرة من عمره ، في نزهة ، في إحدى الغابات ، شاهد عش طائر ، فيه بيضة ، فاقترب منه مادا يده لتناول البيضة ، فهجمت عليه بومة بشكل مفاجيء ، وبشكل لاشعوري أبعدها « بيكسيلي » بعنف فكسر إحدى رجليها ، وقد لاحظ على الفور ظهور خط عمودي أسود على قزحية عين البومة .

تركت هذه الحادثة أثرا في ذاكرته ، مما جعله يركز اهتمامه ـ فيما بعد ـ على دراسة تأثيرات الأمراض الداخلية على قزحية العين عند الإنسان ، وتمكن من وضع مخطط تفصيلي لقطاعات القزحية ، مبينا علاقة كل قطاع بعضو معين من جسم الإنسان ،نشره في كتابه : « اكتشاف في مجال الطبيعة وفن العلاج » عام ١٨٦٦م .

القزحية : كيف تعمل ؟

القزحية جزء متسطح من الطبقة المشيمية لكرة العين الغنية بالأوعية الدموية التي تكسب جوف العين ظلاما ، وتظهر على شكل قرص دائري في وسطه ثقب ، يدعى الحدقة (إنسان العين) يضيق ويتسع حسب شدة الإضاءة ، وقطره في الإضاءة الشديدة مليمتر واحد ، أما في الظلام فيبلغ ٨ مليمترات .

وتعمل عضلتان على تغيير اتساع الحدقة ، أولا العضلة الدائرية المضيقة ، وهي عضلة ملساء ، تحيط بالحدقة ، على شكل حلقة ، وتنقبض بتأثير العصب المحرك للعين ، الوارد من الدماغ ، أما العضلة الثانية فهي العضلة الشعاعية الموسعّة ، وهي عضلة ملساء ، تمتد من حافة الحلقة باتجاه حافة القزحية ، وتتلقى أوامرها بالانقباض من الأعصاب الودية (السمبثاوية) وهى أعصاب مرتبطة بالجملة العصبية الودية التي لها تفرعات في الصدر



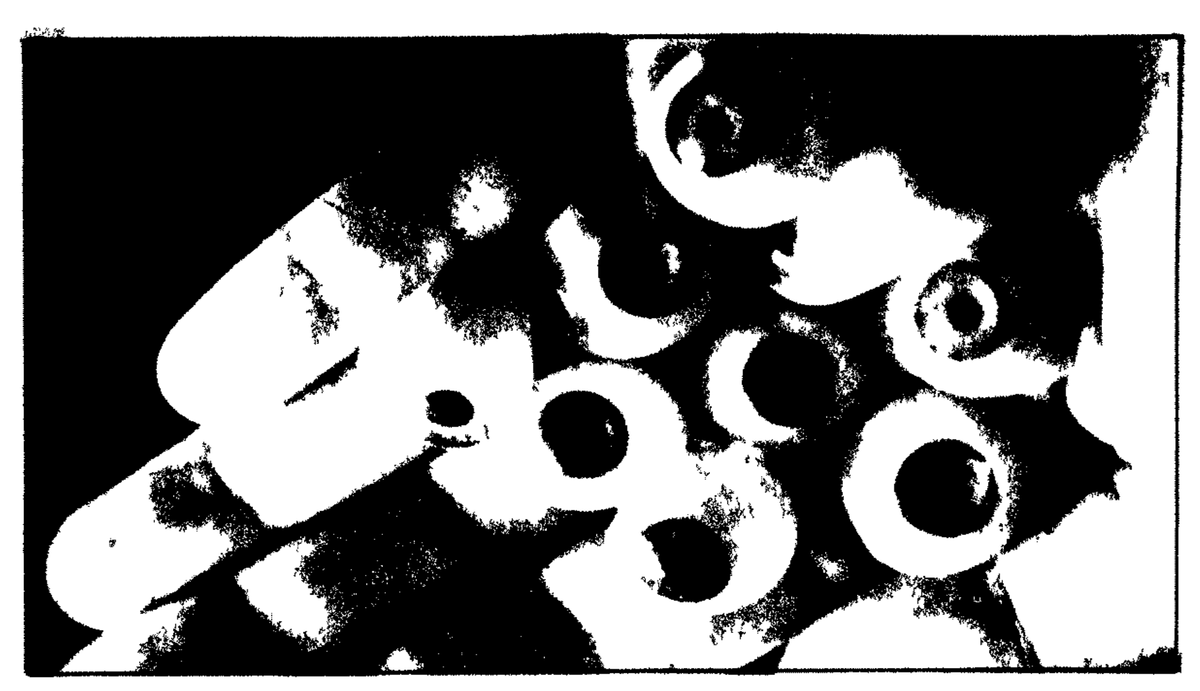
● التهاب الجفون .

● كيس دهني بالجفن .

● قرحة القرنية .

● كتاركت (المياه البيضاء) .

● التهاب القزحية



● نماذج من القزحيات الملونة ، تعرز لتجميل العين عند فاقدي البصر

والرقبة ، وتتصل بالغدة الصنوبرية أيضا . ولهذا لايستبعد أن تكون للحالات العصبية والعاطفية انعكاساتها على القزحية .

وتتأثر القزحية بالضوء المباشر ، ففي النور الشديد الساطع يتأثر العصب الحسي - غير البصري - في الشبكية ، فينتقل الإحساس إلى المخ ، فيقوم بدوره بإرسال أوامره عبر العصب المحرك إلى العضلة الدائرية في القزحية ، فتتقلص ، وتضيق الحدقة بسرعة ، لحماية الشبكية من أذى الأشعة ، وتمكين العين من الرؤية الصحيحة .

أما في النور الخافت ، فإن العضلة الدائرية ترتخي ، بينما تتقلص العضلة الشعاعية بتنبيه الأعصاب الودية، بآلية مازال بعض أسرارها خافيا ، فتتسع الحدقة نتيجة لدخول حزمة أوسع من الأشعة الخافتة ، فتتمكن العين من الرؤية بوضوح أيضا .

كما أن النظر إلى جسم بعيد يوسع الحدقة ، وإلى جسم قريب مماثل يضيقها ، فالعضلتان فعلهما متعاكس ، ولكن كلا منهما تتلقى الأوامر من مراكز مختلفة متباعدة ،وهذا الأمر مدعاة للتأمل !

ألوان العيون

وتعود درجة تأثر القزحية بالضوء إلى كمية القتامين ، وهي مادة صبغية محمولة على تكوينات مجهرية ، تدعى (حملة اللون) ، وهي التي تعطي القزحية لونها المميز ، فكثافة هذه المادة الكبيرة تعطي القزحية لونا أسود ، وكلما قلت كثافتها تدرج لونها البني حتى اللون الأزرق . وقد وجد أن الحدقة في القزحية الزرقاء أوسع منها في القزحية السوداء ، في الظروف نفسها . كما ثبت أن قشرة المخ تتأثر بانفعالات القزحية بالضوء ، فالتخطيط الكهربائي للدماغ أثبت أن ذوي العيون القاتمة أكثر تأثرا من ذوي العيون الغامقة ، وهذا ينعكس على دوام الرؤيا الليلية (الأحلام) أيضا ، وعلى الرغم من أن لون القزحية صفة

وراثية ، يسود فيها اللون الأسود على اللون الأزرق فإن هناك عوامل أخرى تؤثر على هذا اللون ، فلكل مجتمع في منطقة جغرافية ومناخية معينة ظروف خاصة ، تنعكس تأثيراتها على ألوان القزحية بشكل عام ، فالذين يعيشون في المناطق الشمالية الباردة قزحيات أعينهم زرقاء ، بينما قزحيات عيون سكان المناطق الاستوائية سوداء ، وفي المناطق المعتدلة تسود القزحيات البنية ، ويعود هذا ، بالإضافة إلى العامل الوراثي ، إلى شدة الإضاءة في كل منطقة ، ودرجة الحرارة السائدة .

وقد لوحظ أن صاحب العين الزرقاء ، إذا انتقل إلى المنطقة الاستوائية ، يصاب بصدمة عصبية ، وبتشنج في الأوعية الدموية ، ويميل ضغطه الشرياني إلى الارتفاع ، كما يصاب صاحب العين السوداء بالاحباط عندما ينتقل إلى المناطق الشمالية الباردة ، ويعاني ضعفا وتعبا عاماً وركوداً في الدم ، حتى يتأقلم . وتكشف الإحصائيات أن ذوى العيون البنية في السويد وانجلترا - مثلا - يصابون بالسل الرئوي بمعدلات أكبر من ذوي العيون الزرقاء .

القزحية ملف طبي

تصاب القزحية كنسيج حيوي بأمراض معينة ، وما نقصده هنا هو العوارض التي تبديها القزحية نتيجة اعتلال أعضاء داخلية في الجسم ، كالقلب والرئتين والكلية ، واضطرابات الدم ، وغير ذلك .

ولقد ظهر إلى الوجود علم خاص ، يدعى علم القزحية inidolgoe ، له فرعان : الأول علم القزحية الترب ، ويدرس تغيرات القزحية الناتجة عن اختلال تركيب الدم ، والتبديلات الطارئة التي تنشأ عن وصول الدم إلى القزحية .

والثاني علم القزحية القطاعي ، ويدرس تغيرات قطاعات معينة من القزحية ، تتأثر باعتلال الأعضاء الداخلية ، وتنتقل إليها بطريق عصبية .

ويمكن أن تظهر تغيرات (تربية) أو (قطاعية) على قزحية العين ، قبل ظهور الأعراض الجسمية للمرض ، لهذا فعلم القزحية بطاقة هوية لما ورثناه ، لماضينا المرضي ولما ينتظرنا من أمراض في السنين المقبلة ، كما يقول روبير ماسون Robertmasson الفرنسي المختص بالمعالجة الطبيعية للأمراض عن طريق التغذية . فالفراعنة في عهد توت عنخ آمون كانوا يشخصون الأمراض بواسطة

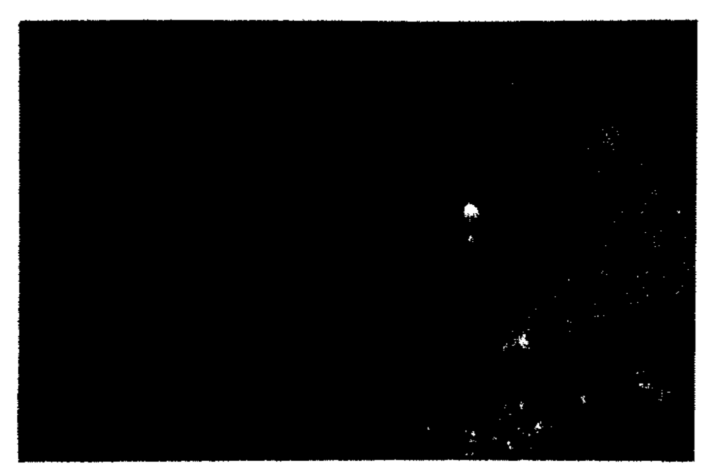


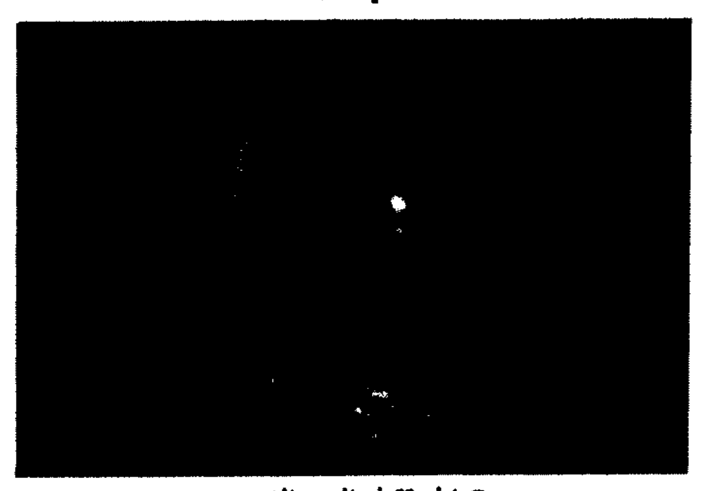
● « روبير ماسون » فرنسي مختص بالمعالجة الطبيعية للأمراض عن طريق التغذية .

القزحية ، وكثير من رعاة القبائل الجبلية يكتشفون أمراض الأغنام من ألوان عيونها . لكن الدراسة العلمية لتشخيص الأمراض عن طريق الكشف على القزحية لم تظهر إلا مؤخراً .

أمراض بالساعة !

ولتسهيل عملية التشخيص هذه تم ترقيم حافة القزحية إلى (١٢) رقما كالساعة تماما ، وبذلك قسمت القزحية إلى (١٢) قطاعا رئيساً ، وكل قطاع مرتبط بنهايات عصبية ، تتأثر باعتلال أعضاء معينة ، فاضطرابات القلب مثلا تظهر على قزحية العين اليسرى ، في


● الحدقة في النور الضعيف


● الحدقة في النور الشديد .

القطاع المناظر للساعة الثالثة والربع ، والاختلال المهبلي في قطاع الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وهكذا .

ولكن كيف تتأثر القزحية بالأمراض الداخلية ؟ عند اعتلال القلب - مثلا - يتأثر المخ ، فيرسل تنبيهات الألم إلى القزحية (القطاع المختص فيحدث تشنج بسيط للأوعية الدموية المغذية لهذا القطاع ، ويقل إمداد الاكسيجين (لحملة اللون) ، فتصاب بالخمول ، وتعجز عن أداء وظيفتها بالشكل المطلوب ، فتظهر رقع على القزحية ، ومنها يستدل المختص على العضو المريض ، ومازالت أسباب هذا الارتباط بين القزحية وأعضاء الجسم الداخلية غير معروفة تماما .

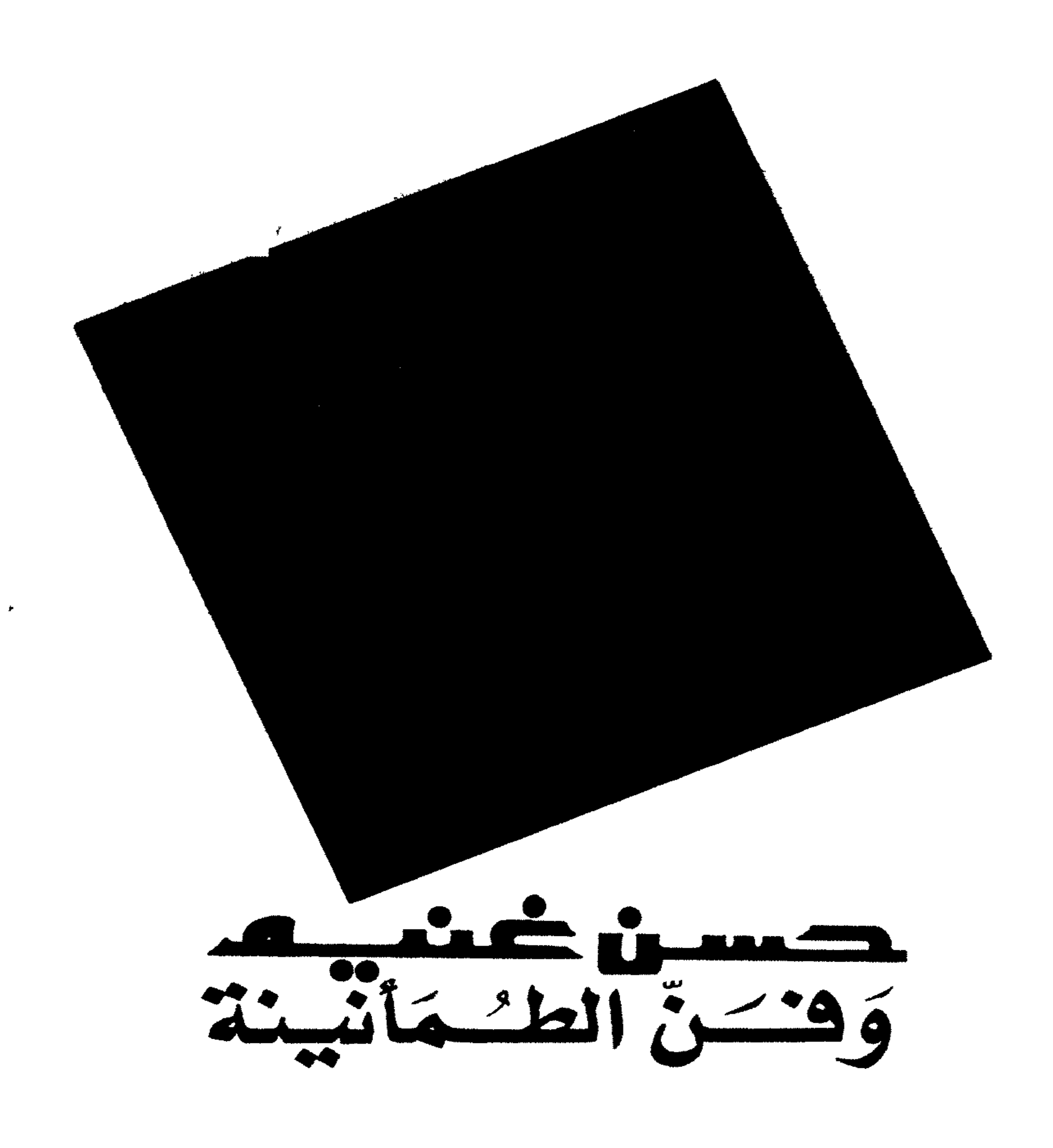
لكن العين جملة نافذة الدماغ على الوسط الخارجي ، والطبقة المبصرة هي امتداد للنسيج العصبي ، والدماغ هو المهيمن الأساس على ضبط نظام عمل الأعضاء في الجسم . وقد لوحظ أن أكثر من ٦٨٪ من المصابين بالروماتيزم تظهر على قزحيات عيونهم نقاط مبعثرة ، بألوان بيضاء وصفراء وبنية وسوداء ، ولدى المصابين بأمراض المرارة الحادة ، والتهاب البنكرياس ، وقرحة المعدة ، والذبحة الصدرية ، واحتشاء عضلة القلب ، تظهر بقع صبغية لدى ٩٥٪ منهم ، ويزداد ظهورها إذا ترافقت تلك الأمراض مع الألم .

واليوم تشخص الأمراض عن طريق الكشف على القزحية بنجاح كبير ، كما يؤكد على ذلك الطبيب السوفيتي الشهير المختص بالأمراض العصبية (يفغيني فيلخوفر) .

إن قزحية العين التي تعطي جمالا وسحرا للوجه لها أكثر من معنى ، وأكثر من وظيفة ، وقد تكون بحق مرآة النفس البشرية « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . □



● كان للشاعر حافظ ابراهيم صديق شديد البخل على الرغم من ثروته الكبيرة ، فلما زاره حافظ ذات يوم ، وجده واجما حزينا ، فسأله عما به ، فأجابه الصديق البخيل : أشار الطبيب عليّ بضرورة إجراء عملية جراحية لي تكلفني خمسين جنيها ، وإلا فإن مصيري الموت ، فما رأيك ؟ فأجاب حافظ : أرى أن توفر الخمسين جنيها !



حسن غنيم وَفنّ الطُمَأنينة

بقلم : محمود بقشيش

من سمات الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ، استلهامه عناصر التراث العربي ، خاصة تراث الفن الإسلامي ، ومزجه بتقنيات الفن ومدارسه الحديثة .

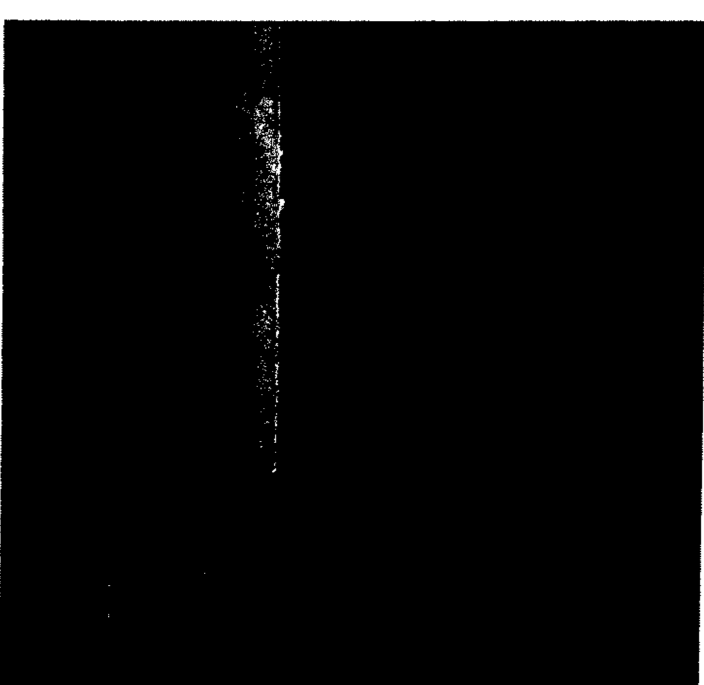
الفنان حسن غنيم الذي يعرض هذا المقال أبرز أعماله ، واحد من الفنانين العرب المحدثين الذين يسعون بإبداعاتهم للبحث عن هوية فنية مميزة .

منذ رفع المثال المصري « محمود مختار » ـ في العقد الثاني من هذا القرن ـ شعار « نحو فن قومي » ، لم تخمد جذوة دعوته ، بل ازدادت اشتعالاً على الرغم من تحديات سلطان النموذج الأوربي في الفن . وأسهمت إبداعات بعض الفنانين العرب في توكيد هذا الشعار الذي صار تياراً . ومثلما تعددت أسباب الدعوة إلى اكتشاف خصوصية لفن عربي قومي ، تعددت تجليات تلك الخصوصية ، فمن الفنانين من اكتفى باستلهام إرث بيئته ، ومنهم من رأى عدم الاكتفاء بإرث المنطقة الاقليمية التي ينتمي إليها ، بل تجاوزها إلى استلهام إرث يجمع الشتات . وكان من الطبيعي أن يكون الجامع الموحد لهذا الشتات هو الفن الإسلامي بتنويعاته الغنية . واتجه بعضهم إلى محاولات اكتشاف إمكانات « الحرف والكلمة العربية » الجمالية والتعبيرية . ولمعت أسماء من كل الأقطار العربية ، واستطاع بعضهم أن يحصل على اعتراف دولي . وعلى الرغم من تنوع إبداعات الفنانين العرب في هذا المجال ، واستقلال كل قطر بملامح خاصة ، فإن المشاهد الأجنبي لا يلحظ تلك الاختلافات البينية ، ولا تلتقط حواسه إلا ما يدل على انتمائها إلى « كتلة ثقافية » واحدة ، لهذا كان ـ وما يزال ـ الطريق أمام استلهام الحرف العربي والزخرفة الاسلامية مفتوحا إلى الذيوع العالمي ، والتميز ، وربما التأثير ، على شرط أن تتبنى ذلك مؤسسات عربية كبرى ، تثق بدور الفن ، والفنان الحضاري .

والفنان الذي نقدمه إلى القاريء العربي ، هو الفنان المصري « حسن غنيم » الذي ينتمي إلى تيار مستلهمي الفن الإسلامي ، بتجلياته المختلفة ، وتكشف إبداعاته في فن الرسم الملون عن جوانب مختلفة ، لاجتهادات متميزة ، تضعه ، بغير تردد ، بين المبدعين المرموقين في وطننا العربي .

سيرته الذاتية :

لو حاولنا أن نبدأ الرحلة مع إبداع الفنان المصري « حسن غنيم » وشخصه ، بالنظر إلى كليهما نظرة إجمالية ، خاطفة ، أو بلغة الهندسة « منظور عين الطائر » فإننا نلاحظ خطين أساسين . أولهما : التزام الفنان بمنبع رئيس واحد ، ظل منحازاً له حتى الآن ، وهذا المنبع المختار هو الفن الإسلامي . ثانيهما : حرصه على أن يصل فنه إلى جمهور عريض ، فلم يكتف بقاعات العرض التقليدية ، بل أقام معارضه في محطات السكك الحديدية ، ومراكز التجمع الشبابي ، ووصل بها إلى القرى والنجوع . والطريف أنه لم يدرس الفن ـ وربما لحسن الحظ ـ دراسة معهدية ، ولو استثنينا تشجيع أستاذه في الرسم في المدرسة الابتدائية ، فإنه لم ينل أي قسط من الدراسة المنهجية . وعلى الرغم من حصوله على عديد من الجوائز في المرحلة الإعدادية والثانوية فإنه كان يلقى مقاومة شديدة من أسرته ، مما اضطره إرضاءً للأسرة ، أن



● لوحة من أعمال الفنان حسن غنيم « زيت على توال »

يلتحق بكلية التجارة ، لكي يحصل على « شهادة » ، وبعد تخرجه من الكلية عمل في وزارة الثقافة مسئولا في قاعات العرض الرئيسة ، في أواخر الستينيات ، وما يزال يعمل في مجال العروض الفنية ، وبذلك يكون قد حقق لأسرته ما أرادته ، ولنفسه ما أرادت . أتاح له هذا العمل الاحتكاك الدائم بالإبداع والمبدعين ، وأتاح لموهبته ، بالتالي ، أن تصقل . يعترف « حسن غنيم » بأن أستاذه الأول كان جامع العارف بالله ابراهيم الدسوقي ، بمدينة « دسوق » ، شمال الدلتا ، وتولاه هذا الجامع ، منذ صباه حتى شبابه المبكر بتهذيب حواسه أو تثقيفها ، بما يملكه من إبداع معماري وزخرفي . كان يداوم على المجيء إلى الجامع للصلاة واستذكار الدروس ، مثل معظم أبناء الفقراء الذين لا يملكون من وسائل الإضاءة غير « لمبات » الغاز . وتركت تلك العلاقة آثارا عميقة في نفسه ، لهذا فإن انحيازه لم يأت استجابة لتيار قومي سياسي ، أو ركوب موجة كما يقال ، بل انحياز المحب إلى الحبيب ! .

البرتقالات المثمرة !

إذا تأملت كل لوحاته ، فإنك لن تجد أثرا واضحا للملامح الخارجية الوصفية لتلك العلاقة الحميمة بينه وبين أستاذه الأول : جامع ابراهيم الدسوقي ، على غير الحال مع علاقته بالمناظر الطبيعية لمدينته ، فقد كانت علاقته بها علاقة الدارس ، الواصف الناقل لما تراه حاسة العين ، وتطرب له النفس ، بينما اختفت وقائع الجامع ، وظهرت إيحاءاته في صور شتى ، تحركها ، أحيانا ، بعض المصادفات السعيدة ، مثل مصادفة « البرتقالات » ! . وقد يتساءل القاريء : وما علاقة البرتقال بالفن الإسلامي ، أو علاقته أصلا بسياق الحديث ؟ وأجيب : لقد كان شكل البرتقال بداية لبحث طويل ، وطريقاً شاقاً إلى النضوج . إنه من المؤكد أنه رأى أهرامات البرتقال على عربات الباعة ، غير أن لحظة « ارشميدسية » قد تألقت في حواسه وعقله ، فاكتشف في لمحة خاطفة أنه لم يشاهد من قبل برتقالاً . كانت كتل البرتقال الاسطوانية البراقة ، وفراغاتها البينية ، تشكل في مجملها نسقا هندسيا ، ورياضيا ، يشبه - في جوهره - نظام المشربية . وكان حينئذ ما يزال غارقا في رسم مناظر من مدينته بأسلوب وصفي ، غير أن الوصف الأكاديمي البارد ، كان قيداً ، فقاومه برسم غطاء هندسي مجرد شفاف ، واحتفظ لتلك المربعات الفسيفسائية بألوان اللوحة الوصفية ودرجاتها نفسها فكأنها لوحتان جمعتا في مشهد واحد ، يجمع بين نقيضين ، لا يشكلان وحدة عضوية . وأذكر أنني اقترحت عليه حينذاك أن يفض الاشتباك المتعسف بين اللوحتين ، وفعل ، ثم جاءت البرتقالات ، فحسمت علاقته بالمنهج التشخيصي ، ورجحت كفة التجريد الهندسي غير المقطوع الصلة بمثيرات الواقع ، أو بمعنى أدق : بمخزون ذاكرة تعلقت بوحدات وفنون من



● صورة للفنان حسن غنيم

التراث الإسلامي ، مثل : الفسيفساء ، والخرط الخشبي العربي ، والخط العربي ، والمشكاة ، وربما كان طبيعيا أن « يقترب » في تلك الفترة من أسلوب « الأوب آرت » كما فعل ، دون أن يلتزم به ، فبينهما - أعني : نظام المشربية والفن البصري - بعض الشبه ، وإن اختلفا فلسفة وتوجها .

استدعاء مفردات جديدة !

مع لوحات كرات البرتقال ، حدث التوفيق بين نظام المشربية والمدرسة البصرية ، أو بين القديم والمعاصر ، وقد حال نظام « الفسيفساء » دون الانحياز إلى الطابع الإعلاني الذي تدعو إليه المدرسة البصرية . وكشفت لوحاته الأولى عن روح الدارس ، الباحث ، الدؤوب . في جوانب مادة اكتشفها ، أو علاقة التقطها : علاقة كتل البرتقال بفراغاته البينية من ناحية ، وما يمكن أن توحي به تلك العلاقة من مشابهات مع نظام المشربية من ناحية أخرى ، وعندما وظف كتل البرتقال في سياق لوحاته الأولى ، التزم بمصدر ثابت للضوء ، ولم يترك للظلال أن تنزلق على اسطوانية الكتل ، بل قسم حدودها الداخلية إلى وحدات مربعة صغيرة ، التزمت بدرجات الظل ، وأوحت بمستويات « كريستالية » ، تناقضت مع منهج بناء منطقة النور ، وربما لهذا السبب أو غيره ترك هذه الطريقة ، وبسط كتلة البرتقالة ، وجعلها دائرة ، مسطحة ، وما تزال تلك الدوائر تحتل مركزا مرموقا في لوحاته ، وقد ولد منها وحدات أخرى : وحدات المشربية ، ووحدات الخرط الخشبي العربي . وفي البداية لم يلتزم بنظام المشربية حيث الانتشار إلى ما لا نهاية ، والانضباط الرياضي المحكم ، بل اصطنع حدودا خارجية ، ترسم نهايات شبكة الوحدات الهندسية ، وتوحي لنا بأننا أمام منظر طبيعي ، كما في لوحة « تكوين من الخرط العربي » ، على سبيل المثال ، ففي اللوحة نشاهد عند حدود التماس بين نهايات التكوين العلوية ، وفضاء اللوحة ، ما يوحي بأننا أمام كثبان صحراوية ، تتوجها دائرة قمرية أو شمسية ، تتردد في إطارها الداخلي كلمة : (لا إله إلا الله) ، ويظهر الإيحاء بالمنظر المستلهم ، أو المتولد من صورة ذهنية ، عن جماليات البيئة المصرية المنبسطة أكثر وضوحا ، ونضوجا في مجموعة لوحات تسمى « سحر الشرق » . في تلك اللوحات تنتشر الأعمدة في صفوف ، وفي مستويات مختلفة ، وتتسم تلك الأعمدة بملامح جامعة ، تفصح عن أصولها ، دون أن تتطابق معها ، ففيها ملامح من المشربية ، والخرط العربي ، والشمعدان .

تألق في تلك المجموعة ، دور الفضاء التصويري ، كما تألق دور اللون الأبيض ، وبمعنى أدق : رذاذ اللون الأبيض الذي كان يمطر به اللوحة ، فتكسوها غلالة شفافة ترقق كتل الأعمدة والأقواس ، وتُذَوِّب بعضها في فضاء اللوحة الأبيض ، ويسبغ هذا التدرج في درجات الغامق والفاتح ، مع غطائه الأبيض ، في إرضائنا ودعوتنا إلى نوع من السكينة والطمأنينة . □

من حفظ السر .. كان الخيار له



قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : أسرّ اليّ معاوية حديثا ، فأتيت أبي فقلت له : إن أمير المؤمنين أسرَّ إليّ حديثا ، ولا أظنه كان يطوى عنك فأخبرك به . فقال : لا يابني ، من كتم سرا كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكن مملوكا بعد أن كنت مالكا ، فقلت : إن هذا لايدخل بين الرجل وابنه . فقال : لا يابني ، لكن أكره أن يتذلل لسانك بأحاديث السر ، فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بيني وبين أبي ، فقال : يا وليد اعتقك أبوك من الخطأ .



الدكتور سهيل إدريس ○ جهاد فاضل

■ حملت مجلة "الآداب" هموم الجيل الجديد، ولواء الحداثة الأصيلة، ولم تبتعد عن التراث.

■ صلتي بالرواية لم تنقطع، وآمل أن أعود.

■ لم ننقل من الوجودية إلا ما يحض على التحرر وتحمل المسؤولية.

الدكتور سهيل إدريس ، صاحب مجلة « الآداب » ، ورئيس تحريرها ، شخصية ثقافية متعددة الجوانب ، فهو قاص وروائي ومترجم وواضع قواميس . وفي كل باب من هذه الأبواب له أعمال كثيرة معروفة ، ولكن عمله الخالد بنظر كثيرين هو مجلة الآداب ذات الأثر التنويري البارز ، فقد حملت « الآداب » ، منذ نشأتها ، روحاً عربية تجديدية ، وعلى صفحاتها كتبت أجيال من الكتاب والأدباء والشعراء والمفكرين العرب ، ولعل سر « الآداب » كامن في روح التجديد التي حملتها ، فهي لم تدر ظهرها للتراث العربي الإسلامي ، بل انطلقت منه ، دون أن تعتقل نفسها فيه . أدار الحوار جهاد فاضل ، وهو صحفي من لبـــنـان .



*** متى كانت بدايتك مع الأدب ؟ وكيف استطعت بلورة أحاسيسك الأولى في أعمال أدبية ؟ هل لك أن تحدثنا عن تلك البداية ؟**

ـ ميولي الأدبية أحسست بها منذ نعومة أظفاري كما يقولون . ولابد أن الأحداث التي عشتها ، ضمن عائلتي وفي حياتي الاجتماعية ، قد حددت هذا المسار الأدبي . أذكر الآن أن أول انتاج كتبته عنونته بعنوان يدل على المرحلة الرومانطيقية التي بدأت بها الكتابة . كان عنوان ذلك الأثر : أشعة فؤاد ، وقد كتبته بوحي من حب وقعت فيه ، في أحد المصايف ، لفتاة كنت أسكن في الطابق السفلي في بنايتها . وكنت في تلك الفترة شيخا صغيرا ، معمما ، لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره . وقد أحسست ذات لحظة أن هذا الزي كان عائقا لانطلاق عاطفتي المشبوبة نحو هذه الفتاة فخرجت من هذا الزي ، أو صممت على الخروج منه ، لشعوري بأنني لم أخلق له ، وتقدمت إلى شهادة البكالوريا بعد دراسة دينية مكثفة، وكانت تلك وسيلة أو ذريعة للتوجه نحو الدراسة المدنية . لكن وضعي العائلي لم يكن يسمح لي بالاستمرار في الدراسة الثانوية مدة طويلة ، فانتسبت إلى الصحافة ، وعملت في مجلة « الصياد » ، وجريدة « بيروت » ، و« بيروت المساء » ، فترة سبع سنوات ، كتبت في أثنائها مجموعتي القصصية الأولى التي صدرت عام ١٩٤٧م بعنوان « أشواق » وفيها طغيان تلك النزعة الرومانطيقية التي تتناسب تماما مع سن ذلك الفتى المشغوف بالحب والأدب الفرنسي الذي جذبني إليه أستاذ اللغة الفرنسية في كلية المقاصد الإسلامية آنذاك ، السفير السابق خليل عيتاني .

وأذكر أن أول رواية فرنسية ترجمتها كانت لكاتب ، ترك طابعه في أدب ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وهو آلان فورنيه ، صاحب رواية « مولن الكبير » ، ومازلت أعتقد أن هذه الرواية من أروع الروايات التي تصور مأساة الحب لدى شاب حاربته الأقدار ، فحاول أن ينتصر عليها بالهرب إلى آفاق الأوهام والأحلام .

ثم أصدرت مجموعتين أخريين ، هما : « نيران وثلوج » ، و« كلهن نساء » ، عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩م .

كان الهم القومي قد بدأ يشعل فكري ووجداني ، وكانت أول قصة كتبتها ، بوحي من هذا الهم ، بعنوان : « قصة شهيد » ، نشرت في مجموعتي الأولى . ثم تنبهت فجأة إلى أن الصحافة كانت تلتهم مني القصاص والأديب ، وتحاول أن تسطحه ، فقمت بالتمرد الثاني عن نفسي ، وهجرت الصحافة الأسبوعية واليومية ، بعد قضاء سبعة أعوام فيها ، لأجد نفسي بعد ذلك مرة أخرى طالبا في باريس ، يحاول أن

يعد رسالة دكتوراة في الأدب ، فيصطدم بكثير من المصاعب والمتاعب ، إلى أن تغلبت عليها ، وأعددت رسالة الدكتوراة مع المستشرق بلاشير ، وكانت بعنوان : « الرواية العربية الحديثة والتأثير الأجنبي عليها من ١٩٠٠م إلى ١٩٥٠ » .

إن قضاء ثلاثة أعوام في العاصمة الفرنسية هو الذي أدى الى تكوني الأدبي الجديد ، بتأثير الحياة الثقافية بشكل عام ، والحياة الثقافية الفرنسية وهموم المثقف العربي الذي يواجه في عاصمة أجنبية صدمة الغرب بحضارته وثقافته وعلومه ، ويحاول أن يستخلص هويته بعد هذه الصدمة ، ليجد أنه لا مفر له من العودة إلى الجذور ، وهو الذي قاد مسيرة الفكر الأدبي الذي تبنيته مرتبطا ارتباطا جذريا بالتراث العربي ، ساعيا إلى خلق جديد يأخذ بالمعاصرة ، فيما هو يستشعر أثر الحضارة العربية والماضي البعيد الذي يناقضه مناقضة عميقة واقع العرب بعد هزيمة ١٩٤٨م .

وحين عدت إلى بيروت عام ١٩٥٢ صممت على أن أحمل هموم الجيل العربي الجديد ، في مجلة تعبر عن آلامه وآماله وطموحاته ، أنشأتها عام ١٩٥٣ ، تحمل جروح الهزيمة ، وتطمح إلى الإسهام في الخروج منها ، عن طريق تأسيس ثقافة عربية جديدة واعية ، لا تستطيع أن تنفصل عن الماضي ، ولا تستطيع أن تنفصل أيضا عن هم التجديد والتحديث ومسايرة التطور في مختلف ميادينه .

وبعد ذلك ـ باختصار ـ بدأت الإنتاج : قصة قصيرة ، ورواية ، ودراسة : « الخندق العميق » ١٩٥٢ ، « الحي اللاتيني » ١٩٥٣ ، « الدمع المر » قصص ١٩٥٦ ، « رحماك يادمشق » ١٩٦١ ، « أصابعنا التي تحترق » ١٩٦٢ ، « العراء » ١٩٧٣ . وكتبت مسرحية ، مثلت في بعض الأقطار العربية ، عنوانها : « زهرة من دم » ، وهي من وحي نضال الشعب الفلسطيني والفدائيين .

وفي هذه الأثناء ترجمت زهاء عشرين كتابا ، بين رواية ودراسة وأقاصيص ، وكانت ترجمتها تنوء بهذا الهم : تحديث الإنتاج العربي ، وربطه باستمرار بالهم القومي الذي ينفتح على النزعة الإنسانية ، ويبتعد بعيدا عن الشوفينية .

هذا ما يمكن أن نعده مسيرة أدبية ، متروك أمر تقييمها لمؤرخي الأدب ونقاده .

مجلة الآداب ودورها الطليعي

*** إسهامكم الأدبي ، من قصة ورواية ودراسة ، إسهام متميز ، ولكن هناك من يقول : إن أعظم ما أنتجه سهيل إدريس هو مجلة « الآداب » ، ذات الأثر الأدبي والفكري والقومي في مسيرة النهضة العربية المعاصرة، وهو دور تاريخي إذا ما قيس بأدوار مجلات أخرى، لم تحفر عميقا كما حفرت « الآداب » .**

ــ قد تكون مصادفة أن « الآداب » ظهرت عام ١٩٥٣، عند احتجاب مجلتين مهمتين في مصر ، هما : « الثقافة » و« الرسالة » . ومع أهمية هاتين المجلتين في المسيرة الثقافية العربية إلا أن احتجابهما ذو مغزى، وهو أنه تزامن مع سقوط العهد الملكي في مصر . ولذلك تزامن صدور « الآداب » مع قيام الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ . فهل هي مصادفة أو أن ذلك منطق التاريخ، يفرض نفسه بين مراحل الانتقال من عهد إلى عهد ؟

على أي حال ، حملت مجلة « الآداب » ، كما ذكرت، جراح حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وبدأت تؤسس للنهوض من هذه الهزيمة، وقد استوعبت مقولة أن هذا النهوض لا يمكن أن ينقطع من التاريخ العربي والحضارة العربية. من هنا كان التخطيط يأخذ بالحسبان، عندما أنشئت مجلة « الآداب » أن كل تجديد لابد أن يكون مرتبطا بالجذر التراثي ، بخلاف التفكير الذي قاده بعض المثقفين العرب في لبنان ، وغير لبنان ، عندما أخذوا بفكرة تبني التيارات الأجنبية على اختلافها ، يسارية كانت أو يمينية ، في وجه الارتباط بالتاريخ والتراث العربي. وقد كان هذا التخطيط لا يخلو من

صعوبة في التنفيذ، لكن استجابة المثقفين العرب لهذا التوجه هي التي مكنت المجلة من أن تفتح الطريق أمام هذه الحداثة الأصيلة، فكان الشعر العربي الحديث هو الذي يخرج عن تقليدية الأوزان الخليلية، ولكنه لا يدمر أصل الشعر الذي هو التفعيلة . وهذا ما تجسد في القصائد الأولى التي نشرتها « الآداب » منذ صدورها، وظهرت على صفحاتها قصائد السياب، ونازك الملائكة، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي، والبياتي، وسواهم، ممن أخذوا بناصية القصيدة العربية الحديثة، كاسرين البحور والقوافي، لكنهم متشبثون بالجذر الشعري الذي هو التفعيلة كما ذكرت.

وبعد صدور « الآداب » بسنوات ظهرت مجلة « شعر » التي اختطت لنفسها طريقا آخر، اجتهدت بأن يكون في رأيها قائما فحسب على تقليد الشعر الأجنبي، وعلى اقتباس قصيدة النثر منه، تلك القصيدة التي لا علاقة لها بالشعر العربي، والتي لم تستطع مجلة « الآداب » ، في توجهها أن تهضمها إلا في ما ندر، إذ نشرت بعض إنتاج محمد الماغوط، وجبرا ابراهيم جبرا، مما كان يتميز بنفس شعري خاص. غير أن المجلة لم تقتنع بمشروعية هذه التي يسمونها قصيدة النثر، والتي لا نعتقد حتى الآن أنها تركت أي أثر في تطور القصيدة الشعرية العربية على الرغم من ادعاءات مجلة « شعر » وسواها، بأنها هي التي قادت مسيرة التجديد في الإنتاج الشعري.

إلى جانب ذلك، كان « للآداب » دور ريادي، على ما أظن في مستوى النقد، فالهم النقدي الذي كانت تؤكد عليه، سواء بنشر الدراسات المعمقة التي تتناول الآثار الأدبية الحديثة، أو بذلك الباب الذي فتحته المجلة، وكان يشهد إقبالا واهتماما كبيرين من القراء، باب « قرأت العدد الماضي » . وهو الذي يعترف معظم الشعراء والقصاصين والدارسين الذين نشأوا في « الآداب » أنه قد كان له أثر كبير في تأصيل مواهبهم الأدبية، وبلورة توجهاتهم الفنية .

واهتمام « الآداب » بالقصة القصيرة ، وإنشاء المسابقات لإبرازها أسهم كذلك في تقديم نتاج قصصي ناضج ، دعمته دار « الآداب » بنشر نماذج مختلفة من هذه القصص، في مجموعات صدرت في وقت مبكر، وأتاحت لكتابها أن يبرزوا كطليعيين في كتابة القصة.

ونحسب أن اهتمام « الآداب » بالأدب الأجنبي ، وبفتح نوافذ واسعة له ، ارتبط بها القاريء العربي مع تيارات التجديد الفكري في الغرب ، واستكمل البعد التحديثي لأدبنا العربي.

وفي هذه الأثناء أصدرت دار « الآداب » ، تكملة رسالة « الآداب » كثيرا من الروايات المترجمة التي أقبل عليها القراء العرب ، بما يتوافق مع أشواقهم إلى مضامين الحرية والمسؤولية .

عائد إلى كتابة الرواية

*** ما آخر رواية كتبتها ؟ وهل تعتقد أنك لم تزل على صلة بفن الرواية ؟**

ـ كانت آخر رواية كتبتها هي : « أصابعنا التي تحترق » ، عام ١٩٦٣ ، وبدأت بعدها بكتابة رواية جديدة ، بعنوان : « زمن الهزيمة والنصر » ، وكانت مصممة لترصد المسيرة الصاعدة للقومية العربية ، الهادفة لتحرير فلسطين . وكان تخطيطي الروائي يستشرف النصر في المعركة التي كان العرب يعدون لها ، والتي جاءت نكسة ١٩٦٧ لتحمل لهم منها الإحباط، إن لم نقل اليأس. وأعترف أن تلك الهزيمة قد رجت أعماق الوجدان العربي، ووعي المثقف العربي، وهزتهما، وهي التي جعلتني اتساءل : أين هو زمن النصر ؟ وأوقفت عملي الروائي على الرغم من أن الأديب المسؤول هو الذي يتجاوز الحدث، ليكون حدثا آخر، يحمله أشواق المستقبل لا مرارة الواقع . على أنني لم أقطع الصلة نهائيا بتلك الرواية، وإنما وضعت لها تخطيطا جديدا، يأخذ بعين الاعتبار مأساة لبنان المرتبطة بمأساة فلسطين. وآمل أن أعود إلى استكمال هذه الرواية، وأنصرف مجددا

إلى العمل الروائي، بعد أن أنجز العمل المعجمي الذي انصرفت إليه منذ سنين طويلة.

*** اقترن اسم « الآداب » بالفكر الوجودي الذي اهتمت به المجلة اهتماما خاصا، وعن دار « الآداب » صدرت كتب عديدة لسارتر، وسيمون دوبوفوار، والبيركامي، وسواهم. هل جاء ذلك بالصدفة، أو أنكم رأيتم في هذا التوجه انسجاما مع الخط القومي الذي كان متصاعدا آنذاك ؟**

ـ أود أن أوضح باديء ذي بدء أن اهتمامي بالأدب الوجودي لم يكن منفصلا على الإطلاق عن اهتمامي بالوازع القومي، بل إنني لم أقصد أن أنقل من هذا الأدب إلا ما وجدته منسجما ومتزامنا مع تطور الحدث القومي في وطننا العربي، وما جذبني إلى إنتاج الوجوديين - وعلى رأسهم سارتر - هو اهتمامهم الكبير بنضال الشعوب للتحرر، واهتمامهم الخاص بنضال الجزائر. كانت الثورة الجزائرية في تلك الفترة هي التي تستقطب اهتمام العرب، ولأن أصواتا كصوت سارتر أتت لتدعيم هذه الثورة، ولتقوم في وجه الاستعمار الفرنسي، كان لابد من أن يعني بها المثقف العربي المهتم بالحدث السياسي الذي يقرر مصير الشعب العربي. وبينما كنت أنقل الكتابات التي كتبها سارتر ودو بوفوار وسواهما، في تأييد القضية الجزائرية، وإدانة الوحشية الفرنسية، مما نشرناه فيما بعد في كتاب عنوانه : (عارنا في الجزائر)، جمعنا فيه عددا من دراسات سارتر ومقالاته. اهتممت اهتماما خاصا بكتابات هذا الكاتب، واكتشفت فيها محورين أساسيين، كنا نحن العرب بأشد الحاجة إلى استيعابهما، وهما محور الحرية ومحور المسؤولية. ولم تهمني الفلسفة الوجودية بمجموعها، بل همني منها هذان القطبان اللذان كانا يمسان أوتار الإنسان العربي، لأنه كان يفتقدهما بعد تلك الهزيمة التي منينا بها، والتي شعر فيها هذا الإنسان أن من أول أسبابها فقدان الحرية، بل القمع السياسي والاجتماعي، وعدم تحمل المسؤولية في القيادة.

إذن لم ننقل من الوجودية إلا ما كان متجاوبا مع هذا الهم، ودليلنا على ذلك أننا استبعدنا الاتجاه الإلحادي في الوجودية، وهو ما لا ينسجم مع الغاية من تأسيس مجتمع عربي جديد، شديد الحرص على الاتجاه الإنساني في تاريخه وحضارته ودينه.

وإذا كنا نؤمن بالتطور والتجديد، فإنه كان لابد لنا، وقد بدأت الوجودية بالانحسار أمام تيارات كثيرة أخرى أن ننصرف إلى تيارات أخرى، تساعدنا في هذه المسيرة القومية. ونحن نؤمن بأن بإمكاننا أن نستفيد في مسيرتنا هذه من جوانب عديدة في التيار التقدمي، دون أن نكون ملزمين على الإطلاق بتبني تيار معين.

ماذا عن المستقبل ؟

*** هل لكم رأي في حاضر الأدب في لبنان ؟ وماذا عن مستقبل هذا الأدب وتأثيره في الأدب العربي المعاصر ؟**

ـ المأساة التي يعيشها لبنان منذ اثني عشر عاما تحفر عميقا في الوجدان العربي، هذا الوجدان الذي لم يكن يجد في بيروت عاصمة للانفتاح والتطور الفكري فحسب، بل يجد فيها وترا مرهفا للحدث العربي القومي، يهتز كلما تعرض العرب لامتحان جديد. كانت بيروت أول عاصمة وأكبر عاصمة عربية تحتضن الحدث، وتعبر عنه، وتتأثر به، من أجل هذا كانت محط أنظار الإنسان العربي، لأنها ترمز إلى الوعي والحب والإنسانية، إلى جانب كونها ملجأ للحريات. وكانت كذلك، وبالدرجة الأولى، ملجأ لحرية الفكر، بها تمارس تأثيرها العميق في كل مكان من أرجاء الوطن العربي الكبير، وبها تتميز عن سائر العواصم.

كان كل أديب عربي، يستشعر الاختناق في بلده، يتجه إلى بيروت، وقد كان يعرف أن هناك منابر يستطيع أن يتنفس عليها، ونعتز بأن « الآداب » أحد هذه المنابر.

أما الآن، وإذا أردنا أن نتحدث عن مستقبل بيروت، ومستقبل حرية الفكر، فنحن نشعر

بأسى شديد لهذا البلد الذي مزقته الطائفية ، بل المذهبية والإقليمية ، حتى كدنا نيأس من أن تستعيد بيروت ، في خضم التنازع على السلطة فيها ، مكانتها كعاصمة فكر ونشر .

أنا لا أستطيع الآن في بيروت أن أتكلم كما كنت أتكلم منذ خمسة عشر عاما ، وأصبحت في ذلك لا أختلف كثيرا عن أي مواطن عربي . متى نستطيع أن نسترد وجهنا المشرق ؟ وهل يستطيع جيل أولادنا أن يستشرف مرة أخرى هذا الضوء الذي كان يغمر بيروت ؟

حاضر النقد

*** شغلت « الآداب » بالنقد ، مثلما شغلت بالشعر، فقد كانت تخصص بابا شهريا بعنوان : « قرأت العدد الماضي من الآداب » يتعاقب عليه نخبة من الأدباء والنقاد ، فما رأيك بالنقد الآن ؟**

ـ لا أعتقد أنني أظلم تاريخ الأدب ، ولا الواقع الإبداعي ، إذا ذهبت إلى القول بأن الشعر الحديث قد استطاع في الخمسينيات والستينيات أن يؤكد هويته ، ويثبت أقدامه في عالم الشعر ، ويؤكد على تغير الشعر العربي الحديث . وعلى الرغم من أن بعض الأصوات أو الأقلام تتجاهل دور « الآداب » ، وتعزو أمر الإطلاق أو التشجيع لتيار الشعر الحديث إلى مجلات أخرى ، فإن التاريخ حاضر، يثبت أن « الآداب » التي صدرت عام ١٩٥٣ هي التي احتضنت ، قبل أي مجلة عربية أخرى صدرت عام ١٩٥٦ أو ١٩٥٧ ، هذه الحركة الشعرية . وليس ذلك فقط ، بل إن النوع الجديد الذي احتضنته « الآداب » ، ويسرت له سبل الانتشار ، كان هو النوع الذي لا يتنكر للشعر التراثي ، وإنما ينبثق منه ، ويتطور عنه ، لأنه يقوم أصلا على هم أساس ، هو المحافظة على الإيقاع الشعري بالتفعيلة . صحيح أن التفعيلة لم تعد موحدة ، وأن القافية الواحدة قد أسقطت من هذا الشعر الوحيد ، وأن بحور الشعر تطورت على يديه ، ولكن هذا كله يظل مرتبطا ارتباطا وثيقا بتطور الشعر الحديث عن شعر التفعيلة التي عرفها قبل ذلك الشعر الأندلسي .

ويذكر القراء أنه في الخمسينيات صدرت أول دواوين الشعر الحديث من دار « الآداب » ، ونشر عدد من قصائد هذا الشعر في مجلة « الآداب » . أما ديوان « الناس في بلادي » ، لصلاح عبدالصبور ، فكان الإطلالة الأولى للشعر الحديث ، وتبعه بعد ذلك دواوين : لأحمد عبدالمعطي حجازي ، وأمل دنقل ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، ومحمد عفيفي مطر ، وكثيرين سواهم .

وليس هناك ناقد يشكك في ثبات قدم الشعر العربي الحديث ، وفي أن الأمر أصبح مفروغا منه في أن القصيدة الحديثة تقف جنبا إلى جنب بشكلها الجيد ، مع أي قصيدة عمودية جيدة الشكل هي أيضا ، إلا إذا كان هذا الناقد رجعيا أو مغرضا .

وبالطبع يهمنا أن نربط دائما تطور قصيدتنا الحديثة بمعطيات التراث ، فإننا أبعد ما نكون عن التنكر للقصيدة العمودية . إن هذا الشعر العربي متكامل بين كلاسيكيته وحداثته ، وليست القصيدة الحديثة إلا لتنويع الشعر العربي كله وإغنائه . □

فاصنع ما أحب الله



● تغيظ عبدالملك بن مروان من « رجاء من حيان » فقال :
« والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن كذا وكذا » .
فلما صار بين يديه ، قال له رجاء : « ياأمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت ، فاصنع ما أحب الله » ، فعفا عنه ، وأمر له بصلة » .



تطور الشعر العربي الحديث في الخليج والجزيرة العربية

بقلم : الدكتورة نورية الرومي *

يمكن القول بأن الثقافة العربية تشبه الشجرة الكبيرة التي تتكون من فروع وأغصان وأوراق هي حصيلة تفاعل هذه الثقافة في كل قطر من أقطار العرب .

فما حال الشعر في الجزيرة والخليج العربي ، خصوصاً في خمس وعشرين سنة ماضية من هذا القرن ؟

شهدت منطقة الخليج والجزيرة العربية في خمس وعشرين سنة ماضية تغيرا مفاجئا وسريعا نتج عنه تطور له خطورته وأهميته في حياتها ، لأنه قد شمل أشكالها المختلفة : السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، فقد استقلت دول المنطقة ، وبدأت عهدا سياسيا جديدا ، واكبه تغير في بنية المجتمع ، وفتح الباب أمام أبناء المنطقة ، فانطلقوا إلى بلدان العالم ، ورأوا مابها من حضارة ومظاهر تقدم ، أثارت إعجابهم ، كما أعجبوا أيضا بثقافة هذه البلدان ، وسلوكها الاجتماعي ، ورغبوا أن يحملوا معهم في قطار العودة شيئا من ذلك الذي أعجبوا به إلى بلادهم ، لكن هذا الشيء الجديد ووجه بمعارضة شديدة ، أوجدت صراعا حادا بينه وبين القديم المتوارث . نتج عنه وجود حالة من القلق ، والإحساس بالغربة ، والتمزق ، والظلم السياسي ، والاجتماعي . إحساس بدأ يغزو نفوس الشباب ، ويحملهم على الشكوى والتبرم بماضيهم وواقعهم ، ويدفعهم أحيانا إلى البحث عن عوالم مثالية ، والتمرد على الواقع بغية تغييره .

بدايات التجديد

واستمرت حدة الصراع في كل ميدان من ميادين الحياة ، وهذا أمر طبيعي ، فالحياة لا تعرف الجمود أو التوقف ، إنها في حركة دائبة ،

* مستشار سلسلة عالم الفكر وأستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت



وتطور مستمر .

والأدب بألوانه المختلفة مظهر من مظاهر الحياة ، يعكس ما فيها من حركة وصراع وتجدد ، والشعر فن من فنون الأدب ، يدخل في ساحة الصراع الدائر أبدا بين القديم الذي ألفناه ، والجديد الذي يشق طريقه إلى النور ، ويعنى برصد هذا التحول ، والتعبير عنه .

وقبل تناول هذه المرحلة ـ مرحلة التجديد والتحديث بشيء من التفصيل ـ لا بد من الإقرار بالفضل لبعض شعراء الجزيرة العربية الذين ارتقوا بالقصيدة التقليدية ، وجعلوها تستجيب بسهولة لطبيعة التحولات التي عرفها الشعر العربي المعاصر في الأقطار العربية المتقدمة ، والذين نجحوا في إدراك مفهوم حركة التجديد ، وتمثل خصوصيتها الشعرية . كما يتحتم بيان أن الجديد لم يستطع القضاء على القديم ، بل سارا معا ، وأصبح لكل منهما جمهور من المؤيدين والمعارضين ، لأن العلاقة بينهما تقوم على التعدد والتباين ، على نحو يعكس تعدد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة في المنطقة . كما تقوم على التداخل والتصارع ، والتأثير والتأثر ، بما يحدث في المنطقة من تصارع أدبي ، وفكري ، واجتماعي .

لقد شهدت بداية هذه الفترة « طبقة من الشعراء » ، ونمطا من الشعر يشكل محطة الانتقال خطوة خطوة من التقليد إلى التجديد ، ويسمى هؤلاء الشعراء « المعتدلين » وهم المزاوجون بين الاتباع والابداع ، وبين الشعر المحافظ ، والشعر الجديد ، فلهم من الشعر المحافظ قدر من شعر المناسبات والمديح ، والديباجة الصافية والأسلوب القديم ، ولهم من الجديد تنوع الموضوعات ، والالتحام بقضايا الأمة ، وطرق لموضوعات الشعر الاجتماعي والوصف ، وهم لذلك يقفون على شاطيء النقلة ، مشدودين إلى الماضي ، يسيرون إلى الأمام ببطء وتثاقل . كما جاء في كتاب « في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية لعبدالله الحامد العلي » .

وقد أسهم هؤلاء الشعراء بالانتقال بالشعر من طور إلى طور تبرز فيه قوة الصياغة وإشراقتها ، والمحافظة على الوزن ، وايثار القافية الواحدة ، أو المقاطع المنوعة القوافي ، والمزاوجة بين القديم والجديد ، لكن هذه الظاهرة ليست طابعا شائعا في شعرهم .

وقد تأثر الشعراء المخضرمون بالشعراء القدامى ، كما تأثروا بالمدارس الجديدة ، وبخاصة المدرسة الرومانسية ، وبالشعراء الرومانسيين من أمثال الشابي وناجي .

وقد تطورت هذه المحاولات إلى ما يقرب من الاتجاه الرومانسي في شكله الحقيقي لغة وصورا شعرية ، وموقفا من الطبيعة ومن الحياة « وامتزاج ذات الشاعر بذوات الكائنات ، وظواهر الطبيعة من حوله ، أو ما نسميه الامتزاج الشعري بالطبيعة » خاصة في شعر ابراهيم العريض الذي استطاع أن ينقل لغة الشعر من التقليدية إلى لغة الوجدانيين والرومانسيين .

الرومانسية تلاحق المجددين

وإذا كانت مدرسة الإحياء ثمرة العودة إلى التراث العربي ، ومحاكاة لعصور ازدهاره فإن طبقة الشعراء الرومانسيين في الغالب ثمرة لصلتنا بالحضارة الغربية ، ظهرت لتكون تعبيرا صادقا عن الذاتية ، والوجدان ، والشخصية الفنية المستقلة ، ورفضا للنهج التقليدي .

وظهرت الذاتية وهي من أبرز سمات الشعراء الرومانسيين ، حيث عمق المعاناة في التجربة الشعرية ، وصدق التعبير عنها ، وهم يجنحون إلى الخيال إلى حد بعيد ، فالشعر عندهم تعبير عن العاطفة والوجدان ، وقد ظهر في شعرهم

الخيال الجزئي ، والصور الشعرية الممتدة ، والتعبير عندهم يمتاز بالظلال والإيحاء ، والألفاظ حية نابضة فيها رقة وعذوبة .

وليست الرومانسية خاصة بالمجددين ، فهي موجودة عند شعراء من المحافظين والمخضرمين ، لكنها كانت روافد تتلوى ، وتلوح وتختفي ، ولا تشكل مذهبا عاما لشعر المحافظين والمخضرمين .

ومن أبرز الشعراء الرومانسيين الذين نمت وتطورت واكتملت خصائص الشعر الرومانسي على أيديهم ، فهد العسكر الذي شخص شعره ولع الوجدانيين ، باتخاذ ظواهر الطبيعة وسيلة للتعبير الرومانسي ، وأحمد العدواني الذي لم يعد شعره مجرد ضيق بالحياة ، وشكا في نوايا الناس ، وإنما أصبح نظرة عميقة تفلسف الحياة وتنقدها .

ويمثل شعر غازي القصيبي ولع الرومانسيين العرب بنقل الدلالات اللغوية ، والايغال في الصور المجنحة .

كما يشخص شعر خليفة الوقيان أحاسيس الغربة والقلق اللذين يتخذهما طريقا إلى البحث عن عالم مثالي ، يختفي منه الظلم ، وترحل عنه الأحزان ، ويعيش الناس سعداء لا تثقل كواهلهم هموم الحياة .

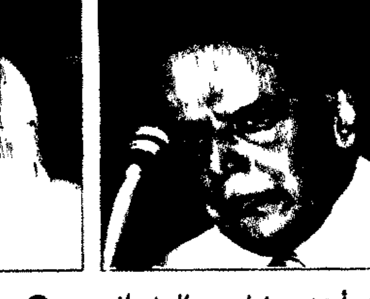
من نماذج الرومانسيين

لقد عاش فهد العسكر فترة التحول الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، وأحس بهذا التغير الذي يؤثر في الحياة من حوله ، واستجاب له ، لما وجد فيه من نزوع نحو التحرر ، ولكنه اصطدم بالتقاليد الموروثة اصطداما أسلمه إلى شيء من السخط والحزن ، والإحساس بالغربة ، فجاءت قصيدته : « بلبل » تعبر عن حالة نفسية بعينها ، تعكس موقفه من الحياة وما فيها من آلام ، أو تصور ثقته بالمستقبل وتبشر به ، يقول :

ولهانُ ذو خافقٍ رَقَّتْ حَواشِيه
يَصْبُو فَتنشُرُهُ الذِّكرى وَتَطْويهِ.

كأنه وهو فوقَ الغصنِ مضطربٌ
قلبُ المَشُوقِ وَقَدْ جَدَّ الهَوىَ فِيهِ
رأى الربيعَ وقد أَوْدَى الخريفُ به
بَيْنَ الطيورِ كَمَيْتٍ بَيْنَ أَهْلِيهِ
لا الورد زاهٍ ، ولا الأكمامُ باسمة
ولا عرائسه سَكْرىَ فَتُلْهِيهِ

ثم يعاوده الأمل ، والتطلع إلى مستقبل أفضل ، يخلصه مما هو فيه من ألم وحزن فيقول :

● أحمد مشاري العدواني ● د . خليفة الوقيان

وَلَّى الشتاءُ فَوَافَى الدوحَ بُلْبُلُهُ
وجاء آذارُ بالبُشْرىَ يُهَنِّيهِ
وأَقْبَلَتْ سحراً نَشْوىَ نسائمُهُ
تهفو ، وتلثمُهُ شوقاً فتشْفِيهِ
واستقبل الروضَ بالأطيافِ شاعرُهُ
وهَبَّتِ الطيرُ أسراباً تُحَيِّيهِ

إننا نلمس في هذه الأبيات مدى اهتمام الشاعر بالطبيعة ، واتخاذ وصفه لمظاهرها في الفصول المختلفة رمزا على حالته النفسية ، وعلى مواقفه من الحياة والناس ، كما نلمس فيها استخدامه لمفردات اللغة استخداما جديدا يظهر فى نقل صفات الأشياء بعضها إلى بعض وامتزاجها بالنفس والمشاعر .

بدايات التطور

وقد أدى إغراق الرومانسيين في النزعة الذاتية ، والغلو في عرض الأنا وخلجات النفس



إلى النفور منها ، والتمهيد للظهور والانتشار للشعر الواقعي الموضوعي اللاشخصي الذي تتوارى فيه ذات الشاعر لتحتل مكانها ذوات الآخرين ، ومشكلات الناس والمجتمع .

لقد أخذ الشعر في هذه المرحلة يواكب المسار الشعري ، ويجاري سنن التطور ، فاتجه نحو الواقع اتجاها فنيا وموضوعيا ، فلم يعد ـ كما قلنا ـ نغما ذاتيا ، يتغنى بالأحاسيس الإنسانية ويعبر عنها ، متطلعا إلى عالم مثالي ، يخلقه خيال الشعراء ، بل أصبح الشعر في منطقة الخليج بخاصة ، والوطن العربي بعامة ، يتخذ من الواقع الوطني موضوعا تدور حوله قصائد الشعر .

لقد دخل المجتمع العربي في تلك الفترة التي يعرض لها البحث ، مرحلة جديدة من حياته الاجتماعية والمدنية ، خلقت جوا من الحيرة والإحساس بالتناقض لدى جيل الآباء الذين ظل ولاؤهم باقيا للماضي ، بكل ما فيه وما يمثله من قيم وتقاليد ، وجيل الأبناء الذين لم يكن لهم بالماضي صلة بالقوة نفسها التي تقوم في نفوس الآباء .

وقد عبر جيل الآباء عن حيرته بطريقة حملتهم على إنكار كثير من مظاهر الحياة الجديدة ، ومعارضة كثير من أنماط السلوك التي يندفع إليها الأبناء .

أما جيل الأبناء فإن همومهم تعود إلى سبب آخر هو هذه المفارقة السياسية ، والاجتماعية ، التي يحسون بها ، بين أوطانهم وبين العوالم الجديدة التي انفتحوا عليها ، مما عمق في نفوسهم الشعور بالظلم الاجتماعي والسياسي ، فبالغوا في ذلك مبالغة لا تسوغها حقيقة الأحداث في هذه البيئات الخليجية المختلفة ، وإن كانت صدى لهذا التناقض الحاد بين الحياة في منطقة الخليج ، والحياة في غيرها من أقطار الوطن العربي .

ما بعد الرومانسية

على أن هذا يجب ألا يحملنا على الظن بأن ظهور هذا اللون من الشعر كان محض صدى لحركة الواقع ، ذلك أن الأدب الحق الذي يعي وظيفته ، ما هو إلا انعكاس لواقع الحياة وتطورها ، ولكنه ليس مجرد انعكاس آلي ، فهو يرتد ثانية إلى الحياة ، ليبحث خطاها ، ويدفعها نحو مزيد من التطور والتقدم ، أي أنه يتعامل مع حركة الواقع انفعالا وفعلا . ولكنه انفعال وفعل يدوران ـ في منطقة الخليج العربي ـ حول تجربة واحدة ، يسعى الشعراء ، إلى التعبير عنها من خلال موضوعات وأشكال فنية مختلفة ، يمكن تلخيصها في عبارة واحدة « هي مواجهة السلطة القائمة مواجهة ذاتية وفردية » .

على أن المنطلق العام للشعر الواقعي الجديد هو الالتزام والإيمان بقوة الكلمة ودورها الفاعل في المواجهة .

في هذا الشعر تذوب « الأنا » ، لتصبح درة من ذرات تلك الذات الجماعية الكبرى .

وقد كان من الممكن أن يكتب لهذا اللون من الشعر الاستمرار في الذيوع والانتشار والقدرة على إزاحة كل ما عداه من الأشكال الفنية ، لولا أن الشعراء قد وقفوا عند وجه واحد من وجوه مأساة هذه البيئة ، هو الوجه السياسي ، الأمر الذي جعل من هذا الشعر ، في أكثر نماذجه ، شعرا سياسيا خالصا .

وظاهرة الرمزية شديدة الالتصاق بالشعر الحر ، وهو شعر موزون ، يتخذ الشاعر « التفعيلة » وحدة الموسيقا في البيت ، دون التقيد بعددها . ويستعمل فيه الرمز بكثرة ، ولا يقيم شعراء الشعر الحر علاقات لغوية واضحة بين صورهم ، وانما يعولون على ما يطلق عليه العلاقات النفسية ، وقد نتج عن استخدام الرمز بكثرة ، والاعتماد على العلاقات النفسية ،

غموض شديد في صورهم ، مما يجعل الوقوف على مقاصدهم ليس ميسورا لكثير من المثقفين .

وأغرى فريقا آخر ، ممن يجيدون كتابة النثر ، ولهم تجارب رمزية عميقة ، فيها الفكرة النفاذة ، والخيال المجنح ، وسموا هذا الشعر شعرا منثورا ، وهم يعلمون تماما أن الفارق الواضح بين الشعر والنثر هو الوزن ، وأن هذه التسمية قد جانبها الصواب .

فالشعر الحر ليس شعرا منثورا ، وإنما هو شعر كتب بأسلوب جديد .

ومن الشعراء الذين عالجوا هذا اللون من




● د . أسامه عبدالرحمن ● د . غازي القصيبي

الشعر الحر : سيف الرحبي ـ عُمان ، قاسم حداد ، علوي الهاشمي ، حمدة خميس ـ البحرين ، عارف الخاجة ـ الإمارات ، أسامة عبدالرحمن ـ السعودية ، على السبتي ، محمد الفايز ، سعاد الصباح ، خليفة الوقيان في ديوانه الثاني « تحولات الأزمنة » ـ الكويت ، عبدالعزيز المقالح ـ اليمن ، وشعراء غيرهم ، تضافرت جهودهم ، وأسهمت في إحداث تغير في شعر هذه المنطقة ، أدى إلى ظهور نزعة جديدة في هذا الشعر ، هي نزعة الحداثة التي جاءت ثمرة طبيعية لبذرة التمرد الكامنة فيما سبق من المراحل التي مر بها الشعر ، كما جاءت نتيجة لتأثر المنطقة بالتحولات الأخيرة التي حدثت في الشعر العربي المعاصر . بمعنى أن هؤلاء الشعراء لم يبدؤوا من فراغ ، بل كانت لهم تجارب ناجحة في مجال الشعر التقليدي ، وما تبعه من تحولات واتجاهات ، مكنتهم من استيعاب فنون العصر ، والتعامل مع المتغيرات باقتدار ، والاستفادة من المستجدات في مجالات الفن والحضارة ، مع المحافظة على استمرار التواصل ، وتقوية الصلة بالماضي . وكانت وسيلتهم في إيجاد هذا التلاحم اللغة ، مع مراعاة توظيف مفرداتها توظيفا جديدا ، يناسب حركة الحياة ، وينسجم مع روح العصر ، ويعبر عن إرادة التغيير .

من شعراء الحداثة

والحداثة إبداع وتجريب ، فالتجريب مشروع إبداعي ملحوظ في شعر شعراء الحداثة ، لأنهم لا يكادون يصلون إلى مرحلة حتى يتجاوزوها إلى غيرها ، من أمثال :

أسامة عبدالرحمن ، فقد عرف بتجاوز عدد تفعيلات البيت الواحد ، كما في قصيدة « بيروت » التي يقول فيها :

بيروت بين يديك يقتل كل شيء حتى مساحيق الحضارة

في الشفاه وفي الأظافر والحواجب

فالقصيدة من بحر الكامل ، وتفعيلاته ست ، زاد عليها تفعيلتين ، كما أنه يمزج في القصيدة الواحدة بين تفعيلات بحرين مختلفين ، ولا يساوي بين التفعيلات ، كما حدث في قصيدته (الليل والبحر) :

غابت وولى خلفها
كل النهار
غير ظل من شفق
يتمطى من بعيد يتراءى
من خلال السحب

فالقصيدة من بحر الرجز « مستفعلن مستفعلن مستفعلان »

ومن بحر الرمل « فعلاتن ، فاعلاتن ، فعلاتن »

وكما حدث في قصيدته « عطر العتاب » التي يقول فيها :

هل أعجبتك قصيدتان
الشعر بين دفاتري
كم تنتشى فيه المطالع والمقاطع



كلها ان أعجبتك ولو قصيدة
ومشاعري تزهو وتنمو
في اللظى الموّار منها وردتان
وبليلي المحلولك الوجنات ترقص نجمتان

فقد نجح هذا الشاعر في استلهام روح التراث ورضي من ملهمته هذه في القصيدة حكمها على ديوانه، فرأيها عنده هو الرأي، وهو حين يسأل ويرضى إنما يستحضر موقف الشاعر الغزلي جميل من بثينة حين يقول:

« وإني لأرضى من بثينة بالذي
لَو ابصره الواشي لقرت بلابله »

فالحداثة موصولة بالتراث، وإن اختلف الشاعر هنا عن الشاعر القديم في استخدام مفردات اللغة، ونقلها من المحس إلى المجرد، وتجسيم المعنويات وتشخيص الجمادات فالعتاب عطر، والمطالع تنتشى، والمشاعر تزهو، كما جعل لليل وجنات.

والحداثة إذ تبقى على الجسور الممتدة بينها وبين التراث، تعترف بقوة التأثير والتأثر بين الشعراء، ولا تعد ذلك نقلا. وقد تأثر الشاعر: سيف الرحبي في قصيدته « مرايا القفار » بالشعراء السابقين الذين استخدموا « المرايا » بوصفها رمزا شعريا، وهو رمز موجود عند كثير من شعراء « الشعر الحر »، وقد انفرد ـ أدونيس ـ بالتركيز على هذا الرمز بوجه خاص، حيث تغدو « المرايا » صورا شعرية ممتدة، تنعكس فيها مختلف جوانب الواقع والتاريخ. يقول الشاعر: سيف الرحبي:

في القطارات التي تحملني دائما
إلى البعيد
وعبر مرايا أفقية، نزقة
لا أكاد أتعرف
على وجهي الذي
خشته طيور الهجرة
لكنني حين أنزع قفازات الرؤية
عن صدفة الظلام
وفي الأنفاق السحيقة
للألم الإنساني
أتجشم المسير ثانية
لعلي أرى ما لا تراه عين الصوفي
أو السندباد

فقد انتقل من الوصف المادي للقطارات إلى المعنى الإيحائي الأوسع، ورمز بها إلى اليد التي تحمله دائما، وترحل به بعيداً إلى سفر غير قاصد، ومحطة وصول مجهولة المكان، ولم يكتف بتوظيف وسائل العصر ومستحدثاته التي أغنته عن استعمال « الناقة ». هذه المفردة التي كانت قاسما مشتركا في قصائد الشعر التقليدي، بل وظف أيضا الأسطورة، فالسندباد المسافر دائما، أسطورة وعتها عيون التراث، وتناولتها بالتفصيل في مواضيع شتى.

كما استعار الشاعر عين الصوفي التي ترى القفر روضا، والجوع والظمأ شبعا وريا وغذاء للكادحين.

كما جعل اللغة وسيلته إلى إدراك الأشياء من حوله، والقدرة على التعامل معها، إن مرايا الشاعر نزقة، لا تريه إلا الجانب القبيح من الحياة.

المراحل نفسها

وبعد، فلقد مرّ الشعر العربي في منطقة الخليج والجزيرة بجميع المراحل التي مرّ بها الشعر في الوطن العربي، ابتدأ بالتقليد، ثم تابع مسيرته بشكل طبيعي، فلم يقدر له أن يقفز على الواقع ويتخطاه، أو يتخلف عن الركب.

كما واكب النقد حركة الشعر العربي في منطقة الخليج والجزيرة العربية، ولازمه في جميع مراحل تطوره، وإن كانت مواكبة تحتاج إلى المزيد، فلن ترتقي حركة الشعر بصورة خاصة والأدب بصورة عامة، ما لم تكن حركة النقد حركة واضحة، ومسيطرة على الساحة الأدبية. □

حول جديد القصة القصيرة في المغرب العربي

«الدّخُول إلى بَهْوِ المَرَايَا»

بقلم : الدكتور أحمد ابراهيم الفقيه*

لأسباب متعددة ظل الإبداع الأدبي في أقطار المغرب العربي مجهولا في غير هذه الأقطار ، ما عدا بعض الأسماء التي اجتازت حواجز الصمت . وهذا المقال يتناول بالتعريف مبدعي القصة القصيرة ونتاجاتهم في أقطار المغرب العربي الذين ينشطون في إثراء المكتبة العربية بإبداعاتهم ، خاصة الأجيال الجديدة التي تقتحم مناطق خصبة من تجربة الإنسان وهمومه .

إذا كانت بلاد المشرق العربي ، قد عرفت منذ بداية القرن ، جهودا تأسيسية في مجال القصة القصيرة ، فإن مرحلة التأسيس والتجذير ، وترسيخ هذا اللون الأدبي ، تأخرت كثيرا في بلاد المغرب العربي ، ويمكن عد الجهود الرائدة التي عرفتها مرحلة الثلاثينيات إرهاصا وتمهيدا للمراحل التالية ، فقد كانت أقطار المغرب العربي تعيش تحت سيطرة مخططات الاستيعاب الثقافي التي مارستها السلطتان الايطالية والفرنسية ، بحسبانها استعمارا استيطانيا ، حاول في بعض الحالات اقتلاع أهل البلاد اقتلاعا ماديا ، بالتهجير والإبادة ، وسعى دائما إلى طمس شخصيتهم الحضارية ، ليكونوا توابع لثقافته ، وهو استعمار لم تعرف الأقطار العربية الأخرى شبيها له سوى في فلسطين .

وفي مواجهة مخططات الاستيعاب والتغريب وإنهاء الوجود الثقافي العربي ، انكفأ أبناء المغرب على مصادر الثقافة الإسلامية التقليدية ، يستمدون منها عونا على الصمود والمقاومة ، وباستثناء عدد قليل من المراكز العلمية الدينية ، مثل جامعة القرويين بفاس ، وكلية بن يوسف بمراكش ، وجامع الزيتونة بتونس ، فقد كانت المدارس القرآنية التي تكتفي بتعليم الأبجدية وتحفيظ القرآن ، مصدرا وحيدا للثقافة والتعليم في هذه البيئة التي عرفت على مدى التاريخ العربي والإسلامي ، ببنيتها الثقافية الفقهية .

* كاتب من القطر العربي الليبي .



ومنح هذا النوع من المقاومة ملامح مشتركة ، تميزت بها الشخصية الثقافية لأقطار المغرب العربي ، وزاد تعزيز هذه الملامح أن المنطقة تملك ميراثا ثقافيا مشتركا في العادات والتقاليد والفنون الشعبية والطعام واللباس ، فالغناء الذي يعتمد على الموشحات الأندلسية ، وما يضاف إليه من تنويعات محلية ، تسمى « المألوف » ، هو ما يهزجون به في الأعراس والاحتفالات الشعبية والمواسم الدينية . وظل اللباس الشعبي متشابها ، فيما يسمى « البرنوص » أو « البُرْنس » وهو لباس أهل الريف في مناطق المغرب، وظلت أطعمة شعبية كثيرة متشابهة ، أشهرها وجبة « الكسكسي » . أما الأثر الناجم عن اختلاف المستعمر بين ليبيا وبقية أقطار المغرب العربي ، فهو أثر محدود وطارىء ، ولا يشكل عائقا دون التواصل بين هذه الأقطار ، خاصة بعد نجاح برامج التعريب ، وانتهاء « الفرنسة » في التعليم . وكان لابد لهذه الخصائص المشتركة أن تعبر عن نفسها في إبداع المبدعين ، فكيف كان المشهد الذي جاءت القصة القصيرة لتحتل مكان الصدارة فيه عشية استقلال هذه الأقطار .

كانت السيادة لفني الشعر والمقالة ، وكانت منابر التعبير المتاحة هي الصحافة ، فلم تكن هذه المنطقة من الوطن العربي قد عرفت حركة نشطة في مجال نشر الكتاب .

صوت عربي

وإذا أردت أن أقحم نفسي هنا ، فإنه يمكنني القول بأنني بدأت كتابة المقالات عام ١٩٥٩ ، ونشرت أول قصة عام ١٩٦٠ ، وكان عدد من الكتاب في أقطار المغرب العربي يعاصرونني وهم الذين حققت القصة العربية في المغرب تطورها على أيديهم ، وقد امتدت أسباب التواصل والمودة بيني وبين هؤلاء الكتاب ، وجمعتنا هموم واهتمامات مشتركة ، فقد كنا جميعا ، في ذلك الوقت ، مشدودين بانجازات الثورة الجزائرية التي تشتعل قريبا منا ، وكانت طرابلس ملتقى للمناضلين والمثقفين الجزائريين ، وكان أحد كتاب القصة القصيرة الجزائريين يعمل في ذلك الوقت مندوبا للثورة الجزائرية في طرابلس ، وهو محمد صالح الصديق الذي أسهم مع أحد زملائنا الليبيين في إصدار مجموعة قصصية من وحي الثورة الجزائرية ، وكان يرافقه ويعاصره عبدالله الركيبي الذي ترك كتابة القصة فيها بعد ، وانصرف للتأريخ لها ، والتعريف بإنجازاتها ، والمساهمة في معركة تعريب التعليم في الجزائر . وهذا ما فعله أيضا زميل ثالث لهما ، هو الجنيدي خليفة الذي كتب القصة في ذلك الوقت ، ثم انصرف إلى الجهد الأكاديمي ، وكان هؤلاء الكتاب هم الصوت العربي في مجال القصة



القصيرة التي نمت في أحضان الثورة ، وكانت تعبيرا عنها ، وتأكيدا للشخصية الحضارية العربية الإسلامية ، قصة موظفة توظيفا مباشرا لخدمة أهداف الثورة . وكان رائد القصة القصيرة في الجزائر الذي سبقهم في هذا المجال هو أحمد رضا حوحو الذي كان إنتاجه مواكبا للجهود السياسية ، والانتفاضات الشعبية التي سبقت قيام الثورة المسلحة .

وفي تونس كان الطريق الذي أسهم في تمهيده علي الدوعاجي ، ومحمود المسعدي ، ومحمد المرزوقي صاحب الجهود النبيلة الأمينة في استخراج كنوز التراث الشعبي ، بما في ذلك الاهتمام بالجانب القصصي ، قد بدأ يفضي إلى قصة أكثر استجابة لشروط المعالجة الفنية ، يكتبها الجيل الذي توافد على ساحة الكتابة بعد هؤلاء الرواد ؛ من أمثال محمد العروسي المطوي ، والطاهر قيقة ، والطاهر لبيب ، ومصطفى الفارسي ، وعز الدين المدني ، وسمير العيادي ، ومحمد صالح الجابري ، ورضوان الكوني ، ممن أنشأوا ناديا للقصة ، وأصدروا مجلة فصلية بعنوان : « قصص » ، وقادوا حركة أدبية ، تميزت بالحيوية والتفاعل مع القضايا العامة .

وفي المغرب ، ومع الاستقرار الذي جاءت به مرحلة ما بعد الاستقلال عام ١٩٥٦ ، بدأت القصة القصيرة تشهد نضجا وتطورا على يد طلائع الكتاب الذين جاءوا مسلحين بثقافة عربية ، مع اتصال مباشر بالثقافة الأوربية ، حيث التقينا بنتاجات مبارك ربيع ، وعبدالجبار السحيمي ، ومحمد برادة ، ومحمد زنيبر ، ورفيقة الطبيعة وخناثة بنونة ، وادريس الخوري ، وكانوا جميعهم يستندون إلى تراث قصصي ، أسهم في إنجازه عبدالمجيد بن جلون ، وعبدالكريم غلاب ، وعبدالله ابراهيم ، وأحمد بناني ، وعبدالرحمن الفاسي ، ومحمد عزيز الحبابي الذي اتجه متأخرا إلى كتابة القصة ، بعد أن أسهم في تأسيس الأرضية الفكرية والفلسفية للحركة الأدبية الحديثة في المغرب . وفي ليبيا التي كانت أكثر قربا إلى المشرق العربي ، وأكثر تأثرا بتطور الحركة الأدبية في مصر ، بدأت القصة التي كتب أول نصوصها الناضجة وهبي البوري ، في منتصف الثلاثينيات ، ولاقت رواجا لدى كتاب جاءوا في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات ؛ من أمثال السيدة زعيمة الباروني ، وطالب الرويعي ، وخليفة التليسي ويوسف الدلنسي ، وعبدالقادر أبو هروس ، ومصطفى بادي ، وعلي العنيزي ، ومحمد فريد سيالة . ثم عرفت هذه القصة أفضل إنجازاتها ، وشهدت أهم مراحل تطورها على أيدي كتاب صاروا يكرسون جهدهم كاملا لها ، بعد أن كانت جزءا من رسالة إيقاظ الوعي التي يقوم بها كتاب يكتبون المقالة السياسية ، ويحررون الصحف ، ويتولون المهمات التعليمية ، وتوافر على كتابة القصة كتاب من أمثال خليفة التكبالي ، وعبدالله القويري ، وبشير الهاشمي ، وعلي مصطفى المصراتي ، وكامل المقهور ، ويوسف الشريف ، وصادق النيهوم ، ومحمد علي الشويهدي الذين واكبوا بإنتاجهم القصصي التحولات الاجتماعية الكبيرة ، وأسهموا في بلورة ملامح متميزة للقصة العربية القصيرة . وبدأت موريتانيا التي اخلص أهلها للشعر ، حتى صارت تنعت بأنها بلاد المليون شاعر ، تعرف هي أيضا كتابا يؤسسون أرضية جديدة لهذا الفن ، وصرنا نلتقي بنتاجات قصصية ناضجة ، مثل التي يكتبها اليوم محمد فال عبدالرحمن ، ومحمد كابر هاشم ، وأحمد عبدالقادر ، وغيرهم ممن يكتبون قصة تحتفظ بولائها لتقاليد المدرسة الواقعية .

علاقة جديدة مع القاريء

هكذا عرفت القصة في المغرب كتابها الذين صنعوا لحظتها المجيدة ، هؤلاء الكتاب الذين



استفادوا من إنجازات القصة في بلاد المشرق العربي ، كما استفادوا من تواصلهم مع الثقافة الغربية ، وجاءوا يكتبون قصة تختلف عن القصة التي يكتبها جيل ما قبل الاستقلال ، عندما كانت القصة مجرد وسيلة لنقل رسالة ، قصة هدف ومضمون ، ووعاء للقضية الاجتماعية والقضية الوطنية . كان الاتجاه الغالب هو الواقعية الفوتوغرافية والتوثيقية ، يوازيه اتجاه عاطفي انفعالي ، ولكن المضمون الوطني أنقذ قصص هذا الاتجاه من عيوب العاطفية الفجة التي تجعل العمل الأدبي هروبا من الحياة ، أو تمحورا حول الذات . وكان هناك اتجاه ضعيف ، يحاول أن يستفيد من طرائق القصص الشعبي ، أو الحكايات العربية والصيغة التراثية للسرد القصصي ، وهي المدرسة التي طورها فيما بعد الأستاذ محمود المسعدي ، وكتب بها « حدَّث أبو هريرة قال » ، وكانت المعالجة السردية ، والأسلوب التقريري المباشر ، والوصف الخارجي ، والتناول العاطفي للقضايا ، أهم مواصفات تلك القصة . كانت القضايا محددة محسومة ، وكان للقصة هدف دعائي تبشيري ، لابد أن تلبيه ، حتى لو أدَّى ذلك إلى ضياع المقاييس الفنية . وكان العامل الثاني في اختفاء المعالجة الفنية الراقية هو البيئة القارئة ، أو ذلك « المتلقي » الذي يستطيع أن يرتفع إلى مستوى المعالجة الفنية الراقية ، والذي لم يكن موجودا في تلك المرحلة ، نتيجة تخلف التعليم ، وارتفاع نسبة الأمية ، وسيطرة اللغة الفرنسية في الأجزاء الخاضعة للنفوذ الفرنسي . ومع انتهاء ذلك النفوذ ، واتساع رقعة المتعلمين ، وارتفاع وتيرة التنمية ، ومجيء هذه الأفواج الجديدة من المبدعين ، بدأت القصة القصيرة في المغرب العربي تبني علاقة جديدة مع القاريء ، مستفيدة من هذا التراث الذي جعلها قريبة الصلة إلى هموم المواطن وقضاياه ومعاناته ، دون أن تجعل نفسها ارتهانا كاملا لهذه الهموم والقضايا . قصة لا تتكىء على أيديولوجية ، أو قضية اجتماعية ، أو سياسية ، من أجل تسويغ وجودها ، فهي تكتفي بذاتها ، ولا تحتاج إلى تبرير لكتابتها ، حيث تتحول القضية إلى رحيق يسيل في عروق النص ، وإلى جزء من نسيج العمل القصصي وبنيته .

طرق جديدة

وانفتح الكاتب القصصي على ثراء العوالم الداخلية ، فصار يستفيد من إنجازات القصة النفسية ، ويستخدم تيار الوعي ، وأسلوب التداعيات ، وتداخل الأزمنة ، والاستعانة بالرمز والأسطورة والمواريث الثقافية الشعبية ، في تعزيز نصه القصصي ، دون أن يتنازل ، وهو يعني بتطوير أدواته ، عن رغبته في التغيير ، أو يعلن تصالحه مع الواقع . وكما يقول ادريس الخوري ، وهو واحد من كتاب جيل الستينيات في المغرب ، ومن المهتمين بقضايا الحداثة ، في مقدمة مجموعته القصصية « ظلال » : « إن القصة المغربية رغم خصوصيتها وتميزها ، وانطلاقا من الواقع السياسي الذي توجد فيه ، وكفرع أساسي في القصة العربيه الحديثة ، لا تزال ساذجة ، إنها تتعامل مع الواقع تعاملا مباشرا ، تعاملا صادقا وإنسانيا ، حيث تطغى الرؤ ية الإنسانية على الرؤ ية النقدية ، ومن ثم لا تسهم في اكتشاف الواقع ، بل في تجميده وتحييده » .

وهو كاتب يأتي مسلحا برؤ ية جديدة ، ووعي جديد ، ورغبة في التصادم مع الواقع وتغييره .

ولعل أهم تطور أصاب القصة القصيرة التي يكتبها كتاب المغرب العربي في السنوات الأخيرة هو ذلك التطور الذي يتصل بطريقة الأداء والمتابع لهذا الفن في هذا الجزء من الوطن العربي سوف يدهش لهذا الاستغراق في قضايا الشكل والتقنية الذي صار يشغل المهتمين بالقصة نقاداً ومبدعين . وكأن الساحة الثقافية تحولت إلى محترف كبير ، وورشة أدبية ، مهمتها الارتفاع بدرجة الأداء ، وتجريب كل الأساليب التي تصل بهذا الأداء إلى آفاق جديدة ، انخفضت وتيرة الحديث عن الموضوع ، الأفكار والمضامين ، وصار الحديث ينصرف انصرافا كاملا إلى قضية أساليب السرد ، وصيغة الحكاية ، وآفاق المتخيل ، وحيوية النص ، ولغة القصة ونسيجها ، وآليات العمل القصصي وبنائه الفني ، وإذا كانت المدارس البنيوية في النقد قد جاءت تعيد الاعتبار لمثل هذه القضايا التي أهملها النقد الشيمي (لدني) ، فإن ذلك ليس هو السبب الوحيد لهذا الانشغال بالشكل ، وإنما الوعي بأن طريقة الأداء صارت هي عصب الفن القصصي ، بمعنى أنه لا أهمية لما نقوله إلا إذا عرفنا كيف نقوله ، لقد طور كتاب الستينيات ، على مدى هذه العقود الثلاثة ، أدواتهم وإمكانياتهم ، وجاء جيل جديد ، تحرر من سلبيات المراحل القديمة ، واستفاد من تجارب من سبقوه وإنجازاتهم ، وهو جيل السبعينيات والثمانينيات ، ليُسهم في تحقيق هذه القصة الجديدة التي صرنا نقرؤ ها هذه الأيام .



بهو للمرايا

ولعلنا نستطيع أن نهتدي إلى دلالة هذا التحول الذي عرفته القصة ، عندما نكتشف أن أكثر الأصوات تمثيلا لهذه المرحلة الجديدة هي أصوات نسائية ؛ مثل السيدة فاطمة محمود التي يمكن عد كتاباتها القصصية نموذجا لهذا التطور الذي شهدته القصة ، فهي كاتبة ليبية ، جاءت من هذه البيئة ذات الجذور الصحراوية ، ومن محيط اجتماعي ، ظل عصوراً طويلة محكوما بأكثر التقاليد تزمتا وانغلاقا ، لتكتب القصة الثائرة على هذا الميراث ، وتختار أسلوبا يتفق مع هذه الثورة على مستوى المضمون ، فهي تكتب القصة التي تتمرد على القوالب القديمة ، والتقاليد الموروثة ، في كتابة القصة ، القصة التي تكون تحريرا للذات ، وتفجيرا للطاقة الشعرية الكامنة في أكثر المشاهد التي نمر بها تعاسة وبؤسا ، والتي لا نستطيع أن نراها إلا بعين الفن ، القصة التي تكون اقتحاما ومغامرة ، وولوجا إلى الغرفة السرية التي تحتوي على الأشياء المهملة في بيت الذاكرة ، والتي لا تعنى بالحديث عن القضايا التي يثيرها الرأي العام ، كما كان شأن القصة سابقا ، وإنما القضايا المسكوت عنها ، القضايا التي لا نجرؤ عادة على النظر إليها ، والتي ندير عنها وجوهنا ، لكي تأتي القصة التي تكتبها فاطمة محمود ، وترغمنا على النظر إليها . القصة التي تشبه بهو المرايا ، لأنها لا تنقل صورة واحدة لما يحدث ، وإنما تنقل صورا كثيرة لتعدد الأبعاد والاتجاهات وزوايا النظر . وفاطمة محمود ليست إلا صوتا من هذه الأصوات التي جاءت بعد جيل الستينيات ، من أمثال خليفة حسين مصطفى ، وابراهيم الكوني ، ورضوان أبو شويشة ، وسيد قذاف الدم ، وسالم الهنداوي ، وسالم العبار ، ومحمد المسلاتي ، ومهدي العدل ، وعمر أبو القاسم الككلي في ليبيا . ولماذا لا نقول أيضا : إن القصتين اللتين كتبهما أخيرا قائد الثورة معمر



القذافي نفسه ، وهما « الموت » و « الهروب إلى جهنم » ، تحملان الكثير من خصائص هذه المدرسة . وليس غريبا أن الحساسية نفسها والتقنية نفسها والاستفادة نفسها من روح العصر وأسلوب التداعيات وإثارة، ما هو مهمل ومهمش ، ومسكوت عنه ، هي ما يستخدمه في تونس كتاب وكاتبات من أمثال : عروسية النالوتي ، ونافلة ذهب ، وحسونة المصباحي ، ومحمد رضا الكافي ، والحبيب السالمي ، ومحمود التونسي ، وغيرهم .

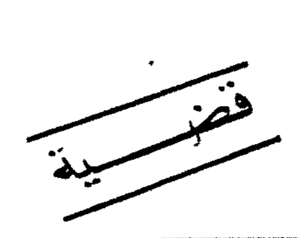
والانتقال بالقصة القصيرة إلى مثل هذه الآفاق هو ما يسعى إلى تحقيقه في الجزائر كتاب من أمثال : عمار بالحسن ، ومرزاق بقطاش ، وحرز الله محمد صالح ، والزاوي محمد الأمين ، وفي المغرب فإن معالجات محمد زفزاف ، ومحمد عز الدين التازي ، وأحمد المديني ، والأمين الخمليشي ، ومحمد الهرادي ، ومصطفى المسناوي ، والميلادي شغموم ، ومحمد الدغمومي ، والقمري بشير ، يمكن عدها إنجازا على طريق تأسيس النص المفتوح الذي يفجر طاقة الشعر ويطوعها لخدمة الحدث القصصي ، ويستعير لغة الحلم ، ويعتمد الزمن النفسي ، ويعني بالبحث عن الرموز والدلالات . فهي معالجات قصصية ، « لا تكتفي باستنساخ الواقع وتكرار نماذجه ، بل تطمح إلى جعل القصة مميزة في خطابها وشكلها وصيغتها وثيمتها (خصوصيتها) ، لتكون حاملة لمنظور مغاير لما يمكن أن نجده في بقية الخطابات » . هذا ما يقوله الدكتور محمد برادة في دراسته التي قدم بها نماذج من القصة المغربية القصيرة ، في كتابه : « لغة الحلم والطفولة » .
ويمكن القول بأن كثيرا من الاتجاهات والمدارس الفنية التي عرفتها القصة المغربية القصيرة ، في بداياتها ، مازالت حاضرة وفاعلة حتى الآن ، فالعطاء الإبداعي في هذا المجال يتنوع بتنوع الرؤى والأفكار والمفاهيم ، وهي أيضا تتطور بتطور هذه الأفكار والمفاهيم ، والواقعية الاجتماعية التي تطورت إلى واقعية نقدية صارت الآن تتجاوز شكلها القديم إلى واقعية لا تكتفي بالواقع ، وإنما تغنيه بالرمز والبحث عن الدلالة خلف الواقع . والاتجاه العاطفي الانفعالي هو الذي أوصل الكاتب إلى قصة الكشف والبوح وسبر أغوار النفس البشرية ، وهكذا مع بقية الاتجاهات والمدارس . وكان التحدي الذي واجه القصة المغربية هو أن تحقق ، في ثلاثة عقود ، ما حققته القصة القصيرة في العالم ، عبر مسيرة تواصلت مدة مائة وخمسين عاما ، فهو نوع من حرق المراحل ، وتعويض الفرص التاريخية الضائعة . □

هاتان الحالتان

● دخل سليمان بن عبدالملك مسجد دمشق فرأى شيخا ، قال : ياشيخ أيسرك أن تموت ؟ فقال : لا والله ، وقال : ولم وقد بلغت من السن ما أرى ؟ قال : مضى الشباب وشره ! وبقي الشيب وخيره ، فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله . فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان .







مشكلاتنا الثقافية وصورة العالم وعلاقات السيطرة

بقلم : الدكتور صبري حافظ

« هل ثقافتنا قادرة على تخليق ما يمكن تسميته بالمشروع التحديثي ؟ وهل نحن قادرون ، من خلال ثقافتنا ، على تأكيد ذاتنا القومية ومواجهة العالم ؟ وما آثار الاختراق المستمر لوسائط الإعلام العربية ؟ هذه القضية واحدة من القضايا التي تشغل بال مفكري هذا الوطن ومثقفيه ، وهذه محاولة للإسهام فيها » .

لا شك أن العقدين الأخيرين قد طرحا على متابع الحركة الثقافية العربية مجموعة من المشكلات التي تنبثق عن تردي الواقع الثقافي ، وتفاقم إشكالياته . والواقع أن البحث عن الأسباب الكامنة خلف الأزمة الثقافية التي يعاني منها الواقع العربي المعاصر ، سيقودنا إلى التنقيب في طبقات الوعي الثقافي الدفينة ، للتعرف على المنابع التي ترتوي منها أكثر مشكلات واقعنا الثقافي إلحاحا ، وأشدها استعصاء على العلاج ، بدءا من إشكاليات التناقض التاريخي الحاد ، بين المثقف والمؤسسة السائدة ، سواء أكانت مؤسسة السلطة ، أم غيرها من المؤسسات الاجتماعية الراسخة ، حتى مشاكل حرية التعبير ، وعزلة الكتابة عن جماهير الشعب العريضة ، وإخفاق الحركة العقلية في تحويل إنجازاتها إلى مؤسسة ، تبني الأجيال اللاحقة فيها على إنجازات الأجيال السابقة ، ولا تحتاج إلى إعادة خوض معاركها من جديد ، وفي ظروف أسوأ عادة .

صورة العالم

ولا بد أن يؤدي بنا هذا التنقيب إلى التعامل مباشرة مع الجذر الأساسي الذي ينبثق عنه كثير من مشكلات واقعنا الثقافي ، وهو غياب « تصور عربي للعالم » ، ولمكان الذات العربية فيه لدى معظم مثقفينا ، وتقبل العقل العربي للصورة التي

رسمتها أوربا للعالم ، ثم تبناها الغرب عامة فيما بعد ، بشرقه وغربه ، بعدّها « صورة العالم » ، لا مجرد « تصور » بين « تصورات » عديدة له . ذلك لأن تقبل هذه الصورة بعّدها « الصورة » التي يتجلى عليها العالم ينطوي على مجموعة من المسلمات الإشكالية ، أولها إعفاء العقل العربي من رسم صورة خاصة به للعالم ، يحدد فيها مكانه به ، ومكانته فيه ، والاستنامة إلى دعة تقبل تلك الصورة الأوربية ، دون الوعي بضرورة التعامل مع المشاكل التي تطرحها ، أو حل الإشكاليات التي تنطوي عليها . وثانيها أن مكانة الوطن العربي ، بل والعالم الذي يدعى (ثالثا) برمته في هذه الصورة مكانة متدنية إلى أقصى حد ، لا تسمح له حتى بالوقوف على قدميه ، ناهيك عن التميز والتحقق الفعلي . وثالثها أن قبول هذه الصورة هو في حقيقته عقد إذعاني ، بإضفاء الشرعية على السيطرة الغربية على العالم ، بل إن السيطرة الأوربية الحقيقية على العالم لا تتحقق بالفعل ، لا في مرحلة السيطرة الاستعمارية المباشرة ، ولا حتى في المرحلة الحديثة التي اتسمت فيها تلك السيطرة بشيء من اللامباشرة ، إلا بتقبل هذه الصورة .

فتقبل الصورة التي يقدمها الغرب للعالم



- ولا بد لنا هنا من توسيع مفهوم الغرب نفسه ليشمل الشمال المتقدم كله باستثناء اليابان لأنها لم تحقق نهضتها وتفوقها على الغرب نفسه ، إلا بحفاظها على تصورها الياباني الخاص للعالم - هي الأساس الأول لتبرير مشروعية سيطرته على المجتمعات التي تعرف باسم العالم الثالث ، أو بالأحرى لمجتمعات الجنوب كلها ، باختلاف القارات التي تنتمي إليها ، أو الحضارات التي انحدرت منها . وليس استثناء اليابان هنا شيء عرضي ، وإنما لأن اليابان هي الاستثناء الوحيد في دول العالم المتقدم التي تمسكت بتصورها القومي الخاص للعالم ، وحافظت على ذاتيتها الثقافية ، مخضعة كل شيء لها ، من مؤسسة السلطة حتى نظام الإنتاج في المصانع . ولذلك فلا غرابة في أنها استطاعت فضلا عن منافسة الغرب الانتصار عليه في عقر داره ، بصورة يؤكد تأملها أنها تستحق الاستثناء الذي يدعم القاعدة العامة التي تقول : إن التخلي عن صياغة صورة قومية للعالم هو في الواقع تخل عن طموحات الذات القومية في التطور والتقدم . وعلى الرغم من عمومية هذه الظاهرة ، بل ومعاناة بعض البلدان الغربية نفسها منها في ما يتعلق بالتناقضات ، داخل بلدان الشمال نفسه ، فإن ما يهمنا هنا هو مدى تأثيرها على مشكلات الواقع الثقافي العربي . ولذلك سيتسم تناولنا لتبدياتها بشيء من التركيز على خصوصيتها العربية بشكل أساس ، حتى لو كانت هناك عموميات مشتركة بيننا وبين غيرنا من بلدان العالم .

فبدون التقبل الطوعي ، أو الإذعاني ، لتلك الصورة تتأزم مجموعة كبيرة من علاقات القوى الاجتماعية والسياسية في العالم وتبدأ صورته في التغير . ذلك لأن وجود الغرب الفكري في وطننا العربي واحتلاله لمكانة اجتماعية راقية فيه ، هي إحدى ثمار إخضاعه للعقل العربي نفسه ، وتحكمه في آليات تفكيره . وهي نتيجة مباشرة

لتجذر هذه الصورة في الوعي الجمعي العربي ، وتنفيذه لما يترتب على تبنيها من إجراءات . وقوة هذا الوجود هي التي تعفي العقل العربي من إشكاليات العمل على رسم صورة للعالم خاصة به ، والدخول بهذه الصورة في عملية جدل خلاقة مع الصورة الغربية له . لأن الثقافات تزدهر بالحوار المستمر ، لا بالانغلاق ولا بالتبعية . ويزداد الأمر تفاقما إذا ما لاحظنا أن صورة العالم التي يقدمها الغرب ، والتي يحتل فيها بطبيعة الحال أرقى المكانات ، تجعل نمط الحياة الغربي الذي يعرض على شاشات التلفاز في كل بلدان العالم ، عبر مسلسلات (دلاس) و (دايناستي) و (أهل القمة وأهل القاع) وغيرها ، هو المرادف العصري للفردوس الأرضي . بينما لا تظهر بلاد العالم الثالث ، حتى على شاشات محطات تلفازاتها الخاصة ، إلا بعدّها موطنا طبيعيا للكوارث ، والمجاعات ، والفظاعات ، والحروب ، حيث تدور في ساحتها أشد الأعمال الإنسانية فظاعة ووحشية ، وتفيض علاقاتها فيما بينها باللامنطق والغباء . ومن هنا تقوم الذات القومية بتكريس آليات القضاء عليها ، أو إبقائها في مرحلة الدونية ، دون أن تعي ذلك .

الهوية القومية

وعلى الرغم من كل تناقضات هذه الصورة ، بل وبسببها ، يضعنا إعفاء العقل العربي لنفسه من مشاق تخليق هذه الصورة في قلب حركة النهضة ، أو بالأحرى في مواجهة مع ما اصطلح على تسميته المشروع التحديثي برمته . فلا يمكن أن تكون ثمة نهضة حقيقية ، إلا إذا قامت عبرها الذات القومية برسم صورة للعالم ، تحتل فيها تلك الذات مكانة كفيلة بإشباع مطامحها ، وتحقيق هويتها . ولا تنفصل صورة العالم عن مسألة الهوية القومية بأي حال من الأحوال ، لأنها تشتبك بمختلف العناصر المشاركة في صياغة هذه الهوية ، من دين ولغة وتاريخ وأنساق للعلاقات الاجتماعية . وإذا كان النيل من الدين من أكثر هذه العناصر حساسية بالنسبة لأي شعب من الشعوب ، ناهيك عن الشعب العربي الذي كان مهد الأديان السماوية الثلاثة ، فإن المؤسسات التعليمية التي صيغت على النمط الغربي ، استطاعت أن تتعامل مع عنصري اللغة والتاريخ ، وأن تكسر شوكتهما إلى حد ما . صحيح أن الرباط الوثيق بين الدين الإسلامي واللغة العربية لم يمكن العرب طوال سنوات الاستعمار في المنطقة ، من القضاء على اللغة القومية ، كما فعل بنجاح في أماكن كثيرة من العالم ، لكن تركيز النظام التعليمي نفسه على أهمية اللغات الأوربية ما لبث أن تحول مع الزمن ، لمرارة المفارقة ، إلى أحد المطالب « الشعبية » ، وأصبح تعليم الأبناء في مدارس اللغات الأجنبية من مظاهر الوجاهة الاجتماعية في كثير من أرجاء الوطن العربي . وبعد موجة الاعتزاز بالشخصية القومية واللغة القومية ، في الخمسينيات والستينيات ، شهدت السبعينيات تراجعا كثيبا ، أسفر عن نفسه في تسييد اللغة الأجنبية والزراية باللغة القومية في كثير من مناحي الحياة ، لا سيما تلك التي تتصل مباشرة بالعلاقة مع العالم الخارجي ، أو ببعض نشاطاته التي تحاول التجذر في المنطقة . أما من حيث الذاكرة التاريخية للشعوب العربية فحدث عن طمسها بلا حرج ، فليس ثمة اهتمام بالتاريخ القومي أو بتكريس بعض ملامحه ، بصورة تصبح معها من المكونات الأساسية للشخصية الفردية .

وإذا كان من المكرور تعديد شتى أشكال استهداف اللغة والتاريخ العربي عبر المراحل الأخيرة ، فإن من الضروري التعرف على بعض أشكال إيهان القاعدة التي ينهض عليها النسيج القومي ، أو أنساق العلاقات الاجتماعية ، وأهمها تغيير البنية الاقتصادية ، وتفكيك الروابط الاجتماعية القديمة ، فعلى الرغم من أن عددا من

مفكري الغرب أنفسهم قد اعترفوا بوجود نمطين اقتصاديين مختلفين : نمط غربي وآخر آسيوي ، فإن عملية فرض النمط الغربي على الوطن العربي قائمة على قدم وساق ، منذ بدايات الحركة الاستعمارية قبل عدة قرون حتى الآن . وحينما أتحدث عن الحركة الاستعمارية فإنني أتحدث عن الأساس الفكري لحركة التاريخ ، أكثر مما أتحدث عن وقائع ، أو مراحل تاريخية معينة . وفرض هذا النمط الاقتصادي قد أدى بالتالي إلى فرض نمط حضاري برمته ، بكل ما به من مؤسسات للدولة ، ونوعية لأسلوب الحكم ، وتنظيم للعلاقات بين المؤسسات المختلفة ، وتسييد لسلم معين للقيم الاجتماعية والثقافية . ومن هنا ازداد الصراع بين المثقف والسلطة ، وانعزلت الجماهير الواسعة عن هذا الصراع ، وكأن عزلتها شكل من أشكال المقاومة السلبية للاكتساح الذي جرف المثقف في طريقه . وانتظار عن بعد لما تسفر عنه المسيرة الثقافية من حصاد ، قد يخرج بالذات القومية من الدوران في فلك الآخر ، ويحل بالتالي بعض إشكالاتها ، وتناقضاتها . وكأن الجماهير الشعبية تعي أن لا جدوى من الانخراط في فلك الآخر ، لأن هذا الانخراط لا يؤدي إلى تغيير الصورة ، ولا يشي بتوليد صورة جديدة ، أو حتى بتحول الذات بحق إلى آخر ، وإنما كل ما يمكن أن يؤدي إليه هو خلق مسخ مشوش الهوية والملامح ، تفقد فيه الشخصية القومية أصالتها وذاتيتها الثقافية ، ولا تفلح في أن تصبح جزءا من الثقافة الجديدة .

إشارات مهمة

ولا تكمن استحالة الدوران في فلك الآخر في عناد الشخصية القومية أو عجزها عن « استيعاب » أسس الحضارة الجديدة ، وإنما تعود أساسا إلى أن مكانة الوطن العربي ، في تلك الصورة الغربية التي تبناها للعالم ، مكانة متدنية إلى أقصى حد ، ولا تسمح له حتى بالوقوف على قدميه . ولأذكر هنا بعض الأرقام الإحصائية الدالة التي تسمح بتجسيد ما أعنيه من ناحية ، وتؤكد التناظر بين القوة الاقتصادية والقدرة على رسم صورة العالم وفرضها على الآخرين . إذ تقول إحصاءات منظمة الأمم المتحدة : إن العالم المتقدم ـ أو العالم الأول الذي يضم الولايات المتحدة وكندا وأوربا الغربية واليابان واستراليا ونيوزيلندة وجنوب أفريقيا ـ يعيش فيه خمس سكان العالم ، ولكنه يتمتع بنسبة ٦٠٪ من إنتاجه الإجمالي . بينما يعيش في العالم الثاني أو الاشتراكي الذي يضم الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية والصين وفيتنام وكوبا ثلث سكان العالم ، ويستهلك أقل من ٣٠٪ من إجمالي إنتاجه . أما العالم الثالث ، أو بالأحرى بقية العالم من الدول النامية الذي يملك نصف مساحة الكرة الأرضية ، ويعيش فيه نصف سكانها ، فإن عليه الاكتفاء بما تبقى من فتات الإنتاج العالمي الذي لا يصل إلى ١٢٪ من إجمالي الانتاج العالمي . وإذا ما وضعنا هذه الإحصاءات المهمة بجوار مجموعة أخرى من الإحصاءات الثقافية التي لا تقل عنها دلالة ، نستطيع أن نتعرف على طبيعة العلاقة الجدلية بين الواقع والإنتاج الثقافي . إذ تقول تلك الاحصاءات الأخرى ، الصادرة عن منظمة اليونسكو : إن هذا النصف الفقير من سكان العالم ، ومعه الجزء الآسيوي الاشتراكي ، يشكل ثلثي سكان العالم ، ولكنه لا يصدر إلا أقل نصف صحفه ، وأقل من سدس مجموع النسخ المطبوعة منها . ولا يصدر إلا ١٦,٩٪ من الكتب الصادرة في العالم . أما الثلث الآخر ، وهو الثلث الغربي ، فإنه يحتكر إنتاج ٨٣,١٪ من كتب العالم ، ويصدر أكثر من نصف صحفه ، ويقرأ خمسة أسداس النسخ الصادرة من كل الصحف في العالم . ولا يقتصر الأمر على ذلك ، فإنه من بين ٤٠٠ مليون جهاز هاتف في العالم عام ١٩٧٧ كان ٨٠٪ من هذه الأجهزة في عشر دول متقدمة .

قوة المعرفة

والغريب أن هذه الدول العشر نفسها هي الدول التي تمتلك مصادر تزويد العالم بالأنباء ، أي مصادر صناعة صورة العالم ، لأنها هي الدول التي تمتلك وكالات الأنباء الخمس الكبرى في العالم (أسوشيتد برس ، ويونايتد برس ، ورويتر ، وفرانس برس ، وتاس) . وحينما فكرت دول العالم النامي في أن يكون لها وكالة أنبائها العالمية ، ودعت إلى نظام إعلامي جديد ، قامت الدنيا ولم تقعد ، حتى أطاحت بكل من سولت له نفسه من أبناء العالم الثالث التفكير في هذا الأمر ، وعلى رأسهم رئيس منظمة اليونسكو السابق ، ورئيس إدارة حرية تدفق المعلومات فيها ، لأن امتلاك بلدان العالم الثالث لوكالة عالمية للأنباء هو الخطوة الأولى نحو مشاركتها في رسم صورة العالم الذي احتكر الغرب رسمها بالنيابة عن بقية سكان الكرة الأرضية . ولأن امتلاك أدوات المعرفة لا يقل خطرا عن امتلاك أدوات الحرب ، فالمعرفة قوة . ولأن طرح أكثر من صورة للعالم في ساحة الإعلام الدولي ليس أقل خطرا من قيام حرب عالمية ، لا يعرف أحد نوعية نتائجها . وإذا كان من العسير علينا أن نأخذ على عاتقنا طرح صورة جديدة للعالم من منظور العالم الثالث كله ، فلا أقل من أن نستوعب بعض دروس المجتمع الأوربي وسوقه المشتركة ، حتى نبادر بالعمل على خلق صورة عربية للعالم ، تتخلل مكوناتها كل مناحي حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . عندئذ ستتغير طبيعة طروحاتنا لكثير من القضايا ، وسنستطيع أن نحل كثيراً من مشكلاتنا الثقافية التي تبدو مستعصية على العلاج ، لأننا ما نزال نفكر فيها بمنطق ليس نابعا من ذاتيتنا الثقافية ، وبطريقة لا تنبثق عن آليات تكون تلك المشكلات . □



شعـــــــــر :
الدكتور أحمد محمد المعتوق*

بُعَيْدما تَنْضُجُ تُفَاحةُ غَابَاتِنا
وَيَنْضُجُ النَبْقُ ، وتُبرِزُ الكنوزُ مَا حَوَتْه مِنْ دُرَر
وَيَهْتِفُ الربُّ : أيا ذا الجناح
كُنْ ، فَيكون الصَّباح
ويسكر الضوء عَلى دالية الفجر وَيَنْدى الوتر
بُعَيدما تَنْضُجُ تُفَاحَةُ غَابَاتنا
وَتَقْرَعُ البَاب بُعيد الصباح
تَرتيلَة الساقيةْ
وَتَسْحَبُ الذّيلَ عَلَى الرابيةْ
تَزلَق الضوء عَلَى الآنية
يَهْتِفُ : يافاتِنَةَ النهار يامَعين شمسهِ
حَواءُ يا أغنية الساقية
قَدْ مَلأ الدورَقَ هَمْسُ المَطر
وانْسَرَح الظلّ كَنَهر مباح
يَرْكُضُ في ضَاحية العُمر فَتَخْضَرّ رُفاة البَشر
وَيَطْعَمُ الخَلقُ نَضيجَ الثمر
وَيغمِسُ الطائر منقاره
في شَفَق الشّمس فَلا يَسْتَعِر
قَدْ تَعِبَ الشّوق فَيامن ظفر !
سَمِعْتُها أغنية الساقية
في لَيْلةٍ أنجمها راقِدة ، في لَيْلة شاتية
سَمِعْتُها وَحَيْرة الغَرِيب في حُروفِها
وَلَحَنُها كأنه الجريح كالرنين في الضلوع
بِلَيْلة ساهرة غَافِيةْ
كِلابُها السود غَدتْ جائِعَة لاهثة عَاوِية
تَحومُ حَوْل الرابيةْ
سَمِعْتُها حَواء في ليلتها العارية
تَنْشج والرياح خَلْفَ بابها تأزُّ والدوار
يَضجُّ في ستائر الأصيل
في الغرفةِ الحمراء والرفُوفِ والمرايا
في الشال في طنافِس الحرير في حَقَائِب الرحيل
وَهَمْسُها ، وزفرة توقدها عند جبال الضجر :
يالرغيف بارد يأكله السهر !
وَقُبلة أرخصُ من قَهْقَهة الريح بمهوى الحجر !
وَعِنْدَما ينقر مرآتها
تَفْرَح أم تفْزَع أم تَمْنَعه أنْ يطير !!
تَهْمِسُ : يافرخ رماك المساء
وَبَعْدَما شَبَّ جناحاك رماك المساء
في وَحَل الدرب كسير الجناح
يمضغُ منقارك شوك الطريق
يَشْرَبُ نَهر العقيق

* شاعر وأستاذ جامعي وكاتب من المملكة العربية السعودية



ويضرم النار بجفنيك فياللحريق !!
وصفت من أجنحة الزنبق للصدر وشاح
وقلتَ لي : قد ملأ الدوّرق همْس المطر
وانسرحَ الظل كما الخيمة في حُضْنِها يُقمر لون السمرْ
بنيتَ لي العرشَ وقلتَ احملي
فَوق ذراعَيْك جنون الهوىٰ
ورقّصي تحت ندى الفجر قلوب البشر
أسقط كالنيزك ذاك الملاك
في سدم الوحشة كالصرخة أو كالهباء
وَرَاحَ غول الليل ما أوحشه
يسلخُ وجه القمرْ
يَسْرقُ ظِلّ الشجرْ
وَجنةٌ قَدْ عَرِشَت للنجمِ حلو كرمها
ولألأت للطير ضوء حلمها
في الليْلة الماضية
يتقد الصيف على جُفونِها
وَيَسهرُ الغراب فوق دوحها
صوحت الواحة ، والساقية
تركتها يابسة القلب على المنحدر !



(أنت منذ اليوم)

رواية من تأليف: تيسير سبول

بقلم : غالب هلسا

كنا نعد هذه المقالة للمطبعة حين حملت إلينا الأنباء خبر الوفاة المفاجئة للكاتب الروائي الناقد « غالب هلسا » وهو بدمشق ، بعد ٥٣ عاما قضاها متنقلا بين موطنه في الأردن ومصر والعراق ولبنان وسوريا ، مشاركا أبناء أمته في كل هذه الأقطار همومهم الفكرية والإنسانية ، مساهما بإبداعه الروائي والنقدي في إثراء المكتبة العربية بإنجاز متميز رفيع .

وإننا إذ نقدم لقارىء « العربي » آخر مقال كتبه غالب هلسا لنتقدم إلى أسرته في الأردن وإلى الأدباء العرب جميعا بخالص العزاء .

قدمت رواية تيسير سبول (أنت منذ اليوم) ، المكتوبة بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م إضافة مهمة للرواية المشرقية ببنائها التقني . وسوف نحاول ، هنا ، أن ندرس تلك التقنيات التي نرى أنها تشكل إضافة .

تبدأ رواية « كامو » (الغريب) هكذا :

« اليوم ماتت أمي ، أو ربما ماتت الأمس ، لا أعرف ، تلقيت برقية من مأوى العجزة تقول : توفيت والدتك . الدفن غدا . لك أصدق مشاعر الأسى . ومثل هذا القول لا يفيد بشيء . ربما ماتت يوم أمس » . وعندما طلب إجازة من رب العمل تصور « ميرسو » أنه غضب ، فقال : إن موت أمه ليس غلطته ، وعندما سئل عن السبب الذي جعله يطلق الرصاص على البدوي ، قال : إن ذلك بسبب ضوء الشمس . فكيف نصف رؤية « ميرسو » للعالم ؟

إنها رؤية تلغي المنظور ، أو البعد الثالث ، من الصورة ، من العالم من حوله ، فيصبح ذا بعدين ، أي أنها تفتقد بعدها الاجتماعي ، بعُد التقاليد والقيم والمفاهيم التي صاغت البشر ومؤسساتهم الاجتماعية التي تشكل بمجموعها

الرؤية الكلية للذات وللآخرين .

يطلق الوجوديون على هذه الحالة اسم : (حالة ميرسو في « الغريب ») ، صفة العبثية المضحكة . لقد شاعت ترجمة « Absurd » بالعبث في الأدبيات العربية . ولكن الكلمة الأصلية تحتمل المعنيين ، إنها الحالة التي يفقد فيها الإنسان ثقته بكل المسلمات الاجتماعية ، ويكون عاجزا ، في الوقت نفسه ، عن إيجاد قيمه الخاصة ، أوالتزامه النابع من ذاته .

يرى « كامو » أن هنالك خيارين أمام إنسان كهذا : الانتحار ، أو بناء التزام نابع من ذاته ، وقد اختار تيسير ، مع كل أسف ، طريق الانتحار .

رؤية تبسيطية لواقع معقد

ومأساة « تيسير » هي مأساة الشباب العربي الذين تم إدخالهم في دائرة شريرة ومفرغة ، ولكنها صادفت في « تيسير » حالما كبيرا ، ذا حساسية مرهفة ، فكانت الفاجعة .

إن الشباب العربي ، وتيسير بشكل خاص ، قد تخلوا عن مسلمات مجتمع متخلف ، مستبدلين إياها بمسلمات الديماغوجية السياسية ، باليقين نفسه والامتثال نفسه .

قال له الديماغوجيون : إن الأهداف الكبرى للعرب : الوحدة والديموقراطية ، في أعلى أشكالها ، والعدالة الاجتماعية والرخاء ، وسحق الأعداء سوف يتم بسرعة ، ودون جهد كبير .

من خلال هذه الديماغوجية بنى صورة جميلة لعالمه المقبل الذي سوف يتحقق بسرعة ، دون جهد . والسمة الأساسيّة للديماغوجيا أنها تبسيطية ، تغفل أو تجهل ، تعقيدات الواقع ، ومن ثم تقفز فوقها . رأى تيسير وشباب جيله ، أن الواقع لايطيع أحلامهم ، فانساقوا إلى الرؤية العبثية المضحكة ، حيث فقد كل شيء معناه ، وأصبح مضحكا .

كانت روايتي « الضحك » التي كتبتها قبل رواية « أنت منذ اليوم » بفترة طويلة ، تعبر عن الأزمة نفسها ، ففيها تفتت رؤية كاملة إلى شظايا عبثية .

إذن هذه هي المشكلة الفاجعة : أمام عالم شديد التعقيد ، لاتحدد مساراته الأحلام الوردية والنوايا الطيبة ، لشبان لم يرغبوا في رؤية تعقيده ، بل رغبوا أن يتحدد سيره بمصالح الداخل والخارج المتقاطعة والمتعارضة ونواياهما واستراتيجياتها . أمام عالم كهذا وقف تيسير ـ ونحن كلنا ـ يعلن خيبة أمله ، لأن أمته لم تحقق أحلامها ، ولأن الزعماء الديماغوجيين ، أنصاف الأميين ، لم يفوا بوعودهم . وهكذا أصبح كل شيء مضحكا ، بلا معنى ، عالم بلا منظور ، كل ما يدور فيه عشوائي ، لايندرج في سياق رؤية ، أو نظرية موحدة . فكيف عبر تيسير في روايته : « أنت منذ اليوم » عن هذه الرؤية الفاجعة ؟

السخرية من الذات كتقنية

رواية « أنت منذ اليوم » تعكس ، في بنيتها ، تهشم الرؤية المتكاملة : لوحات قصيرة متتالية ، لايربطها زمان أو مكان أو حدث واحد . تتاليها يأخذ بشكل القصيدة الجاهلية ، حيث يتم الترابط بين الأجزاء من خلال التداعي ، فتثير الصورة أو مشاعر اللحظة ، صورا ومشاعر تخضع لعملية التداعي هذه . وهذه الرؤية بذلك تشكل خروجا عن نمط الكتابة الروائية العربية السائد . وللتداعي بين المشاهد دينامية خاصة ، فما يعاش في اللحظة الحاضرة ؛ أي ماهو عياني ومباشر ، يستدعي ذكرى قديمة ، تستدعي بدورها مشاعر وأحاسيس قديمة وجديدة ؛ أي أن مجرى الوعي لايتم على مستوى واحد ، بل على مستويات متعددة ، فهو الحاضر المباشر ، وهو تاريخنا الشخصي ، وهو ما احتفظت به الذاكرة أيضا من حكايات وأحداث .

إن الرابط بين مستويات التداعي ، عند تيسير ، ينبثق من عناصر المفارقة والتناقض ، والانفعال . فالعياني يستدعي نقيضه ، أو يشكل مفارقة معه ، أو يستثير إحساسا مماثلا ، ولكنه قديم .

يعني هذا أن الرواية تعتمد اللحظة الحية ، المعاشة حاضرا ، عبر تداعيات تفتح على أكثر من مستوى .

ولاتقصر هذه الدينامية على العلاقة بين مشهد وآخر ، بل تقوم أيضا على العلاقات بين العناصر المكونة للمشهد . وعلينا أن نتأمل جيدا هذه العلاقات التي سوف نسميها تقنيات ، لأنها أهم ماقدم تيسير في تاريخ إبداعه الموجز والواعد .

سوف نبدأ بتقنية ، سوف نطلق عليها اسم : السخرية من الذات . ولتسهيل الحديث سوف نورد اقتباسا من الرواية .

دعونا نقرأ هذه الفقرة :

« قال ـ الراوي ـ للرفاق بأنهم عانوا من نقص الكراسات العقائدية هناك،وأنه يعترف بنقص ثقافته ويريد المزيد فطمأنوه وامتدحوا رغبته » .

نلاحظ أن الجملة خالية من النقاط والفواصل التي تم استبدالها بواو العطف . إنها بهذا تخرج عن إيقاع الكتابة الأدبية ، لتندرج في إيقاع الكلام اليومي . فالسخرية من الذات تنبثق أولا من هذا الإيقاع الملهوف للعبارة ، وتأتي كذلك من رغبته الواضحة في استجداء المديح ، وقد تحققت هذه الرغبة « فطمأنوه وامتدحوا رغبته » .

والمصدر الثاني للسخرية من الذات هو أن الراوي يكشف نفاقه هو على الأخص ، ففي الوقت الذي يطالب منه بزيادة الكراسات العقائدية يقول لنفسه : « غير أن الكراسات الحزبية تضجره . لقد عرف بأنها متشابهة ، ولا معنى لتوزيعها كل أسبوع » .

ويستعمل المؤلف تقنية أخرى للسخرية من الآخرين ، تعتمد التقنية السابقة نفسها في وجه من وجوهها ، وهي تحويل الحديث المباشر إلى حديث غير مباشر ، مثال ذلك : وصفه لردود فعل الناس بعد فكّ الوحدة بين مصر وسوريا .

« ففرح بعض الشعب ، وابتأس بعض الشعب ، وصمت كثيرون ، غير أن المذيع طالب الناس ألا يحزنوا ، ووعد بوحدة صحيحة تقوم بين كل العرب .

إلا أن هناك من لم يصدق ، فبكى ما استطاع البكاء ، وَوُجِدَ أفرادٌ لزموا الفراش مرضا ، ثم أبَلُّوا بعد يوم أو اثنين . . . » .

إن السخرية هنا تتولد من وضع سياق في القول بدلا من سياق آخر .

إن عبارة « وَوُجِدَ أفرادٌ لزموا الفراش ثم أبَلُّوا بعد يوم أو اثنين » ذات نكهة جسدية خالصة ، يكون استعمالها في العادة للحديث عن إنسان أرهقه العمل ، أو أصيب بالزكام ، فلزم الفراش يوما أو يومين .

وهكذا فإن إحالة مشاعر وطنية إلى حالة جسدية خالصة يجعلها مضحكة . يشبه ذلك قولنا في وصف إنسان : إنه كان شجاعا



وسمينا . فإن اقتران الصفتين المادية والمعنوية يجعل قولنا مضحكا .

نجد الشيء نفسه في فقرة أخرى :

وأما تحويل الحديث المباشر إلى حديث غير مباشر فهو واضح في الاقتباسات السابقة منها :

« غير أن المذيع طالب الناس ألا يحزنوا ، ووعد بوحدة صحيحة ، إلا أن هناك من لم يصدق ، فبكى ما استطاع البكاء » .

المذيع يصدر أوامر لايمكن أن تطاع ، إذ طالب الناس ألا يحزنوا ، وكأن الحزن يأتي بأمر ، وينتهي بأمر مضاد . كما أنه يقدم وعودا محددة ، بقيام وحدة صحيحة ، لم يكن قادرا على تحقيقها . إنه مضحك في أوامره ووعوده ، وكذلك كانت استجابة المستمعين ، فبدلا من اكتشاف حماقة المذيع انخرطوا في البكاء . عندما نتأمل هذه العبارات جيدا نكتشف أن حماقة المذيع اتضحت لنا بسبب استعمال تقنية القول غير المباشر . يكفي أن نعيد هذه العبارات إلى أسلوب الخطاب المباشر ؛ أي نقل كلام المذيع كما قاله ، حتى يتضح لنا أنه فقد طابعه المضحك ، وأصبح مجرد مادة إعلامية عادية ، لاتثير السخرية .

إن استعمال المؤلف لهذه التقنية يتميز بالأصالة ، ويكشف عن حرية داخلية ، يمتاز بها الفنان الموهوب .

علاقات جديدة بين المفردات

ربما كان أهم هذه التقنيات وأكثرها كشفا لموهبة المؤلف هي تلك التي يستعملها في إقامة العلاقات بين المفردات التي تشكل المشهد . إن تلك المفردات غير محالة إلى بناء ذهني ـ إلا كإطار عام ـ أو إلى الحبكة الروائية ، بل إلى ردود الفعل التلقائية . إن هذا يمنح الرواية جدة مطردة .

يقول الراوي في وصفه امرأة عجوز ، كانت تحاول أن تعبر الجسر الذي دمرته الطائرات « الاسرائيلية » ، إلى الضفة الأخرى من النهر :

« ورغم أنني سمعت دائما من يتحدث عن صفرة الوجوه الخائفة ، فلم يحدث أن رأيت وجها صغيرا كهذا مصفرا تماما كقشرة ليمونة دون رواء القشرة » .

إن المؤلف يقيم علاقة بين الذاكرة والواقعة العيانية : صفرة الوجه الخائف كصورة رسخت في الذاكرة ، وهذا الوجه الأصفر الصغير . إن لهذه العلاقة بين المعطيين وظيفة ابستمولوجية (معرفية) محددة ، فالمسلمات القائمة في وعينا (ولا وعينا) تحال إلى مضمونها الواقعي ، ليتم نفيها أو تأكيدها .

إن قاصا مثل يوسف ادريس ، مثلا ، يسعى إلى تحطيم قبلياتنا ، أي أفكارنا الثابتة عن العالم . فصورة السفاح الرهيب في خيال الطفل تنهار عند رؤيته . كان ضئيل الحجم . كما تعني صورته مزيدا من الانهيار عندما يراه ينتحب ، لأن زوجته تخونه . (هذا في رواية الغريب) .

وهذه وظيفة ابستمولوجية ، (معرفية) لأنها تقودنا إلى جوهر المعرفة ، إذ هي ليست مجرد معلومات يحشى بها الدماغ ، بل اقتراب تدريجي مستمر نحو الحقيقة . يتم ذلك من خلال تحطيم أطر معرفية قديمة ، سلخت عن معطياتها الواقعية ، وأصبحت مجرد أشكال فارغة ، واستبدالها بأطر جديدة ، انبثقت من الواقع توا .

وبكلمة أخرى : إن المعرفة عملية متصلة مستمرة إلى مالانهاية ، تقوم على تحطيم القديم وبناء الجديد .

هكذا يصبح السؤال المطروح : هل الأدب يعبر عن التجربة كما عشناها ؟ أو هل تتم مصادرتها خضوعا للطقوس الاجتماعية ؟

إن تهمة قتل البدوي تجد رافدا لها في ملاحظات مدير مأوى العجزة حول سلوك « ميرسو » خلال جنازة أمه :

« وردا على سؤال آخر ، قال : إنه فوجيء بهدوئي ، يوم دفن والدتي ، ولقد سئل عما يعنيه بقوله (هدوء) ، فنظر المدير إلى حذائه ،

وقال : إنني لم أبد الرغبة في مشاهدة أمي ، ولم أبك مرة واحدة عليها ، وأنني ذهبت فورا ، إثر دفنها دون أن أنحني بكل حواسي فوق قبرها .

وقال : إن شيئا آخر فاجأه أيضا : فقد ذكر له أحد مستخدمي الجنّاز بأنني كنت أجهل كم تبلغ أمي من العمر » .

وتبلغ هذه الاتهامات حدا جعل المحامي يتساءل : « أخيرا ، نريد أن نعرف ما إذا كانت التهمة الموجهة إلى موكلي هي دفن أمه ، أم لأنه قتل رجلا ؟ » ، فيصر المدعي العام : « نعم ، إنني أتهم هذا الرجل بأنه دفن أمًّا ، بقلب مجرم » .

فما خطيئة « ميرسو » الحقيقية ؟

إنه وقد فقد القدرة على فهم المنظور ، أو بعد المسلمات الاجتماعية قد خضع تماما لتداعياته التلقائية ، وأصبح سلوكه نتاج رؤية ، يظهر فيها العالم وقد اتسم ببعدين . وهكذا نستطيع القول بأن خطيئة « ميرسو » الكبرى التي تم تضخيمها إلى الحد الأقصى هي أنه لم يخضع تداعياته للمواضعة الاجتماعية .

عند تيسير ، في هذه الرواية ، لاتقيم تداعيات الراوي اعتبارا للمواضعة الاجتماعية ، ولا للمنطق الاجتماعي الذي نطلق عليه صفة الحس السليم .

دعونا نقرأ هذه المقاطع من الرواية :

« ولاحظ عربي أن الخادمة التي يحشرونها تنام معه في الغرفة . . كانت غائبة عن حسه لفترة . ثم عراها ، واكتشف أن جسدها الداخلي نظيف جدا ، فجاس خلاله بلذة ، ويبتئس حين يرى أن وجهها ، بعد أن تضع ملابسها ، وسخ جدا . . .

« ولأن الخادمة ظلت وسخة الوجه ، أحب من بعيد صبية سمراء ، تغدو لمدرستها كل صباح في الميعاد نفسه » .

هنا نجد الانطباعات الأولى للراوي قد حددها منطق تداعياته الخاص . إنها تحيلنا إلى تداعياتنا نحن ، لايحكمها منطق المسلمات والطقوس ؛ أي عندما نكون أحرارا . وبهذا المعنى نستطيع أن نقول : إن الأدب الجيد يحررنا . كيف ؟ سنشرح ذلك بعد قليل .

والآن : هل نستطيع أن نضع هذه الملاحظات المتفرقة في سياق مفهوم منسجم ؟ سنحاول ذلك .

علاقة الوظيفة بالجمال

نتبين أهمية هذه التقنيات التي تحدثنا عنها عندما نقيم رباطا بينها وبين مسألتين : وظيفة الأدب وجماليته .

إحدى وظائف الأدب ، وأخطرها ، أنه يجعلنا نعيش تجارب حياتنا اليومية مرة أخرى ، ولكن برؤية وفهم مختلفين . إن تجاربنا اليومية مستلبة ، لأنها محالة دوما إلى إطار مرجعي متكلس ، قد فقد مضمونه الواقعي ، وأصبح شكلا فارغا ، أعني بالإطار المسلمات الاجتماعية . يكفي أن نطرح على المواضعة الاجتماعية سؤالا منطقيا واحدا ، حتى يتكشف لنا فراغ هذا الشكل الميت . إن لهذا الشكل ، بالطبع ، مضمونه ، ولكنه أولا ليس ما يدعيه ، وثانيا أن مضمونه الأساس مضمون قمعي .

مثال ذلك أننا نوافق أن تعمل الفتاة موظفة ، وقد يكون عمليا أن تجلس في حجرة واحدة مغلقة مع زميل ، لايدخلها أحد إلا بإذن ، ذلك مقبول تماما . ولكن حين يدعوها هذا الزميل إلى شرب فنجان قهوة في مكان عام ، فإن موافقتها تصبح فضيحة . هذا هو منطق المواضعة الاجتماعية : الخلوة مع رجل ست ساعات يوميا أمر مقبول ، والجلوس في مكان عام أمام مئات الأعين شيء مستنكر .

المضمون الحقيقي

وراء ذلك استعباد المرأة ، وعدها وسيلة إنتاج بلا حقوق ، فخلوتها مع الرجل تأتي بالمال ،

وجلوسها في مقهى يحقق العكس ، ويعطيها حق الراحة والمتعة . وهذا أمر غير مقبول . إن المسلمة الاجتماعية بتصلبها وعنجهيتها تخفي مضمونها الوحشي بغلاف من شرف المرأة وسمعتها .

وهكذا تصبح ردود أفعالنا وأفكارنا وانفعالاتنا مقننة . إننا نلغي أبعادها ، ونقتصر على ردود الفعل التي حددتها القيم السائدة . أما الكيفية التي يتم بها ذلك فتنقلنا إلى البحث في آلية الجهاز العصبي للإنسان . وهذا البحث يحتاج إلى متخصص . يكفي أن نقول : إن التداعي الحر للأحداث والأفكار يتوقف ، أو ينحرف ، نتيجة لكوابح في الجهاز العصبي ، مصدرها القمع الاجتماعي ، بكل أشكاله .

من هنا تبرز الوظيفة الخطيرة للأدب الجيد . إنه يقدم لنا تجاربنا الخالية من الحياة والمعنى ، ليشحنها بطاقة معرفية هائلة . فعندما نقرأ في رواية : (أنت منذ اليوم) أن الراوي زهد في جسد الخادمة ، لأن وجهها يكشف عن وساخته ، عندما ترتدي ملابسها ، فإن الرواية تجردنا من مسلمة طبقية ، وتكشف لنا رغباتنا الحقيقية . كذلك فإن العقل الطقسي يقبل خطبة المذيع الحمقاء : لاتحزنوا ، سأحقق لكم وحدة صحيحة . ولكن بمجرد أن نصيغها بصيغة خطاب غير مّباشر يكتشف العقل الخامل أنه خدع . لأن المؤلف قد غير الصياغة النمطية للخطاب . فلم نعد - في خطبة المذيع - مضمرين كمستمعين ، بل أصبحنا نقادا .

هذا عن علاقة هذه التقنيات بوظيفة الأدب التي حددناها بقولنا : إنها وظيفة معرفية ، فماذا عن علاقتها بالمعطى الجمالي ؟

الفصل بين وظيفة الأدب وجماليته فصل تعسفي ، فالوظيفة جزء من جماليته ، ولكننا نستعمل هذا الفصل للإيضاح . الجمالي يعني : الكفاءة التي ينقل بها الأديب تجربته إلى المتلقي ، إضافة إلى الوظيفة .

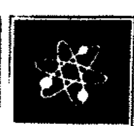
واستعمال التقنيات التي ذكرناها كان بهذا المعنى جميلا . إنها تجدد التجربة اليومية ، فتثير خيال المتلقي ووعيه لتجربته الخاصة . إنها تعرض الوجوه الجديدة للحدث ، فتوقظ جهازا عصبيا تعود التكرار ، وبالتالي تعود على تلقي وقائع الحياة وهو نصف نائم . ولكنه يستيقظ أمام الجدة . وبكلمة أخرى ، فإن جمالية هذه الرواية تكمن في جدتها ، في كشفها واقعا نعيشه ، ولكننا لا نعرفه . إن هذه الجدة على الأخص تجعل القاريء مبدعا . □

الحقيقــة



الحقيقة هي أن نكون مع الذين يتألمون .
وهي أن نبكي مع الذين ينتحبون .
وأن نجد فرحنا في تخفيف الألم .
وفي الامتناع عن الغناء والضحك حين يبكي الآخرون .
وأن نفتح أعيننا على بؤس البائسين ، فنعمل لتخفيفه بإخلاص ، بدلا من أن نغسل منه أيدينا .

الحقيقة ليست الفن ولا الموسيقا ولا الأبهة ولا روح النكتة ولا القهقهات ولا الفرح الذي يدفع الآخرون ثمنه عرقا ، إنها غناء غيرنا ، حين نشترك فيه ، إنها دمعة نمسحها وبسمة نبعثها ، وطفل نساعده على الحياة ، وشيخ نواسيه .




الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

علاج جديد لسرطان البروستاتا

● سرطان البروستاتة هو السرطان الأكثر انتشارا بين الأمريكيين ، الرجال منهم دون النساء ، فهو يصيب عشرهم بالتقريب ، وبالتحديد ، واحداً من كل (١١) رجلا أمريكيا إن عاجلا أو آجلا ، ويموت من هؤلاء المصابين مالايقل عن ٢٨٫٠٠٠ رجل سنويا ، ولايعرف السبب ، وهو غير آفة التهاب البروستاتة أو تضخمها . لكن المعروف أن احتمالات الإصابة تزداد مع تقدم العمر ، وقد درج الأطباء على معالجة سرطان البروستاتة بإحدى طرق ثلاث :

١ ـ عالجوه بالجراحة ، لكن عملية سرطان البروستاتة خطيرة ، وقد تسبب مضاعفات عديدة ، كالعقم وفقدان الكفاءة الجنسية فقدانا تاما ، وقد تشمل مضاعفات في التبول والتبرز .

٢ ـ وعالجوه أيضا بالأشعة التي تسلط من الخارج تباعا مدة ٣٥ يوماً ، والتي قد تكون لها آثار جانبية ، وهي آثار بالغة الخطورة .

٣ ـ وعالجوه كذلك بزراعة في الورم السرطاني على الأخص بإحدى المواد المشعة ، وغالبا ما كانوا يفضلون اليود لهذا الغرض ، ولكن الاعتراض على هذه الطريقة هو البطء الشديد النسبي الذي تتم به المعالجة .

ولما كان هذا الاعتراض لايمس الفاعلية العلاجية للمواد المشعة ، وإنما البطء الذي تؤثر فيه إحدى تلك المواد ـ مادة اليود بالتحديد ـ ومعنى هذا أنه لو أمكن العثور على مادة مشعة أخرى ، غير اليود ، تستطيع معالجة سرطان البروستاتة بأسرع مما تفعل هذه المادة ، لكان في ذلك حل للمشكلة ، وجاء يوم ـ قبل نحو سنتين ـ بدأ فيه الأطباء استعمال مادة مشعة أخرى ، هي البلاديوم ، وهو معدن يشبه البلاتين ، وراحوا يزرعون بذور البلاديوم في سرطان البروستاتة مباشرة ، وقد أثبتت التجارب أن باستطاعة بذور البلاديوم هذه تحطيم خلايا السرطان بأسرع مما يستطيع اليود ، بربع المدة تقريبا ، إذ يبلغ البلاديوم نصف حياته في ١٧ يوما ، ولايبلغها اليود إلا في ستين يوما .



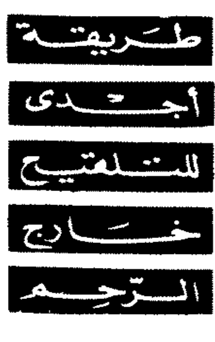
أضف إلى ذلك أن البلاديوم لايحتاج إلى تخدير موضعي ، ولايوجب بقاء المريض في المستشفى ، ولايتسبب بمثل المضاعفات (التبول والتبرز)

التي قد تسببها الطريقتان الأخريان السالفتا الذكر ، ويؤكد الأطباء الذين مضوا مؤخرا في زرع بذور البلاديوم الجديدة (رقم ١٠٣ كما اصطلحوا على تسميتها) ، أن المرضى يستطيعون الوقوف والمشي على أرجلهم في غضون أيام قليلة من عملية الزرع ،وفي ذلك يقول الدكتور هارولد ماكدونلد ، أخصائي المسالك البولية ، وأحد مؤسسي مركز جورجيا للبروستاتة في مدينة أتلانتا :

« لاريب أن البلاديوم هو أفضل الخيارات وألطفها بالنسبة للمريض ، ولكن حسنات البلاديوم لاتقف عند اللطف ، فهو ذو أثر علاجي فعال ، يضاهي أثر الجراحة ، ويضمن التخلص من سرطان البروستاتة بسرعة ، ودون آثار جانبية تذكر . ويضيف الدكتور ماكدونلد إلى ذلك قوله بأنه يزرع في المريض الواحد حوالي (٦٠) بذرة بلاديوم بالمتوسط ، يغرسها في البروستاتة بواسطة إبر رفيعة ومثبتة على قالب خاص بها ، ومتصلة بمدس أو مسبار (فوق سمعي) ، وتبث البذور إشعاعها في البروستاتة من الداخل ، دون أن تعرض للخطر أيا من الأعضاء أو الأنسجة القريبة من الورم أو المحيطة به ، ويأتي يوم بعد ذلك تخمد فيه البذور وتتوقف عن الإشعاع ، ولكنها تبقى حيث هي ولاحاجة لاستئصالها فهي ليست ضارة ».

ويوجد في الولايات المتحدة حاليا ١٥ مركزا تعالج سرطان البروستاتة بالبلاديوم ١٠٣ .

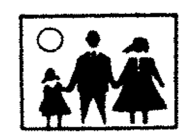
□□□



● يقول العلماء والباحثون في هولندة : إنهم عثروا على طريقة تضمن مضاعفة فرص النجاة في التلقيح خارج الرحم ، بإعطاء المرأة الهرمونات المعروفة ، لكن وفق « تقنية » جديدة ، وتقتضي إعطاء المرأة الهرمونات الضرورية للمبايض في أوقات متقاربة على مدى ١٤ يوما ، قبل انتزاع البويضات من جسمها لكي يجري تلقيحها خارجه ، وقد درج الأطباء في الماضي على حقن المرأة بتلك الهرمونات (بقصد تنشيط المبايض أو إثارتها) مرة في اليوم مدة أسبوعين .

يقول الدكتور فردريك براك في ذلك : « لكننا نعطي المرأة تلك الهرمونات ، ولا نعطيها حقنا في العضل ، كما جرت العادة سابقا ، نعطيها دفعا بواسطة مضخة متصلة بأنبوب يزرع في الذراع ، وتثبت المضخة على الخاصرة ، ويجري الضغط عليها مرة كل تسعين دقيقة ، وحسبك أن (٢٠) امرأة من أربعين إمرأة شملتهن التجربة الأولى قد حملن بالتقنية الهولندية الحديثة . □





سلامة البشرية في سلامة البيئة

قارة القطب الجنوبي بيئتها معرضة للخطر

● لعل القارة القطبية الجنوبية والحاجة الملّحة إلى حمايتها من المخاطر التي تتهددها ، هي القضية البيئية الرئسية التي مازالت منذ شهور الصيف الماضي (١٩٨٩) تشد كل الدول إلى عقد المؤتمرات،ومناقشة الإجراءات والاتفاقيات الكفيلة بالحفاظ على سلامة البيئة في تلك القارة .

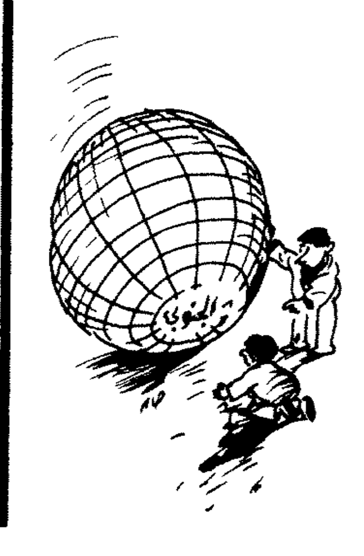
فقد شهدت العاصمة الفرنسية آخر تلك المؤتمرات ، وهو المؤتمر الذي عقد في أواسط شهر اكتوبر (١٩٨٩) ، والذي حضرته الدول التسع والثلاثون التي وقعت على معاهدة القطب الجنوبي الشهيرة سنة ١٩٥٩ ، وقد حضر المؤتمر رجال دولة بارزون مثل المسيو دوشار ، رئيس الحكومة الفرنسية ، وحضره علماء متميزون كعالم البحار الفرنسي جاك ايفز كوستو . ودارت أبحاث المؤتمر ومناقشاته حول : هل يسمح بالتنقيب عن المعادن في القارة القطبية الجنوبية ؟ وهل يسمح باستخراجها أو يحظر هذا وذاك حظراً تاما ، أو يسمح بها شريطة الخضوع لنظم وقواعد صارمة يتفق عليها وفقا لمقتضيات سلامة البيئة ؟

وسبق مؤتمر باريس هذا اجتماع آخر ، شهدته ولنجتون ، عاصمة نيوزيلندة ، في شهر يونيو (١٩٨٩) ، وحضره أكثر الدول الموقعة على معاهدة سنة ١٩٥٩ ، وبالتحديد حضرته ٣٣ دولة من مجموع ٣٩ ، وقد انتهى اجتماع ولنجتون هذا إلى الاتفاق مبدئيا على السماح بالتعدين في القارة القطبية الجنوبية ، على أن تتعاون الدول المعنية على وضع الأنظمة والقواعد المناسبة السالفة الذكر ، بما يضمن التحكم بشتى أعمال التعدين من جهة ، ويكفل حماية البيئة من جهة أخرى .

ولم يكد يمضي على اتفاق ولنجتون المبدئي شهران حتى تراجعت عنه دولتان من الدول الموقعة عليه هما فرنسا واستراليا ، فأدى تراجعهما الى التهديد بانهيار الاتفاق المذكور ،أما الباعث على تراجعهمافلم يكن سوى رقّة أو شفافيّة البيئة في القارة القطبية الجنوبية .

ولعل موقف فرنسا واستراليا هذا متأثر بوجهة نظر عالم البحار المعروف كوستو ، فالقارة القطبية الجنوبية ، كما يقول العالم الفرنسي ، ذات بيئة هشة ، ولابد من الإبقاء عليها برية طهورة .

ذلك أن الصقيع والجليد المتراكم في هذه القارة يلعب دورا حيويا جدا في تكييف المناخ العالمي ككل ، فهي أشبه بالمختبر الكبير الفريد الذي يسمح



بإجراء الأبحاث الميدانية لظواهر بيئية خطيرة كظاهرة التآكل التي بدأت تحل بطبقة الأوزون وظاهرة البيت الزجاجي .

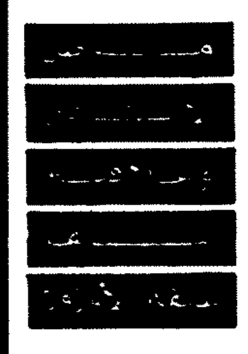
أما هشاشة البيئة في القارة القطبية ، فقد تجلت بوضوح في شهر يناير (١٩٨٩) ، حين غرقت سفينة التموين (باهيا برايزو) التابعة للبحرية الارجنتينية ، فأدى غرقها إلى ظهور بقعة زيت الديزل على سطح المياه الجليدية القريبة من شبه جزيرة انتارتيكا ، فكان التلوث المزمن المستعصي ، وقد التصقت البقعة بحواف الغطاء الجليدي الذي يغطي المنطقة ، وكان التلف البالغ الذي حل بالمنظومات البيئية في القارة القطبية .



لاغرابة إذن ان دعت فرنسا واستراليا ودول أخرى غيرهما إلى إعادة النظر في اتفاقية ولنجتون ، على الرغم من العقبات الكبيرة التي تعترض ذلك السبيل . وحسبك أن تلك الاتفاقية قد استغرقت مالا يقل عن ست سنوات حافلة بالاجتماعات والمناقشات ، قبل التوصل إلى الاتفاق على أحكامها ونصوصها ، على الرغم من أنه اتفاق مبدئي .

ولاندري ماالذي ستتمخض عنه الشهور القليلة القادمة ، وهل سيسمح بالتعدين في القارة القطبية الجنوبية ، أو تجمع الدول على حظره ، ومن طريف مايذكر أن الثروات المعدنية التي كثر الحديث عن وجودها في تلك القارة مازالت في عالم الغيب ، فالعلماء ليسوا على يقين من وجودها بكميات تجارية في أرض نائية وخافية تحت غطاء جليدي يبلغ سمكه ٣ أميال في بعض الأحيان .

□□□



● تآكل طبقة الاوزون ، الحزام الواقي ، كما هو معروف ، يعرض الإنسان لأكثر من علة ، فقد اكتشف الباحثون مؤخرا ان بعض مايسببه ضعف المناعة ضد الأمراض المعدية ، وقد يتسبب بالإصابة بمرض الجذام ، وببعض الآفات التي يعاني منها مرضى الايدز .

جاء ذلك في دراسة نشرتها مجلة المناعة في شهر نوفمبر ١٩٨٩ ، وقد أجرى تلك الدراسة علماء من جامعة تكساس ، بإشراف مارجريت كرايب ، رئيسة قسم المناعة في الجامعة المذكورة .

ويعلل العلماء ذلك بالتأكيد على أن الأشعة فوق البنفسجية تتلف إلى حد كبير ، قدرة خلايا المناعة على محاربة البكتريا المرضية ، وقد أثبتت الدراسة السالفة الذكر ذلك بالتجارب العديدة التي أجريت على الفئران ، وبينت أن جرعة من الأشعة المذكورة،جرعة قليلة ولا تكاد تفي بأغراض الحمام الشمسي كفيلة بكبح جهاز المناعة بالفئران،والنيل من قدراتها على محاربة المايكوبكتريا بنسبة لاتقل عن ٥٠٪ . □

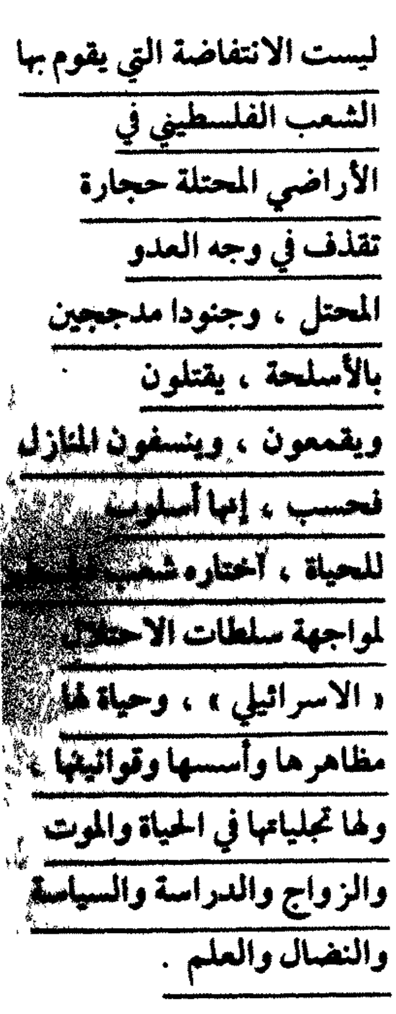
فلسطين

الحياة والموت في ظل الانتفاضة

استطلاع وتصوير مجموعة من الكتاب الفلسطينيين تحت الاحتلال







ليست الانتفاضة التي يقوم بها
الشعب الفلسطيني في
الأراضي المحتلة حجارة
تقذف في وجه العدو
المحتل ، وجنودا مدججين
بالأسلحة ، يقتلون
ويقمعون ، وينسفون المنازل
فحسب ، إنها أسلوب
للحياة ، اختاره شعب فلسطين
لمواجهة سلطات الاحتلال
« الاسرائيلي » ، وحياة لها
مظاهرها وأسسها وقوانينها ،
ولها تجلياتها في الحياة والموت
والزواج والدراسة والسياسة
والنضال والعلم .







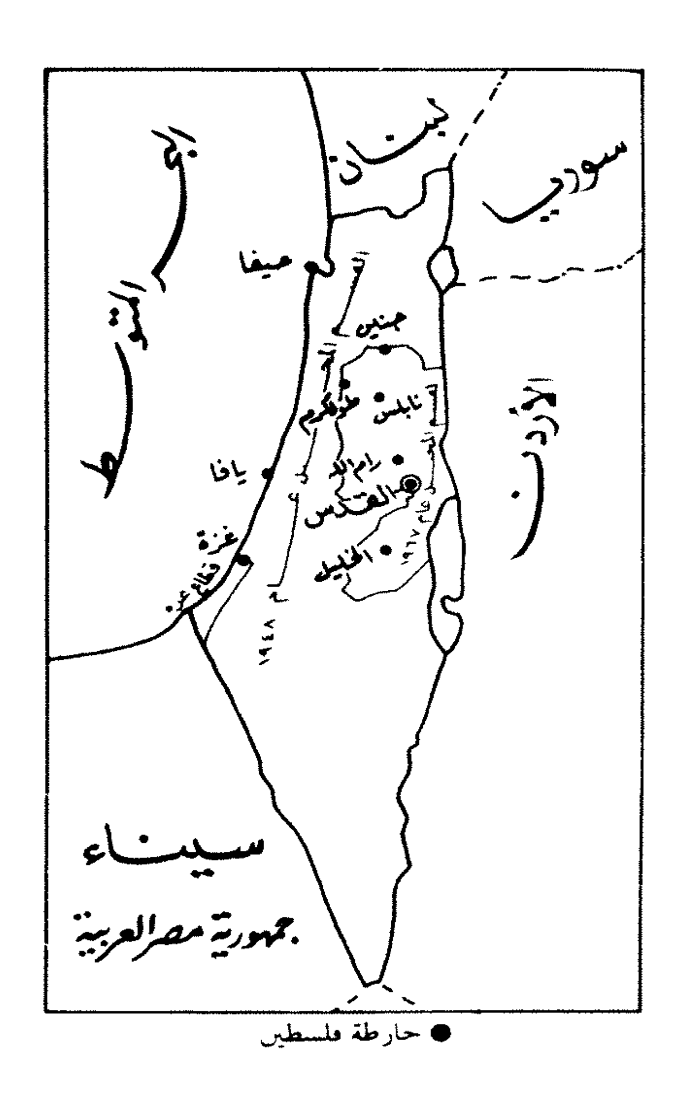
قبل أن يمر عامان على بدء انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة اعترف وزير الحرب « الاسرائيلي » اسحق رابين ، أنه تعرض للاعتقال ٤٠ ألف فلسطيني ، وأصيب ١٥ ألفا بجراح ، واستشهد ٥٠٠ مواطن . منهم ١٢٠ طفلا دون الخامسة عشر من أعمارهم ، واعترف في مؤتمر صحفي ، عقده في منتصف شهر / اكتوبر / تشرين أول الماضي أن الانتفاضة ثورة شعبية مشكله نواة صلبة ، مكونه من ٨ آلاف مواطن ، بتأييد من جمهور واسع

وأكد هذه التصريحات امنون ستراشسوف ، المدعي العام العسكري الذي أضاف بأن الاف الملفات الأمنية لم تعلق أمام المحاكم العسكرية ، وبرر إطلاق النار على الملثمين بأن « اسرائيل » تعيش حاله حرب مع مواطني الأراضي المحتله

هذه الاعترافات العلنيه من أعلى السلطات العسكرية في « اسرائيل » تعكس مدى العنف الذي يمارسه الجيش « الاسرائيلي » ضد المواطنين العزل ، ومدى المقاومة الصلبة التي تحلى بها الشارع الوطني الفلسطيني فكيف بدأت المصادمات الأولى ؟ وكيف تطور أسلوب العنف العسكري في مواجهة المقاومة ؟ وكيف أمكن تحقيق كل هذا الثبات الشعبي والوطني ؟

جباليا الشرارة الأولى

سجلت الأحداث التاريخيه اندلاع شرارة الانتفاصه الأولى في مخيم جباليا ، بقطاع غزه ، في التاسع من ديسمبر - كانون أول عام ١٩٨٧ ، عندما صدمت شاحنة « اسرائيلية » سيارتين لعمال عرب ، وأوقعت أربعه قتلى وعددا من الجرحى ، وفي أثناء تشييع الجنازات وقعت الصدامات الأولى في المخيم ، وامتد لهب الانتفاضة مباشره الى نابلس ، حيث استشهد المواطن ابراهيم العكليك في اليوم التالي لأحداث غزة وفي الحادي عشر من ديسمبر - كانون اول من العام نفسه (يوم الجمعه) اندلعت مظاهرة



● خارطة فلسطين

عنيفة ، بعد الظهر ، في مخيم بلاطة ، وأطلق جنود الاحتلال النار بغزارة على المواطنين ، مما أدى إلى استشهاد المواطنة سهيلة صالح الكعبي (٥٧ سنة) ، والفتى علي مساعد (١٤ سنة) ، والشاب عمر الرمي (٢١ سنة) ، وانتشر الشرر في أرجاء الوطن المحتل ، فاندلعت الانتفاضه ، وتعاظمت ، واستمرت لتدخل عامها الثالث

وسجلت الأشهر الأولى فيها عددا لا يستهان به من القتلى والاف الإصابات ، وكانت سياسة الاحتلال تقوم على الضرب بعنف قوي لإخماد الانتفاضة ، لكن الرد الشعبي أخذ يتصاعد ضد إجراءات القمع ، وانتظمت المسيرة في الشهر الأول عندما تشكلت القيادة الوطنية الموحدة



● الشرطة الاسرائيلية تمعن بوحشية المسيرة العالمية للتضامن مع الشعب الفلسطيني

(قاوم) ، وأصدرت منشورها الأول في الرابع من يناير ـ كانون ثاني عام ١٩٨٨ ، ولعبت دورا في تحديد أيام الإضراب والاحتجاج والتضامن والتظاهر والتصعيد

وشكلت السلطات العسكرية غرفة عمليات خاصة ، للإشراف على قمع الانتفاضة ، بإدارة عدد من كبار الضباط العسكريين ، وبدأت لجنة العمليات الخاصة بالبحث عن أنجع السبل لوقف الانتفاضة ، واقترح رابين تكسير عظام المواطنين بالهراوات ، وكان نتيجة هذه السياسة استشهاد العديد من المواطنين ، كان من بينهم الشهيد هاني الشامي في غزة ، وإصابة ثلاثة شبان بجراح خطيرة إثر ضربهم بالحجارة على أطرافهم في جبال نابلس ، وإصابة آخرين إثر محاولة آثمة لدفنهم أحياء في قريتي سالم قرب نابلس ، وعاورورة قرب رام الله ، وتصدى المواطنون لهذه السياسة ، وصمدوا في مواجهتها وعندما فشلت تراجعت للخلف ، لكنها لم تتوقف

وطرح « الجنرالات » فكرة توسيع العقوبات الجماعية ، والتهديد بترحيل قرى فلسطينية بأكملها ، أو نسف جميع منازلها في حالة إثبات علاقة بعض شبابها بالانتفاضة ، ولقيت الفكرة استحسانا عند بعض العسكريين الذين قاموا بنسف ١٤ منزلا في قرية بيتا ، المجاورة لمدينة نابلس ، وأبعدوا على الفور ستة من شبابها ، واعتقلوا عددا كبيرا من أهلها ما زال أغلبهم في السجون ، بحجة اشتباكهم مع مستوطنين كانوا



« يتنزهون » قرب القرية ، وتسببهم في موت إحدى الفتيات تبين فيما بعد أنها قتلت برصاص المستوطنين أنفسهم وحوصرت بلدة بيتا لفترة طويلة من الحصار ، في حين لاقت بلدة نحالين ، القريبة من بيت لحم ، مصيرا مشابها ، عندما كمن الجنود عند الفجر ، وأطلقوا النار على المصلين ، مما أدى إلى استشهاد خمسة من المواطنين وإصابة الكثير ومع ذلك كان الرد على القمع بمزيد من الصمود في مواجهته

وأعيد طرح فكرة « الترانسفير » ، أو الترحيل الجماعي ، للمواطنين العرب ، وتبناها لعديد من الأطراف داخل « اسرائيل » ، مثل حركة « مولديت » الصهيونية الممثلة بعدد من الأعضاء في الكنيست « الاسرائيلي » ، لكن الفكرة لم تنجح ، لكونها غير واقعية برأي بعضهم ، واستعيض عنها بترحيل قائمة من النشطاء والوطنيين ، وقدم مجلس المستوطنات قائمة بأسماء ثلاثة آلاف شاب عربي طالبا إبعادهم إلى خارج فلسطين ، وعدت هذه القائمة امتدادا لفكرة « الترانسفير » ، لكن عملية الإبعاد لم تتوقف وسارت إلى الأمام على الرغم من « الاعتراضات » الدولية ، وتم إبعاد أكثر من ٧٠ مواطنا إلى خارج فلسطين منذ بدء الانتفاضة ، بحجة تزعمهم اللجان الشعبية ، ومع ذلك تواصلت الانتفاضة

ولجأت سلطات الاحتلال إلى مضاعفة فترة الاعتقال الإداري إلى سنة كاملة قابلة للتجديد ، بدلا من ستة أشهر ، وهذه العقوبة يمكن أن تنال أي مواطن في الأرض المحتلة ترى السلطات أنه يشكل « تهديدا للأمن »

ولم تتوقف الإجراءات الصهيونية عند هذا الحد ، واتخذت السلطات العسكرية قرارات بإطلاق النار على الملثمين في الشوارع ، وأعطت السلطات القضائية في « اسرائيل » « شرعية » هذا القرار ، وأصبح أمرا مشروعا سارى المفعول ، وتمت تصفية العديد من الشبان بحجة أنهم ملثمون





◄ أطفال الحجارة شوكة في حلق الاحتلال الاسرائيلي

موت وحياة

لم تقتصر أشكال المقاومة التي استخدمها الانتفاضة على الصدامات والمواجهات والاعتصامات والأشكال النضالية الأخرى فحسب ، بل امتدت لتشمل شتى جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، إذ بدأت الجماهير بصياغة حياتها الاجتماعية والاقتصادية بتوجهات وطنية جديدة ، بعيدة كل البعد عن سلطة الاحتلال العسكري . وكان الاحتلال الصهيوني وعلى مدى عشرين سنة ماضية قد وجه ضربات قوية للاقتصاد الفلسطيني ، وعمل على تغيير العديد من المفاهيم الاجتماعية لدى الجماهير الفلسطينية ، مما أدى إلى تحول جذري في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة . فالزواج في المجتمع الفلسطيني رافقته ـ تقليديا ـ مظاهر البذخ والترف والمظاهر الغربية المستوردة ، وارتفاع المهور ، والتكاليف الباهظة ، وأحيانا



● أطفال فلسطين وقود الانتفاضة

الخيالية ، كحفلات الخطوبة والزواج ، لدرجة أن العائلات الميسورة تنافست فيما بينها لإظهار ثرائها من خلال حفلات الزواج .

ثم جاءت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في أوائل شهر ديسمبر كانون أول ١٩٨٧ لتفرض نمطا جديدا قديما من العادات والتقاليد ، فلقد أسهمت الانتفاضة في إحداث تطورات مهمة ونوعية في المفاهيم والسلوك للأفراد والمجتمع في المناحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فعلى مستوى التغير الجذري في العادات والتقاليد لوحظ أن العادات والتقاليد لدورة الحياة التي تشمل الميلاد ، والزواج والوفاة ، وعادات الأعياد والمناسبات المرتبطة بالدورة العامة ، من أعياد دينية وقومية ومواسم زراعية ، وأخيرا عادات الفرد في المجتمع ، من مراسيم اجتماعية ، وعلاقات أسرية ، وإطلاق سجناء ، وشفاء من امراض ، وفض للمنازعات كل هذه قد تفاعلت مع مفاهيم الانتفاضة وتطورت معها .

الزواج في ظل الانتفاضة :

أصبح الزواج ينعقد في أقصر وقت ، وبأقل عدد من الحضور ، ويعود ذلك لعدم المساس بمشاعر المواطنين المتضررين من القمع الوحشي الصهيوني ، وحالات الاستشهاد والحصار وحظر التجول ، وتوفير الوقت . إذ أصبحت مراسيم الزواج تتم بأبسط الاشكال وأكثرها عملية واختصارا . وسجلت عشرات الحالات من الزواج التي تمت بحضور العروسين وولي أمر كل منهما فقط . وأدى هذا التغير إلى اختصار تكاليف الزواج ، إذ انخفضت المهور بشكل كبير جدا ، بعد أن وصلت إلى أكثر من خمسة آلاف دينار قبل الانتفاضة . أما خلال الانتفاضة فلم تتعد المهور أكثر من ٣٠٠ دينار في العديد من القرى ، وبخاصة في منطقة شمال الضفة الغربية ، حيث اتفق على توحيد المهور وتخفيضها في العديد من

قرى نابلس ، مثل بيتا وبيت فوريك إلى ٣٠٠ دينار أردني فقط ، وكانت لهذه الخطوات آثار إيجابية في نفوس الشباب ، خاصة الذين لم يستطيعوا الزواج قبل الانتفاضة لأسباب مالية . يقول أحد الشبان حديثي الزواج من مدينة الخليل : « إن الانتفاضة رحمة لنا على مستوى المهور وتكاليف حفلات الزواج ومشاكلها ، فلقد وفرت علينا الانتفاضة آلاف الدنانير التي كنا سنضطر لاقتراضها وتسديدها خلال عدة سنوات » . وأكد شاب آخر من القدس أنه « لولا الانتفاضة لما استطعت الزواج في هذه المرحلة ، لأنني لا أملك ، ولا أستطيع الاقتراض ، وقبل الانتفاضة كنت مقتنعا بأنني لن أتزوج قبل عشر سنوات ، والآن لدي طفلة عمرها ٤ أشهر » .

وقد حظيت هذه التغييرات التي كانت نابعة من الموقف الشعبي باستجابة واسعة حيث ارتفع عدد حالات الزواج من ٧٤١٠ عام ١٩٨٧ إلى ٨٣٠٨ عام ١٩٨٨ ، بينما انخفضت حالات الطلاق من ٧٣٢ عام ١٩٨٧ إلى ٥١٣ عام ١٩٨٨ ، وارتفعت معدلات الزواج بحوالي ٢٠٪ في قطاع غزة في العام الأول من الانتفاضة . وبالتدريج انحسرت مفاهيم المكانة الاجتماعية كعنصر رئيس في الزواج ، كما سجلت عدة حالات من الزواج المختلط بعيدا عن الطائفية ، بالإضافة إلى أن إلغاء حفلات الزواج قد عبرت عن مفاهيم التضامن الاجتماعي مع الأسر المتضررة .

وأعد الأستاذ عبدالعزيز أبو هدبا عضو لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني ، التابعة « لجمعية إنعاش الأسرة - البيرة » دراسة ميدانية حول العادات والتقاليد في ظل الانتفاضة ، شملت ١٩ موقعا في الضفة الغربية وقطاع غزة من مدن وقرى ومخيمات ، ركز فيها على التغيرات في العادات والتقاليد للزواج ، وجاءت نتائجها كما يلي :-





● معمل للأطراف الصناعية لمواجهة ارتفاع الإصابات وإلى (أسفل) سعيد الطويل فقد عينه وعظم الجمجمة في مواجهة مع المحتلين بمخيم النصيرات

١ - انخفاض تكاليف الزواج من حيث التلبيسة ، أو (الشبكة) والخطبة ، والمهور ، والسهرات والمآدب .

٢ - عدم الغناء ، إذ أن الانتفاضة وجوها النضالي البطولي وقوافل الشهداء الأبرار قد فرضت عدم الغناء على الناس حرصا وتضامنا مع مشاعر الأسر المتضررة ، حتى الأغاني الوطنية والزجل الشعبي لم يعد لها مكان في الأعراس .

٣ - ولم تعد الزفة تشاهد كزفة العريس ، وحشود الناس التي تملأ الشوارع تغني للعريس ، وتحولت الزفة إلى عرس من نوع آخر . إنها زفة الشهيد .

وصل عدد شهداء الانتفاضة حتى شهر اكتوبر تشرين أول ١٩٨٩ إلى حوالي ٧٥ شهيدا ، شكلوا نسبة ليست قليلة من عدد الوفيات خلال فترة الانتفاضة ، فقد تحولت مآتم الشهداء إلى اعراس ترغرد فيها الأمهات والنساء ، وينشد الشباب والأطفال ، وحولت الجنازات إلى مظاهرات حاشدة . لذلك فقدت مظاهر الحزن على الموتى العاديين أهميتها ، وأصبح الهدف الرئيس للحركة الوطنية والجماهير الفلسطينية استغلال الجنازات لمواجهة جيش الاحتلال ، ولذلك عمدت سلطات الاحتلال إلى فرض حظر التجول على مناطق عديدة عند وفاة أحد الشخصيات . فمثلا تحولت جنازة رئيس بلدية غزة السابق ، رشاد الشوا ، إلى مظاهرة كبيرة شاركت فيها جماهير حاشدة من فلسطينيي القطاع ، وكذلك الحال بالنسبة لجنازة رئيس بلدية جنين المنتخب ، أحمد موسى التي شارك فيها أكثر من ٥٠٠ شخص ، كسروا أمر حظر التجول المفروض على المدينة .

التكافل

منذ بداية الانتفاضة تداعت الجماهير الفلسطينية وقواها الوطنية من أطر سياسية ونقابية وجماهيرية إلى تشكيل اللجان المتخصصة في جميع المواقع والمجتمعات لمساعدة الناس على حل



مشاكلهم اليومية ، وازدادت هذه المظاهر بعد الأشهر الأولى من الانتفاضة ، وعلى إثر الدعوات الوطنية لمقاطعة العمل في الداخل ، ومقاطعة المنتجات (الاسرائيلية) ، ومقاطعة مؤسسات الحكم العسكري ودوائره المتفرعة المعروفة بالإدارة المدنية ، والعمل على تشكيل سلطة وطنية محلية بديلة . وكان الإطار الأوسع لهذه الأطر هو اللجان الشعبية التي كان من أهم فروعها على مستوى الخدمة الاجتماعية والاقتصادية اليومية للجماهير: لجان الإغاثة .



● جانب من احتفال بذكرى الاستقلال الفلسطيني

فلقد تشكلت لجان إغاثة على مستوى القرية والمخيم وأحياء المدن ووصل الأمر إلى تشكيل أكثر من لجنة أحيانا داخل الموقع الواحد، من منطلق المنافسة بين الأطر السياسية واهدف الأساس لهذه اللجان هو جمع التبرعات وتوزيعها على المناطق المحاصرة الخاضعة لحظر التجول، وعلى العائلات المتضررة من القمع الصهيوني الوحشي، والعائلات التي لا معيل لها وتشارك الرجل المرأة في هذه اللجان، وكان للمرأة دور مميز في توزيع الإعاثات، وخصوصا على المناطق المحاصرة الخاضعة لحظر التجول، لسهولة تحركهن بعكس الشبان الملاحقين من قبل السلطات وتعد هذه اللجان التي هي امتداد لتجارب سابقة على مستوى المخيمات خصوصا (في أثناء فترات حظر التجول في السنين السابقة)، علامات مضيئة في الحياة اليومية للانتفاضة، وأحد ألمع أشكال التكافل والتضامن بين الجماهير الفلسطينية الرازحة تحت نير الاحتلال

وفي مجال التكافل والتضامن بين أبناء الشعب

الواحد سجلت حالات مثالية جدا . ويروي أحد أعضاء لجنة الإغاثة في أحد مخيمات منطقة وسط الضفة الغربية ، أنه « في الأشهر الأولى للانتفاضة فرضت سلطات الاحتلال حظر التجول والحصار الغذائي على أربعة مخيمات ، في منطقتي القدس ورام الله ، وسارعت الأطر الجماهيرية والوطنية في هذه المخيمات بتشكيل لجان للإغاثة لدعم أهالي المخيمات المحاصرين ، ووصل عدد أعضاء إحدى هذه اللجان إلى حوالي ٣٠ عضوا ، معظمهم من النساء . وفي أحد أيام الحصار حضرت شاحنة محملة بالمواد الغذائية من منطقة بيت لحم ، لدعم أهالي مخيم شعفاط في القدس الذي كان أهالي القدس قد تبرعوا بمواد تموينية ، سدت حاجة سكانه في ذلك اليوم ، فحولت لجنة مخيم شعفاط هذه المواد إلى مخيم قلنديا ، وبدورها قامت لجنة

● طفل وعلم وكتابات على الجدران

قلنديا بتحويلها إلى مخيم الأمعري ، ومن هناك حولت إلى مخيم الجلزون . وكان مرافقو الشاحنة مواطنين من بيت لحم يواجهون بالإجابة نفسها من لجان الإغاثة في هذه المخيمات : « لدينا ما يكفي لسكان المخيم لعدة أيام ، حولوا هذه الكمية إلى المخيم الآخر » . وفي النهاية تم تخزين هذه المواد بجانب مخيم الأمعري ، وأرسلت في صباح اليوم التالي إلى أهلنا في قطاع غزة عن طريق وكالة الغوث . هذه إحدى أروع صور التكافل والتضامن الاجتماعي التي سجلت خلال الانتفاضة ، ومن جماهيرنا في المخيمات الصامدة ، عرين الانتفاضة . ويؤكد العديد من أهالي المخيمات أنهم كانوا يجدون أكياسا مليئة بالمواد التموينية في ساحات بيوتهم ، خلال فترات الحصار وحظر التجول ، ومع استمرار الانتفاضة تداعت الجماهير الفلسطينية في الضفة والقطاع والمنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ إلى تشكيل لجان التضامن والإغاثة في كل قرية ومدينة ومخيم .

يقول مدرس في إحدى مؤسسات التعليم العالي ، في منطقة رام الله : إن نقابة العاملين في المؤسسة طلبت من العاملين الذين يزيد عددهم على ٥٠٠ موظف تخصيص أجرة يوم عمل من رواتبهم الشهرية لدعم متضرري الانتفاضة ، وشكلت لجنة إغاثة داخلية لهذا الغرض ، قامت بجمع وتوزيع أكثر من ١٥ ألف دينار أردني ، وزعت على أكثر من ٤٠ قرية ومدينة ومخيما ، على شكل مواد تموينية ، وعلاجات ، وأدوية كما أن حالات التبرع بالدم للمستشفيات ، لمعالجة الجرحى ، سجلت أرقاما قياسية . يقول أحد الأطباء المقيمين في مستشفى المقاصد : إنه « بعد ساعات قليلة من إعلان المستشفى في الصحف المحلية عن الحاجة لمتبرعين بالدم ، لمعالجة الجرحى ، توافد المئات من مختلف المناطق ، لدرجة أن وسائط النقل استمرت لأكثر من كيلومتر بالقرب من المستشفى . وأعلنت إدارة



● توديع شهيد مناسبة لإذكاء الشعور الوطني

المستشفى عن أحد حاجتها ، وسد النقص ، بينما المئات من المتبرعين مازالوا ينتظرون دورهم خارج المستشفى

وسجلت حالات التكافل الاجتماعي في تعزيز مفهوم « العونة » والتعاون الجماعي ، خصوصا في حالات الشدة فعندما تقوم سلطات الاحتلال بهدم أحد المنازل أو إغلاقه يتسارع الأهالي بالمساعدة في إخراج الأثاث وتوفير السكن الملائم للعائلات المتضررة وعندما تحرق قطعان المستوطنين أشجارا أو محاصيل زراعية فإن كل الجماهير في ذلك الموقع تهب للمساعدة وهذا ما حدث عندما منعت السلطات أهالي عدة قرى من قطف المحاصيل الزراعية وخاصة الزيتون ، كعقاب جماعي ، إذ كان الأهالي من القرى المجاورة يتوجهون إلى الحقول القريبة من أراضيهم ، ويقطفون هذه المحاصيل حتى رفع الحصار وتتوجه الجماهير لمساعدة أهالي الجرحى والشهداء والمعتقلين في قطف محاصيلهم الزراعية ، أو قضاء بعض الحاجات اليومية لهم ، ومجالات العمل الأخرى ففي قرية كفر الديك ، في منطقة نابلس ، توجه أكثر من عشرين شابا ، من منطقتي رام الله ونابلس ، لمشاركة أهل احد المعتقلين في قطف محصول الزيتون ، وهذه بعض من الصور الكثيرة التي سجلتها جماهير الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في التكافل والتضامن الاجتماعي

ملحمة التعليم

تخضع المدارس في مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية في الأراضي المحتلة مباشرة لسلطة الاحتلال ، من خلال ما يعرف باسم « ضابط التربية في الإدارة المدنية » ، ويشرف هذا المسؤول على « لجنة تربوية » ، تدير عملية التعليم في المدارس

وطبيعي أن تمارس سلطة الاحتلال دورها في



● متظاهرات من جميع أنحاء العالم أتين للتضامن مع الشعب الفلسطيني

تكييف المناهج المدرسية حسب مصلحتها ، فقد أقدمت مباشرة ، وبعد احتلال ما تبقى من أرض فلسطين سنة ١٩٦٧ ، على تغيير الكثير من مواد التربية التي كانت تدرس في العهد الأردني ، وحذفت عددا من موضوعات الجغرافية والتاريخ وقصائد الشعر الوطني ، وكل ما يتعلق بجوانب القضية الفلسطينية ، وحظرت على معلمي المدارس حق الانضمام إلى نقابات تمثلهم ، بل طاردت الناشطين منهم ، وفصلتهم من وظائفهم ، وتعرض الطالب والمدرس معا لعملية قمع منذ بداية الاحتلال ، فالمعلم النشيط وطنيا مصيره الاعتقال والفصل من الوظيفة ، وأحيانا الإبعاد إلى خارج الوطن ، والطالب الملتزم بقضايا شعبه مصيره السجن والطرد من المدرسة .

وأقدمت السلطة على إغلاق المدارس والجامعات والمعاهد العليا فترات زمنية طويلة ، واحتجزت عددا كبيرا من الطلاب والمعلمين في مراكز الاعتقال ، وعملت على تخفيض رواتب العاملين في المدارس إلى نصف القيمة ، ووضعتهم في مأزق معيشي بالغ الخطورة ، لدفعهم بالتالي إلى الهجرة خارج فلسطين .

التعليم الشعبي بديل وتحدٍّ

منذ إغلاق المدارس بدأ تفكير جاد بين مدرسي ومثقفي الحركة الوطنية ، لوضع حلول سريعة ، بشأن قضية التعليم ، وتجاوز عقبة الإغلاق الطويل للمدارس ، وضمان حد معقول من التدريس للطلبة ، فأخذت تتشكل لجان التعليم الشعبي في المدن والأرياف

والمخيمات الفلسطينية ، استجابة للنداءات الوطنية التي تضمنتها بيانات اللجان الشعبية والقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة وحركة حماس .

في صيف عام ١٩٨٨ تمكنت لجان التعليم الشعبي من افتتاح عشرات المواقع وغرف الدراسة في البيوت ومراكز الشباب والأندية والمخازن ، في مختلف مدن الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد تمكنت اللجان من اختصار عام دراسي كامل في أربعة شهور متواصلة من التعليم المكثف ، تركز على طلاب المرحلة الابتدائية بشكل واضح جلي ، وعلى مادتي اللغة العربية والرياضيات .

وجرى حديث مع عدد من المدرسين النشطين في مجال التعليم الشعبي بمنطقة رام الله حول نجاحه وبعض ثغراته .

الأستاذ أبو أحمد ، مدرس معروف في رام الله ، كان قد تخرج في السبعينيات في إحدى الجامعات العربية ، لخص تجربته في التعليم الشعبي قائلا : « لابد في البداية من التأكيد على أن التعليم الشعبي لم يكن عشوائيا ، بل كان منظما بدرجة كبيرة ، وكانت هناك خطوات تنسيق متواصلة بين المواقع المختلفة في أحياء المدينة والقرى والمخيمات المحيطة ، وفي كل موقع هناك لجنة محلية ، تخضع للجنة الإشراف على مواقع الأحياء التي تقوم بتنسيق خطوات عملها مع اللجنة التنفيذية في مركز المدينة . هذا الأسلوب المنظم حافظ على تعليم شعبي دائم فترة ليست قصيرة ، وضمن مادة تعليمية متشابهة بمستوى واحد في جميع المواقع ، وتجاوزت اللجان الشعبية المنهاج الرسمي الذي قررته سلطات الاحتلال في المدارس ، وأدخلت عليه تعديلات كبيرة ، تنسجم مع المطالب الوطنية لشعبنا العربي الفلسطيني ، فقد تم تدريس كتاب بعنوان : « تاريخ وجغرافية فلسطين » ، وهو كتاب يدرس في المدارس الفلسطينية التابعة لوكالة الغوث في لبنان ، واستبدلت قصص الخيال في المنهاج الرسمي بالحكايات الوطنية والأشعار الشعبية التي تحمل هوية شعبنا . »

وحول استجابة الأهالي للنداءات الوطنية بالتبرع بغرف في بيوتهم أو محلاتهم ، من أجل تسهيل التعليم الشعبي ، قال الأستاذ رمضان أيوب ، معلم الرياضيات ، وخريج إحدى الجامعات في فلسطين : أبدى المواطنون استجابة عالية لتسهيل كل الظروف ، من أجل ضمان استمرار التعليم الشعبي البديل ، ولم يبخلوا في تقديم غرف بيوتهم كمواقع للتعليم ، أو التبرع بالبيوت الفارغة . وهناك من عرض الجوامع والكنائس لتكون مواقع أخرى ، يتلقى الطلاب فيها علومهم الأساس ، وقد تطوع المئات من الشبان والشابات للقيام بدورهم التعليمي ، وأبدوا قدرا عاليا من المسؤولية ، وحافظوا على تعليم متواصل فترة زمنية معقولة .

قال مدرس ، اعتذر عن ذكر اسمه : « منذ بداية نجاح فكرة التعليم الشعبي ، وتشكل



● عرس تحت الراية الفلسطينية



اللجان المتخصصة ، اتضح بصورة لا مثيل لها عداء الاحتلال لهذا النوع من التعليم ، وبدأ بملاحقة الطلبة والمدرسين ، وأصدرت الأوامر العسكرية بهذا الخصوص ، وأصبح التعليم الشعبي « جريمة » يعاقب عليها القانون ، وتعرض عدد لا بأس به من الطلبة والمدرسين إلى الاعتقال ، وصدرت بحقهم عقوبات بالسجن الفعلي ، وبغرامات مالية . هذا الوضع دفع اللجان المشرفة على التعليم لنقله تحت الأرض ، ليصبح سريا ، فانتشر بسرعة ، لأنه أصبح شكلا من أشكال التحدي للاحتلال . »

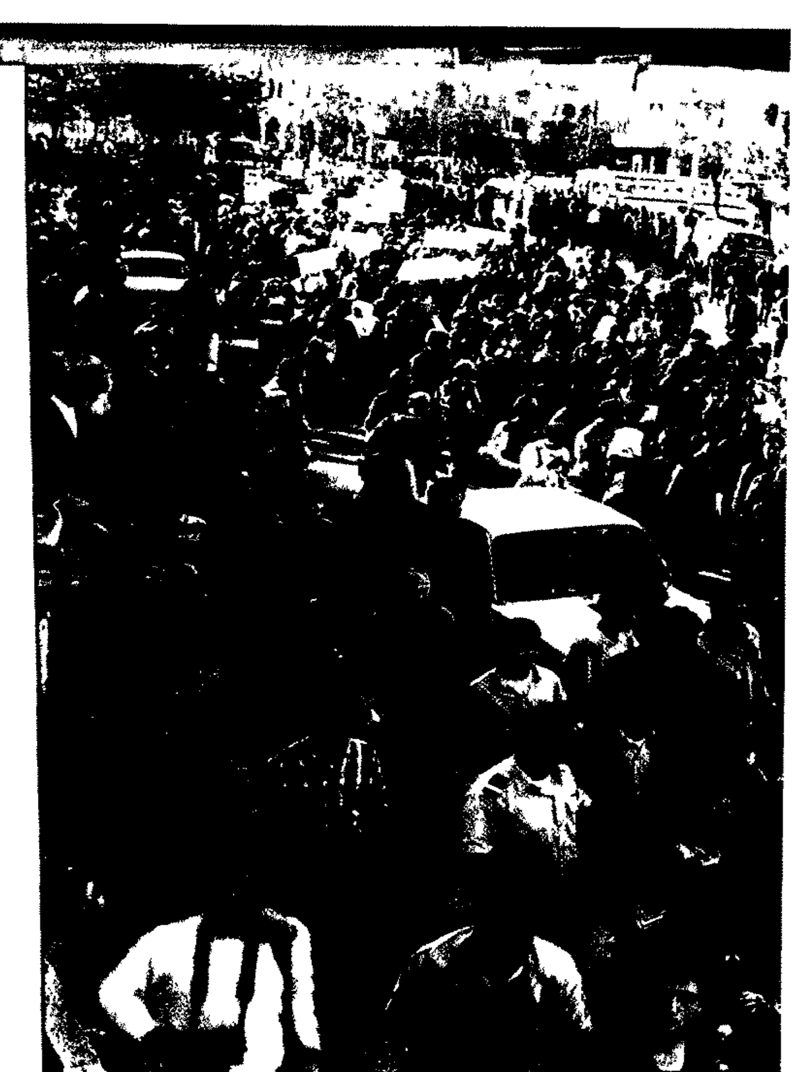
وحول إعادة افتتاح المدارس يقول هذا المدرس : بتقديري أن إعادة افتتاح صفوف المرحلتين الابتدائية والإعدادية يعود لسببين : الأول استمرار الضغط العالمي ، وبخاصة من منظمة اليونسكو الدولية على سلطات الاحتلال ، من أجل افتتاح المدارس ، لأن إغلاقها فترات طويلة يتناقض مع القوانين الدولية ، وثانيا خوف السلطات من ازدياد نفوذ التعليم الشعبي وتعاظم دوره بين الجماهير ، وبالتالي نقل المدارس من قبضة المحتل إلى سلطة الشعب ، وهذا يضع السلطات في مأزق يفقدها السيطرة على أمور التعليم والعملية التربوية . هذا إضافة إلى أن فتح المدارس (شكليا) ، كما هو الحال الآن يعطي الاحتلال فرصا لإغلاق معظمها بشكل فردي كلما ضرب حجر واحد من جانب مدرسة ، وبهذا يتجنب النقد بأنه أغلق كل المدارس . مع أن الحقيقة أن الأكثرية مغلقة .

ويقول (زكي) وهو مدرس من غزة : « على الرغم من الادعاء بأن مدارسنا كانت مفتوحة في العام الماضي ، فقد داومنا ٦٢ يوما فقط » .

دور للأكاديميين

وحول دور الأكاديميين الوطنيين قال الأستاذ أبو عمر : يقع على كاهل الأكاديميين المتخصصين في التربية والتعليم دور كبير ومسؤولية عظيمة في هذا المجال ، فهؤلاء مدعوون إلى المباشرة في وضع مناهج تعليمية فلسطينية وطنية ، بدلا من مهزلة المناهج الرسمية ، لتكون جاهزة عند الحاجة . ومع اندلاع الانتفاضة أعلن عن إغلاق جميع الجامعات والمعاهد العليا إلى إشعار آخر .

وفي بداية الإغلاق واجهت الجامعات مشكلة كبيرة ، تمحورت حول كيفية استمرار التعليم الجامعي ، وتخريج طلبة السنة الأخيرة ، لتوفير إمكانيات استقبال طلبة جدد ، أخذت الهيئات التدريسية على عاتقها مواجهة المشكلة ، وطرحت قضية التعليم المستمر في البيوت ومراكز الشباب ، وبدأت اللجان المتخصصة بالتحضير لاستكمال شروط التعليم ، أو ما يعرف باسم « التعويض » في أوساط محاضري الجامعات ،



● مسيرة القدس العالمية (١٩٩٠ عام السلام)

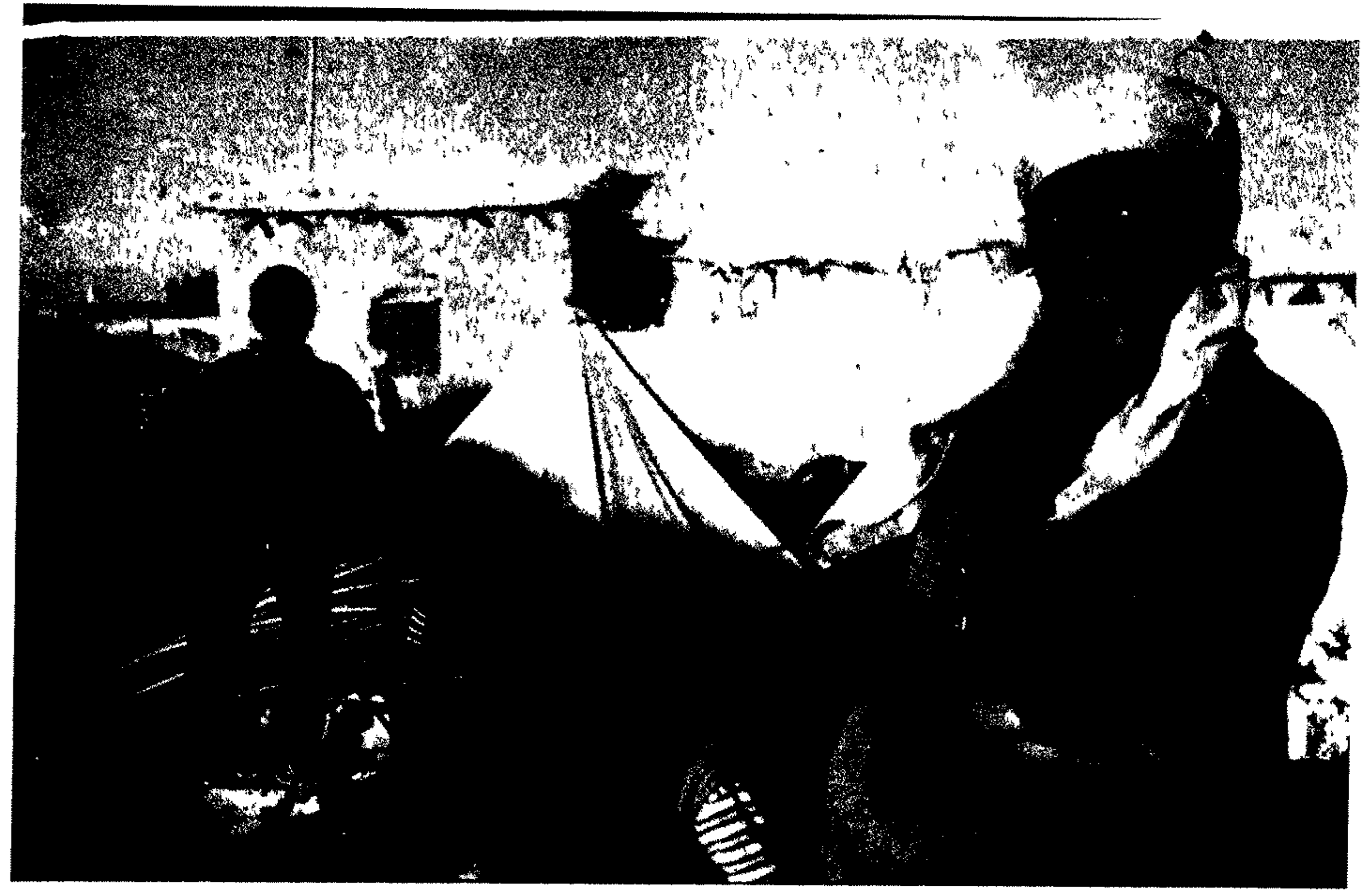
ونجحت عملية تعويض الطلبة بصورة غير متوقعة ، على الرغم من ملاحقات السلطة للطلبة والمعلمين ، ومحاولات تقييد حركتهم ، وأحيانا مداهمة مراكز التعليم ، واعتقال الأساتذة والطلبة ، وكل هذه الإجراءات لم تستطع أن توقف استمرار العملية « الأكاديمية » في جامعات : النجاح بنابلس ، وبيرزيت ، وبيت لحم ، والخليل ، وكليات جامعة القدس ، والجامعة الإسلامية في غزة .

الانتفاضة أُم الاختراع

يقول أحد الأطباء من مدينة رام الله : إن الانتفاضة خلقت حالة أو شكلا من أشكال الحرب ، وعلى المؤسسات الصحية أن تعمل على تغيير الوحدات الصحية ، حسب حالة الحرب القائمة ، بمعنى أنه إذا كان هناك تخطيط لإقامة مستشفى ولادة أو مستشفى متخصص في القلب فلابد من تغيير هذا التخطيط والعمل على إنشاء وحدات (بولي ـ اكلينيكية) ، وتوسيع دائرة انتشارها في الأرياف ، شرط أن تكون مجهزة بغرفة طوارىء وأشعة ومختبر وجهاز تخطيط ، ولديها سيارة إسعاف لنقل الحالات الطارئة ، من أجل القدرة على إنقاذ حياة المصابين بالرصاص ووقف النزيف . ويقول الطبيب : إنه يذكر حالة مصابة بالرصاص من قرية مجاورة ، نزفت حتى الاستشهاد ، قبل أن تتمكن من وصول مستشفى رام الله . وأضاف : هناك حالات كثيرة جدا فقدت دما بغزارة ، ولم تتمكن الطواقم الصحية من إنقاذها ، لغياب وحدات طبية متكاملة في الريف ، وعدم توافر سيارات الإسعاف المجهزة .

وطالب الطبيب الذي اعتذر عن ذكر اسمه بضرورة أن يكون هناك تنسيق بين جميع الوحدات الصحية المشرفة على الصحة في البلاد ، وطالب أيضا بتنويع الخدمات الطبية ، وتحضير المستشفيات لاستقبال الإصابات ، وتوفير غرفة طوارىء متكاملة،وسيارات إسعاف مجهزة لنقل المصابين في أصعب الظروف ، وأشار إلى ضرورة قيام الجمعيات بمهمة نقل المرضى والمصابين إلى المراكز الصحية .

وأشار الطبيب إلى غلاء تكاليف العلاج في الأراضي المحتلة ، وقال : إن تكلفة ليلة المبيت الواحدة تساوي ١٢٠ دولارا في مستشفى رام الله ، وقال : إن بالإمكان توفير تأمين صحي جماعي للسكان ، من خلال مؤسسة تأمين عربية ، على أن يغطي جزء من تكاليف العلاج من الأموال العربية في الخارج ، ويسهم المواطن في الأرض المحتلة بدفع اشتراك شهري حسب قدرته وإمكانياته ومستوى دخله ، وبهذا الشكل يمكن ضمان علاج جيد للجميع ، واستغلال الأموال التي تصرف بصورة عشوائية لرفع مستوى الخدمات الصحية .



● عائلة فلسطينية نسف العدو الصهيوني منزلها

وأبدى الطبيب ارتياحه لمراكز العلاج الطبيعي التي بدأت بالانتشار في رام الله وبيت لحم ، وقال : إن إعادة تأهيل المصابين في الانتفاضة عن طريق العلاج الطبيعي يساعد كثيرا على خلق جو نفسي للمصاب ولذويه ، ويساعد المصاب كذلك على العودة إلى وضعه الطبيعي قدر الإمكان ، ليشارك في بناء وطنه وتحريره .

وفي مستشفى رام الله التقينا الشاب رامي بركات ، ١٦ سنة ، من بلدة عنبتا ، وحدثنا عن إصابته في ساقه اليسرى ، ببلدته المجاورة لمدينة طولكرم ، قال : نقلت فورا إلى مستشفى رفيديا بنابلس ، ومكثت فيه خمسة أيام ، ولم يستطع الطاقم الطبي إنقاذ ساقي ، فتم تحويلي إلى مستشفى رام الله ، وأجرى الأطباء عددا من العمليات ، إلا أنهم فشلوا في إنقاذ ساقي ، حيث أصيبت بالغرغرينة ، وتم بترها . ويقول والده : إن سبب ذلك يعود إلى الإهمال الطبي من جانب ، وعدم توافر الأجهزة الحديثة من جانب آخر .

ونتيجة لتزايد إصابات الرأس بالرصاص اضطر الجهاز العلمي الطبي في مستشفى المقاصد الخيرية الإسلامية في القدس إلى تصنيع جهاز متخصص لالتقاط الرصاص من الرأس . ويذكر أحد الأطباء المشرفين أنه تم تسجيل الجهاز دوليا لصالح المستشفى ، وتم تطويره بناء على تزايد عدد الإصابات في الرأس ، وقدم جدولا إحصائيا لهذا النوع من الإصابات .

وبلغ عدد الإصابات التي سجلت رسميا ، حسب كلام وزير الدفاع « الاسرائيلي » ، حوالي ١٥ ألف إصابة ، منذ اندلاع الانتفاضة ، ويؤكد أحد الأطباء في منطقة الوسط في الأراضي العربية المحتلة ، أن ثلث مجموع الإصابات يعالج بمبادرات طوعية في العيادات الخارجية ، أو على أيدي أطباء في الأرياف ، ولا يتم تسجيلها . ومن المعتقد أن الرقم الحقيقي للإصابات يصل إلى ضعف الرقم الذي أشار إليه وزير حرب « اسرائيل » اسحق رابين .

وفي مستشفى الاتحاد بمدينة نابلس يلاحظ



● ام نعمي نابها المصاب

الاكتظاظ الهائل في غرف المستشفى ، على الرغم من أنه يعمل بكل طاقته . والتقينا عددا من الجرحى ، كان من بينهم شاب في العشرين من عمره ، أصيب بجراح في يده ، وتعرض لضرب مبرح من قبل الجنود يقول الشاب جهاد : أصبت في مخيم مجاور لمدينة نابلس ، وحاولت الفرار ، إلا أن الجنود ألقوا القبض علي ، وتعرضت لضرب مبرح ، ونقلني الجنود إلى إطار مشتعل ، وقاموا بوضع رأسي في وسط النار ، فترة زمنية ، شعرت فيها بسكرات الموت ، ونقلت إلى مستشفى الاتحاد مهشم الأنف ، محروق الوجه ، حيث أجريت عدة عمليات جراحية لأنفي من أجل وقف النزيف .

هذه حالة من بين آلاف الحالات التي تصل إلى المستشفيات والمراكز الصحية في الأراضي المحتلة ، وهي تشرف على الموت وتصارع الحياة ، فمرة تنتصر الحياة ويعيش المصاب ، ومرة تنتصر الإصابة ويسقط المصاب .

وفي أواخر اكتوبر تشرين أول لعام ١٩٨٩ اقتحمت قوة من جيش الاحتلال « الاسرائيلي » ستة مراكز صحية ، تابعة لوكالة الغوث الدولية ، في قطاع غزة والضفة الغربية ، وقامت بالتحقيق مع العاملين فيها ، بحجة تقديمهم خدمات صحية للقوى الضاربة ، وهددت سلطات الاحتلال بإغلاقها ، وقد احتجت رئاسة وكالة الغوث الدولية في مقرها الدولي بفيينا على هذه الممارسات ، وعدتها تدخلا في شؤونها ، ولا تملك سلطات الاحتلال صلاحية التحقيق مع الموظفين في العيادات والمراكز الصحية التابعة لوكالة الغوث في أمور ليست أمنية .

اللجان الصحية

في ظل هذه الأوضاع الصحية المتردية نشطت لجان الإغاثة الطوعية من أجل توفير العلاج الطبي الممكن للمواطنين ، وتقديم الإسعافات الأولية اللازمة ، من أجل الحفاظ على حياة المصاب .



● أطفال فلسطين خلف الأسلاك

وفي الأراضي المحتلة الآن أربع لجان طوعية ، تقدم خدماتها الصحية للمواطنين . وقد لعبت دورا متميزا في الانتفاضة ، فتمكنت من علاج كثير من حالات الإصابة ، وأوصلت المصابين في وضع لا بأس به إلى المستشفيات لاستكمال العلاج ، واللجان الأربع هي : لجان الاغاثة الطبية ، ولجان الخدمات الصحية ، ولجان الرعاية الصحية ، واللجان الشعبية للخدمات . وهذه اللجان امتداد للقوى السياسية الفاعلة في الأراضي المحتلة .

التقينا عددا من الأطباء المشرفين على اللجان الشعبية للخدمات الصحية في المقر المركزي لمدينة القدس ، وتحدثوا عن فكرة تشكيل اللجان ، وخدماتها الصحية ، ومدى انتشار مراكزها الصحية ، في ظل ظروف الانتفاضة الشعبية .

الدكتور يوسف ، طبيب عام ، ومتخرج حديثا ، يقول : تشكلت اللجان الشعبية للخدمات الصحية في منتصف عام ١٩٨٥ ، على أسس طوعية ، ووضعت لنفسها برامج صحية سنوية ، ضمن ظروف وإمكانيات ذاتية محدودة جدا ، آملة في تطويرها وإنضاجها ، إلى درجة تصبح فيها قادرة على تغطية جزء من المناطق المحرومة صحيا ، أو تنقصها الخدمات الصحية بشكل ملحوظ . ومن الأسباب المباشرة التي دفعت لتشكيل اللجان الشعبية قلة عدد المؤسسات الصحية في بلادنا ، وانعدام الخدمات في الأرياف والمناطق النائية ، وانخفاض مستوى الوعي الصحي لدى جماهير



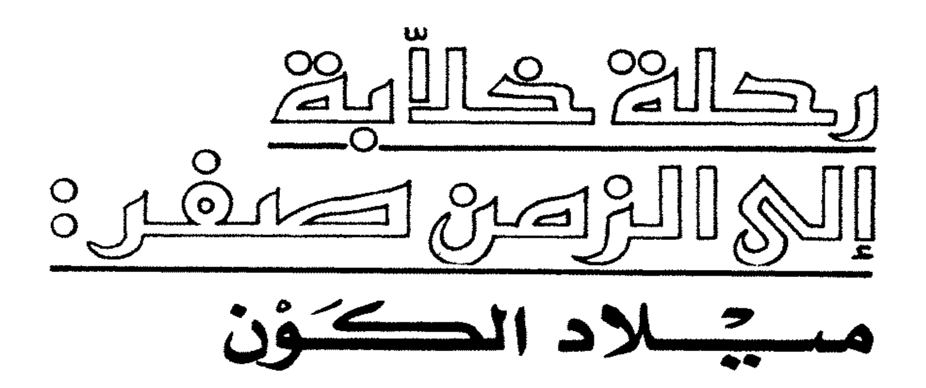
● طفلة تزور ضريح شهيد

شعبنا العربي ، في معظم المناطق ، نتيجة لعدم توافر البرنامج الصحي التثقيفي المتكامل ، وصعوبة التنقل بين المناطق الريفية والنائية وبين المدن ، وكذلك تردي الوضع الاقتصادي ، وعدم توافر التأمين الصحي الشامل الذي يكفل العلاج المجاني للسكان ، وارتفاع تكاليف العلاج ، أدى إلى عدم إقبال الأهالي عليه ، ولجوئهم إلى الوسائل التقليدية والبدائية ، ولهذه الأسباب ، وضمن ظروف الانتفاضة ، وعلى الرغم من الإمكانيات المحدودة ، دأبت اللجان على تنفيذ برامجها ، ووضعت نصب عينيها عدة أهداف منها رفع المستوى الصحي في المناطق النائية والقرى والمخيمات والأحياء الفقيرة في المدن ، من خلال إقامة المراكز الصحية الثابتة ، والقيام بإغاثات دورية للمناطق المحتاجة ، ونشر الوعي الصحي ، عن طريق النشرات ، وتقديم المحاضرات والنصائح الطبية ، وإجراء الدراسات والأبحاث على الأمراض المنتشرة ، والتنسيق مع المؤسسات والأطر الصحية المحلية والأجنبية ، لتحقيق هذه الأهداف .

وحول نشاطات اللجان الشعبية ، وانتشار فروعها ، مع استمرار الانتفاضة الشعبية ، قال أحد الأطباء المشرفين : يتمركز عمل اللجان حول تقديم الخدمات الصحية ، وإصدار النشرات الثقافية الصحية ، وتنظيم المحاضرات والندوات . ولدى اللجان الشعبية للخدمات الصحية٣١ عيادة منتشرة في الأراضي المحتلة ، موزعة على الشكل التالي : فرع القدس : عيادتان ، قطاع غزة : ست عيادات ، فرع رام الله : أربع ، نابلس : اثنتا عشر عيادة ، جنين : ثلاث عيادات ، بيت لحم : عيادتان ، طولكرم وقلقيلية : عيادتان . وعاينت هذه العيادات حوالي (٣٤) ألف حالة مرضية في الفترة الممتدة بين يناير كانون ثاني ٨٨ ، ويونيو حزيران ٨٩.

وتهدف اللجان الصحية للوصول مستقبلا لصيغة تنسيق مع كل اللجان والمؤسسات الصحية الوطنية ، لدعم الوضع الصحي وتطويره في الأراضي المحتلة ، والعمل على تغطية المناطق التي تنقصها الخدمات الصحية ، عن طريق إقامة المراكز الثابتة ، ليضم كل مركز عيادة وصيدلية ومختبرا في الحد الأدنى ، والرغبة في زيادة عيادات الطفولة والأمومة والأسنان ووحدات الأشعة .

وأصدرت اللجان الشعبية للخدمات الصحية عددا لا بأس به من النشرات حول مرض جدري الماء ، وطريق الوقاية منه ، والالتهاب الرئوي (النزلة الصدرية) ، وطريق الوقاية والعلاج ، ونشرة حول السعال الديكي ، وأخرى عن الحمى المالطية ، ونشرة عن الإسعاف الأولي ، ومعالجة الإصابات والكسور . □



ميلاد الكون

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

المؤكد أن نظرية النسبية التي خرج بها آينشتاين في بواكير القرن العشرين هي أعظم النظريات العلمية التي عرفتها البشرية حتى الآن ، ويزداد الإعجاب بهذا الانجاز إذا أخذنا بعين الاعتبار أنها توصلت إلى نتائج تقع خارج حدود مقدرة البشر على التصور تقريبا : « فالكون الذي توصل إليه آينشتاين هو كون « أحدب » ذوسطح مغلق ، ولذلك فهو دون حدود ، لكنه نهائي ، أي أن له حجما محددا ، لا يمتد بلا نهاية كما كان يعتقد قبل ذلك » .

عندما نشر آينشتاين نتائج أبحاثه حول نظرية النسبية العامة في عام ١٩١٧م انطلق من الأفكار التي كانت سائدة وقتها ، فعند النظر إلى الكون بمجمله (وعدم الاكتفاء بدراسة بقع صغيرة محددة منه) يبدو الكون متجانسا في سائر أرجائه ، ساكنا لا يتعرض لأي تغيير أو تبدل .

إلا أن هذه القناعات التي كان يسلم بها مع معاصريه أوصلته إلى نتائج محيرة ، فقد قام بحل معادلاته الجديدة التي استخدمها لوصف الكون الأحدب مرارا وتكرارا ، وفي كل مرة كان يحصل على النتيجة المدهشة نفسها : الكون لا يتمتع بالديمومة والاستقرار ، ولابد له إما أن ينكمش وينهار، أو أن ينفجر متناثرا، وهذا يعارض الاعتقاد السائد بثبات الكون وعدم تحوله .

عند هذا الحد بدأ الشك والريبة في نفس البرت اينشتاين ، فقد بدت له هذه النتيجة غير واقعية ، وكأنها خيالية جداً ، لذلك فضل أن يضيف إلى معادلاته ـ بشكل متعمد ـ حدا مختلفا ، اختاره بشكل يعيد للكون استقراره .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الإضافة بدت حتى لزملائه الاختصاصيين مقنعة ومسموحا بها ، لأن أيا منهم ما كان ليشك في توازن الكون واستقراره ، وقد قام اينشتاين بإضافة حد مختلف إلى معادلاته لسبب بسيط جدا ، هو عجزه عن « تصور » كون عدم الاستقرار ، لكن عدم وفائه لمعادلاته جعله ينال عقابه بسرعة ـ بعد حوالي ١٠ سنوات فقط ـ من خلال الاكتشاف التالي .

تمدد الكون :

قبيل الحرب العالمية الأولى تم افتتاح مرصد جبل ويلسون في ولاية كاليفورنيا الذي استغرق بناؤه قرابة ١٠ سنوات ، وبلغ قطر العدسة المركبة في هذا المرقاب الفلكي (التلسكوب) ٢,٥ مترين (١٠٠ بوصة) ، وظل متربعا على عرش أكبر المراصد في العالم قرابة ٣٠ سنة .

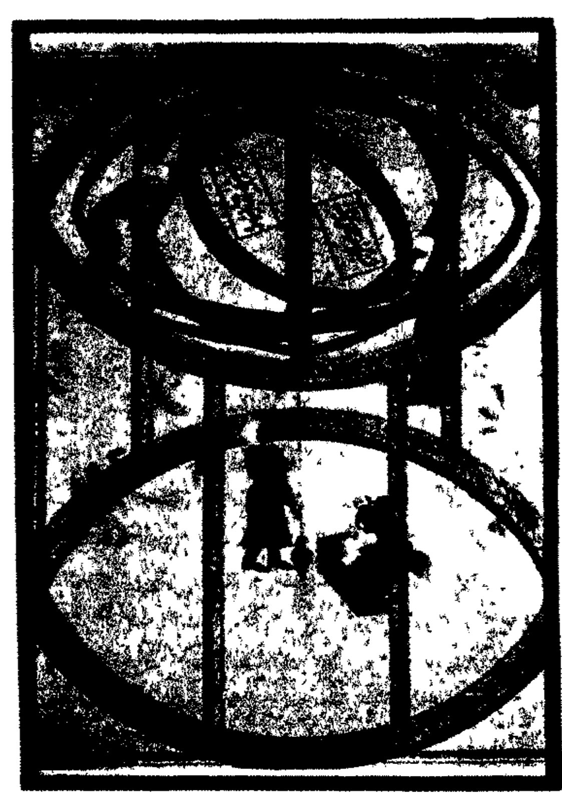
ولم يكن من المستغرب أن يقوم رئيس المرصد (أودين هَبل) بتسخير أكبر مرقاب في العالم لحل لغز « السَدم الحلزونية الضبابية» التي كانت اتسمت بلطخات براقة في السماء ، وعندما سلط هَبل المرقاب على سديم المرأة المسلسلة (آندروميدا) وجد أن هذه « السحابة » مكونة من عدد هائل من النجوم ، وأنها تشبه مجرتنا درب التبانة،وبذلك قدم هَبل ـ للمرة الأولى في تاريخ البشرية ـ الدليل على وجود مجرات أخرى غير مجرتنا ، درب التبانة ، لكنها كانت تظهر في السماء بشكل لطخات مضيئة لعجز المراقب الصغيرة عن رؤية تفاصيل أجزائها، وقد أشار هَبل إلى أن المسافات الشاسعة التي تفصلنا عن هذه المجرات هي التي تمنع رؤيتها بالعين المجردة .

فقد دلت المشاهدات المتراكمة منذ ١٩١٢م أن الخطوط الطيفية الملتقطة « للسدم الحلزوبية» تقع بشكل عام في زمرة الموجات الطويلة ، أي في منطقة الموجات الحمراء من طيف « قوس قزح» ، لذا قام هبل ومساعدوه بدراسة مكثفة «للانحراف الطيفي الأحمر» وحللوه بدقة ، وتأكدوا من تعرض الضوء الواصل إلينا من جميع السدم الحلزونية المدروسة للانحراف الطيفي الأحمر، إلا أن العامل الحاسم هنا هو إقامة الدليل على أن مقدار انحراف خطوط الطيف باتجاه القسم الأحمر يزداد كلما كبرت مسافة السديم المدروس، وبعد دراسات مضنية استغرقت سنين طويلة، أعلن هَبل في ١٩٢٩م تفسيره لظاهرة الانحراف الطيفي الأحمر :

لابد أن يعبر الانحراف الطيفي الأحمر هذا ـ استنادا إلى فعل دوبلر ـ عن حركة تباعدية



● بواسطة هذه (الأذن العملاقة) سمع ويلسون وبنزياس صدى الانفجار الأزلي ، الذي يمثل واحدة من أقوى دعائم وجود بداية للكون



● منقوشة أوربية من القرون الوسطى لعالم بالنجوم، وصل إلى نقطة تقاطع الأرض مع الشمس. نجد في أعلى اليسار بعض العجلات التي تحرك النجوم.

(تناثرية)، تتعرض لها السدم الحلزونية قاطبة، وينتج عن ذلك تباعد جميع السدم عن بعضها، في جميع الاتجاهات بسرعة عظيمة، وكلما كبر البعد الفاصل بين السدم (أو المجرات) كبرت سرعة التباعد تبعا لذلك.

فإذا نظرنا إلى الكون نظرة شمولية في ضوء اكتشاف هَبل فإننا نشاهد صورة «انفجار ضخم جدا يفوق حدود التصور البشري».

جاء رد الفعل الأول على هذا الاكتشاف المفاجيء المحير من قبل آينشتاين صاحب النظرية النسبية الذي كان قد أضاف إلى معادلاته التي تصف كونا متمددا أو منكمشا حدا مختلقا، يجعل الكون يتسم بالاستقرار، وكان اكتشاف هَبل لتمدد الكون صفعة عقاب لآينشتاين الذي لم يخلص لمعادلاته، إلا أنه لم يواجه هذه المحنة بالتعنت والتشدد، بل قابلها بروح رياضية علمية، بعد أن تأكد أن المعادلات لم تعد بحاجة إلى تصحيح، لأنها كانت تقول الحقيقة الصرفة، وقد قام بحذف الحد المختلق الذي أضافه إلى معادلاته، معلقا على ذلك بسخرية: «إنها أكبر حماقة ارتكبتها في حياتي».

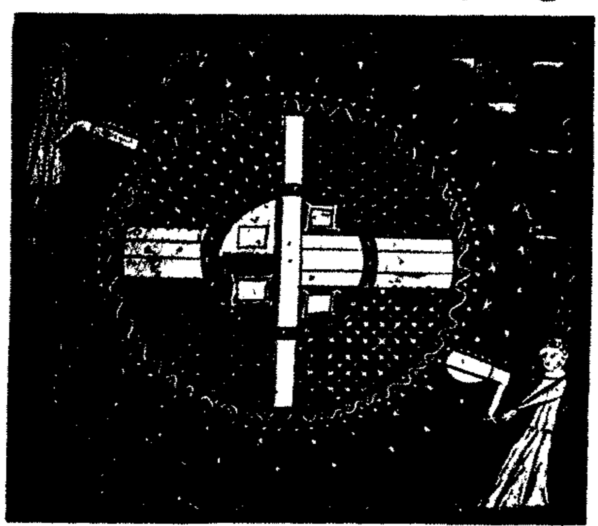
وهكذا تبين أن الكون ليس محدود الحجم كما عرف في الماضي، بل غير مستقر أيضاً، وكذلك لا يستمر في المستقبل «إلى الأبد» (أو فلنقل إلى زمن دون نهاية). وغني عن الاثبات أن الكون المنفجر هو عكس الكون المستقر، ومن البديهي أن خصائص الكون غير المستقر «تتغير» في كل لحظة نتيجة «تمدد» المادة الموجودة فيه، فإذا عدنا بالزمن إلى الوراء في الكون المتمدد فإننا سنجد أن الأجرام السماوية تقترب من بعضها شيئا فشيئا، حتى تتجمع في «نقطة» وحيدة، في زمن يرجع إلى ١٣ مليار سنة، استنادا إلى حسابات هبل: لقد واجهت العلماء أدلة تشير إلى حتمية وجود «بداية الكون».

تعارض النظريات

بدت فكرة «نشوء الكون وبدايته» للعديد من علماء الطبيعة الغربيين «ثورية» و«غير علمية». يقول (هوييار فون ديتفورت) في كتابه «في البدء كان الهيدروجين» إن فكرة نشوء الكون وخلقه حدت بهؤلاء العلماء «للخروج على العالم بالعديد من النظريات الجديدة، وذلك تجنبا للرضوخ لنتائج هذه الحقائق التي تذكرهم بالأساطير القديمة».

لم يختلف المتصارعون على سلامة قياس الانحراف الطيفي الأحمر، الذي اعتمد عليه هَبل في استنتاج تمدد الكون وبدايته، بل اختلفوا في «تأويله»، وقد ولد هذا الصراع أزمة علمية حادة بين أنصار تمدد الكون وأعدائه، تمخضت عن العديد من النظريات العلمية المتصادمة.

وتعتبر نظرية «الضوء المتهالك» من أشهر الأسلحة التي أشهرت في وجه نظرية «الكون المتسع»، يقول أنصار «الضوء المتهالك»: إن الضوء الواصل إلينا من الأجرام والسدم السماوية البعيدة يقطع مسافات شاسعة، يمر أثناءها عبر العديد من حقول الجاذبية والمغناطيسية ومجالات تأثير الإشعاعات الأخرى، التي يصادفها في طريقه، وهذا يؤدي إلى «إضعاف الضوء وتعبه وتهالكه»، وبذلك يكبر طول موجته، فنكتشفه على الأرض على هيئة انحراف خطوطه الطيفية باتجاه النهاية الحمراء من «قوس قزح» (انحراف أحمر)، فما هي طبيعة الأدلة التي يسوقها أصحاب هذه النظرية؟.



● فلكيون مسلمون يقيسون حركة الأجرام السماوية، بينما كان علم الفلك متخلفا في أوربا.

في عام ١٩٥٣م هاجم الفلكي الأمريكي (زويكي) في كتابه «المجرات المضاعفة» نظرية الكون المتمدد، دون تقديم أي دليل، فهو يقول إن عناقيد المجرات تتوزع في كون منبسط غير متمدد، وأن مفهوم الكون المتمدد قد واجه صعوبات جدية خلال ١٥ سنة الماضية. و«يفترض» زويكي أنه إذا تبين أن الكون ـ بمجمله ـ لا يتمدد، عند ذلك يتوجب تفسير الانحراف الطيفي الأحمر ـ بشكل عام ـ كنتيجة لتأثر الضوء الواصل إلينا من مسافات شاسعة مليئة بالمادة وبالأضواء الأخرى، وعند ذلك يمكن النظر إلى الانحراف الأحمر كتابع لتوزع المادة التي يصادفها الضوء أثناء رحلته الكونية. وفي الختام يكشف زويكي إفلاس أدلته بالقول إنه مهما كان شأن عمليات التمدد «ضمن» الكون فإن تمدد الكون «ككل» لا يعدو كونه أحد مفاهيم «ما وراء الطبيعة».

حميَ وطيس المعركة عندما اعتمد بعض المفكرين على نظرية الكون المتسع، في إثبات ميلاد الكون وخلقه، وعلى سبيل المثال فقد كتب الفلكي الانكليزي الشهير (السير آرثر إدينغتون) في كتابه «الكون المتمدد»، بأننا نعتلي خشبة مسرح الحياة لنعرض مسرحية للخالق (المتفرج الكوني)، وكذلك صرح البابا (بيوس الثاني عشر) في كتابه «إثباتات وجود الله في ضوء علوم الطبيعة الحديثة» بأن تمدد الكون مشتق من عقيدة الكنيسة، وبأن جميع الدلائل توحي بأن الكون المادي كانت له بداية عنيفة قبل زمن محدود نهائي.

عارض الانكليزي (سكريفن) فكرة بداية الكون وتحديد عمره، في مقال نشرته مجلة «فلسفة العلم» الانكليزية، قائلا: «لم يتمكن العلم ولن يتمكن من تحديد عمر الكون على الإطلاق».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعارضة (العلمية) كانت تلبس أحيانا ثوب «المعاجزة والمهاترات»، فطلبت من أنصار فكرة بداية الكون الإجابة على تساؤلات لا تمت إلى العلوم الطبيعية بصلة، مثل: «ماذا وجد قبل خلق الكون؟»، و«متى خلق الكون؟»، و«لماذا خلق الكون؟». وعلى الرغم من ذلك فقد أجاب دوبوار ريموند على هذه التساؤلات في مجلة «فلسفة العلم» الانكليزية بقوله: «يعجز الفكر البشري عن التغلغل إلى الأسرار الأبدية للطبيعة، ولن يفهم وسائل مهندس الكون العظيم وأهدافه».

لكن مرور الزمن شهد تزايد عدد العلماء الذين يقبلون بأن الانحراف الأحمر ليس له مسبب آخر غير تمدد الكون، وبعد إجراء الحساب على أعداد كبيرة من السدم والمجرات، اعتمادا على مسافاتها وسرعاتها، توصلوا إلى صورة غريبة جدا للكون، تمثل «انفجارا، بكل ما في الكلمة من معنى».

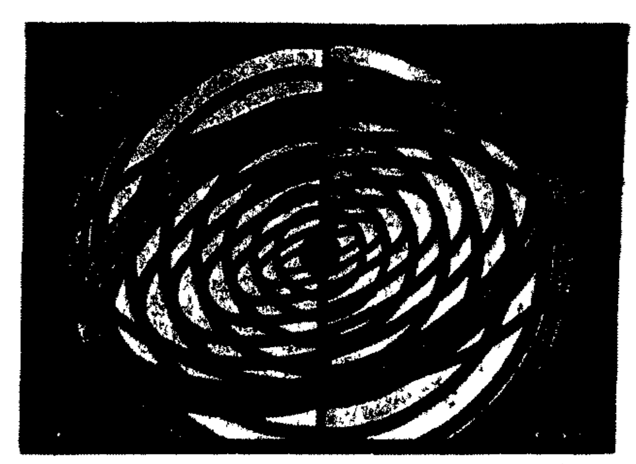
الانفجار الأزلي:

وعليه فقد تصور العلماء حينذاك «ميلاد الكون» كما يلي:

قبل حوالي ١٣ مليار سنة كانت جميع أجزاء المادة المحتواة في الكون مركزة في حجم صغير جدا، وقد ابتدأت حياة كوننا الذي نعيش فيه قبل حوالي ١٣ مليار سنة «بانفجار» هائل، أدى إلى تناثر المادة الموجودة في هذه البقعة المركزة. وقوة الانفجار هذه كانت عظيمة جدا، إلى حد يسمح لنا بمشاهدة آثارها الطاغية بعد مضي ١٣ مليار سنة على وقوع الانفجار، وما تمدد الكون الذي نلاحظه الآن إلا استمرار «لأعظم انفجار في التاريخ»، وقد أطلق عليه اسم «الانفجار الأزلي».

في البدء لم يتعد الأمر حدود النظرية، وقد كانت تفاصيل هذه النظرية متكاملة بعضها ببعض، وقد قدمت صورة متناسقة للكون، إضافة إلى ذلك فقد شكلت نبوءة انشتاين بحتمية انكماش الكون على نفسه أو تمدده دعامة قوية لصحة نظرية الانفجار الأزلي.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كانت النظرية بحاجة إلى «دليل مباشر» يثبت أقدامها، ويسكت معارضيها إلى الأبد، وتساءل العلماء: كيف يمكن قطع الشك باليقين؟ وكيف السبيل إلى تقديم إثبات مباشر على حادثة مضى على



● لوحة من القرن السابع عشر الميلادي تجعل الشمس مركزا للكون، تدور حوله ـ ظاهريا الأرض ونجوم الزودياك: الشريط الذي تتحرك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب.

وقوعها ١٣ مليار سنة؟

كان العديد من العلماء غير مقتنعين بأن كوننا نشأ من العدم بشرارة هائلة، على الرغم من الانحراف الطيفي الأحمر، ونظرية النسبية، وجميع المؤشرات الأخرى المؤيدة للانفجار الأزلي. وقد تساءل هؤلاء: من يجزم بأن الانحراف الأحمر ناتج عن تمدد الكون، وليس عن سبب غير معروف حتى الآن؟ أليس من حقنا أن نطالب بإثبات مباشر دامغ، يزيل الشبهات إلى الأبد؟

مخلفات البداية العنيفة:

تصدى الفيزيائي الأمريكي (روبرت ديك) للإجابة عن هذه التساؤلات، وحاول تقديم الدليل اليقيني الذي ينهي الجدل حول موضوع بداية الكون، والذي شغل عقول المفكرين منذ أقدم العصور.

كان من المعروف بالنسبة(لديك)أن النظرية العلمية المرشحة للقبول من جمهور العلماء، يجب أن تعتمد على «حقيقة ثابتة» أو واقعة أكيدة في العالم المحيط بنا، ويمكن أن تنال الرضا أيضا إذا «تنبأت» النظرية بإحدى الظواهر المحددة، وأمكن التحقق من صحة هذه «النبوءة» بالقياس أو التجربة.

حاول ديك جهده لتصور الظروف التي كانت سائدة في الثواني الأولى من حياة الكون، وبدون عناء كبير تبين له أن الإتيان «بحقيقة ثابتة» عن تلك الحقبة المغرقة في القدم ضرب من المستحيل، لذا رجح الاعتماد على النوع الثاني من «طرق الاستدلال» لإثبات نظرية الانفجار الأزلي، وأخيرا استقر رأيه على اشتقاق بعض النبوءات، التي يعتقد بإمكانية التحقق من صحتها، في أيامنا هذه، بالاعتماد على القياس والتجربة.

تصور ديك كوننا «الوليد» على هيئة كرة صغيرة ملتهبة، تقدر حرارتها بمليارات الدرجات المئوية، ويحيط بها فراغ مظلم بارد، درجة حرارته تساوي الصفر المطلق (حوالي ٢٧٣ تحت الصفر المئوي المألوف). وفجأة ـ قبل حوالي ١٣ مليار سنة ـ انطلقت شرارة الانفجار الأزلي، وبدأت كرة الكون الوليد الملتهبة تتناثر شظايا، وتتسع على حساب الفراغ البارد «الميت»، وكلما تقدم العمر بالكون، اتسع حجمه، وانخفضت درجة حرارته تبعا لذلك.

فما الذي يتخلف عن هذا الميلاد العنيف لكوننا حتى يومنا هذا؟ لا بد أن يتبقى «اشعاع» يصدر عن أجسام يقارب متوسط درجة حرارتها ٣ درجات فوق الصفر المطلق، أو فلنقل (٣ كلفين)، إضافة إلى درجة الحرارة هذه، فلا بد أن يحقق هذا الاشعاع المزايا المشتقة من طبيعة من «كرة وحيدة» متناثرة: عليه أن يصل إلى المراقب الأرضي من الاتجاهات كلها في اللحظة نفسها، وبالشدة عينها وبالتردد (أو طول الموجة) عينه.

كان كل هذا صحيحا «وسهلا»ـ من الناحية النظرية الصرفة، لكن الأمر بدا ـ من الناحية العملية ـ مفرطا في الخيال، لأن نتائجه تبدو مستحيلة الاختبار والتدقيق على الاطلاق. كانت مواصفات هذا الاشعاع غريبة جدا، وكانت الصعوبات التقنية في غاية التعقيد، لكن ديك صمم على السير قدما في أبحاثه الهادفة إلى تقديم الدليل الصامد على صحة نظرية الانفجار الأزلي وبداية الكون، وعلى الفور بدأ ديك

بتصميم هوائيات استقبال خاصة في جامعة برنستون الأمريكية، وهنا لعبت الصدفة دورها.

صدى الانفجار الأزلي:

في ربيع ١٩٦٥م كان (أرنو بنزياس) و(روبرت ويلسون) يعملان في قسم الأبحاث التابع لشركة (بل تليفون) على تطوير هوائي استقبال خاص، لاستخدامه في عمليات الاتصال البعيدة عبر القارات، حاولت الشركة اختبار إمكانية إجراء الاتصالات هذه بواسطة ما يسمى «بأقمار الصدى الصناعية»: وهي عبارة عن كرات ضخمة من رقائق الألمنيوم الرقيقة جدا، يقارب سمكها صحائف الورق العادي، وقد أمكن وقتها مشاهدة هذه الأقمار ومتابعتها بالعين المجردة ليلا، أثناء دورانها حول الأرض، لأنها كانت تعكس أشعة الشمس كالمرايا تماما.

لم تقم هذه الكرات الضخمة المتنقلة فوق الغلاف الجوي الأرضي بعكس ضوء الشمس فحسب، بل كانت مهمتها الأساسية تكمن في عكس الإشارات اللاسلكية القادمة من الأرض، وإعادتها إلى سطح الأرض مرة أخرى.

وبغية التقاط الإشارات اللاسلكية المنعكسة عن أقمار البالونات هذه، فقد قام علماء شركة (بل) ببناء هوائيات خاصة، قادرة على التقاط حتى أضعف الإشارات، وقد حرص العلماء كذلك على تخليص الإشارات الأساسية من جميع الإشارات الطفيلية (الضجيج) غير المرغوب فيها.

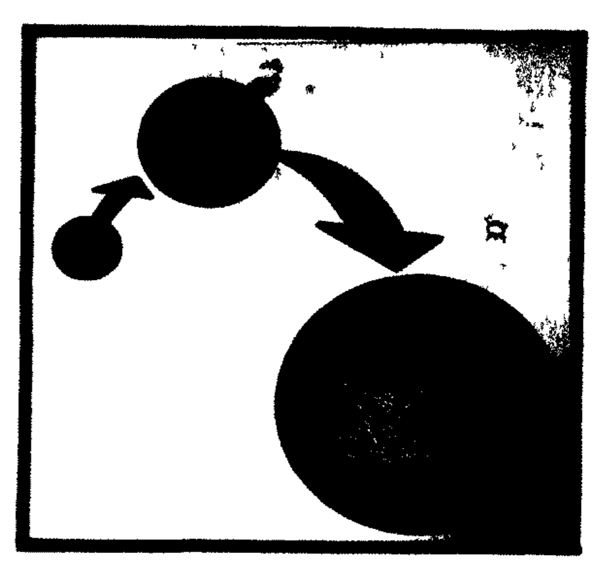


● لوحة من كتاب هولندي، تجعل الأرض مركزا للكون، تدور حوله الكواكب ونجوم الزودياك.

وظهر الهوائي الذي قام ويلسون وبنزياس بتصميمه لهذه الغاية فريداً من نوعه، فهو يشبه «قرنا» يزيد طوله عن ١٠ أمتار، وينتهي عند أحد طرفيه بفتحة جانبية واسعة، (طولها ٨ أمتار وعرضها ٦ أمتار)، بينما أخذت النهاية الأخرى شكل «قمع»، ينتهي عند جهاز القياس، يذكرنا الشكل العام للهوائي بأنابيب ضعاف السمع القديمة، التي كانت تستخدم من قبل ابتكار التجهيزات الألكترونية الحديثة، ولا يفوتنا أن نتذكر هنا أن المهمة الأساسية لهذا الهوائي كانت شبيهة ـ من حيث المبدأ ـ بوظيفة الأنابيب السمعية القديمة هذه.

ما كاد العالمان يباشران تجاربهما سنة ١٩٦٥م، حتى بدأ الشك يعتريهما، فقد كان جهاز الاستقبال يصدر «ضجيجا لاسلكيا ثابتا»، على الرغم من تجهيزات «التصفية»، لذلك فقد غير الباحثان توجيه الهوائي المتحرك «في جميع الاتجاهات»، لكن النتيجة لم تتغير، واستمر الضجيج الثابت نفسه.

أطبقت الحيرة الكاملة على الباحثين، فقد حاولا إصلاح الجهاز مرارا وتكرارا، دون أن يتمكنا من اكتشاف أي خلل في جهاز الاستقبال المستخدم، ومن ناحية أخرى لم يقبلا ـ بأي شكل من الأشكال ـ باحتمال وجود مصدر خارجي للضجيج، كان بمقدورهما أن يتقبلا حدوث تشويش (ضجيج) «مؤقت» نتيجة التقاط بعض الإشارات اللاسلكية التي تتبادلها القطع العسكرية، لكنهما وجدا أن «الضجيج اللاسلكي الثابت» يستمر دون انقطاع، وعندما حاولا تفسير الضجيج بأنه صادر عن بعض أجهزة الاتصالات اللاسلكية التي يمتلكها بعض الهواة «العابثين»، الذين «يعاكسون» طاقم شركة (بل)، وجدا أن هؤلاء «العابثين» لن يقدروا ـ مهما أوتوا من مهارة التنظيم ـ على تأمين وصول الضجيج «والإزعاج» إلى هوائيات الشركة من «الاتجاهات كلها».



● تمدد الكون

ومرة أخرى لعبت الصدفة دورها، فما كاد ديك يسمع بالتفاصيل الأولى حول طبيعة «الضجيج» الذي أقلق ويلسون وبنزياس شهورا طويلة، حتى حشد مساعديه، وانطلق معهم على الفور إلى قسم البحوث التابع لشركة (بل) في هولمديل.

بددت المعلومات التي رواها العالمان لديك، والأصوات الكونية التي سمعها بأذنيه آخر شكوكه: كان هذا الضجيج الغامض هو البرهان القاطع على صحة نظرية الانفجار الأزلي.

وهكذا نجح ويلسون وبنزياس في اكتشاف هذه الظاهرة عظيمة الأهمية بطريق الصدفة المحضة، ودون أن يعرفا عنها أي شيء، حتى قيام طاقم جامعة برنستون بزيارتهما، إن تلك الإشعاعات التي استقبلتها أجهزتهم، وهذا الضجيج المحير الذي كان آتيا من جميع الاتجاهات في الوقت نفسه، وبالشدة نفسها، وعلى الرغم من تغيير اتجاه الهوائي مرارا وتكرارا، لم يكن «عطلا» كما توهما للوهلة الأولى، وإنما هو «صدى» الشرارة الهائلة التي سببت الانفجار الأزلي، الذي وقع قبل حوالي ١٣ مليار سنة، وأدى إلى نشوء الكون وتمدده، هذا «العطل» الذي كشفه هذان العالمان بالصدفة، وكانت الدلالة التجريبية المباشرة الأولى على أن الكون ليس دون نهاية لا في المكان (الفراغ) ولا في الزمان، وقد أطلق عليه اسم «صدى الانفجار الأزلي».

عود على بدء:

وهكذا فنحن نعلم اليوم، اعتمادا على علوم الطبيعة وحدها، أن كوننا الذي نعيش فيه كانت له بداية، وأنه نشأ - حسب معارفنا العلمية الحالية - بشرارة عنيفة، كانت من الضخامة بشكل يسمح لنا بسماع صداها حتى يومنا هذا.

ربما تعترينا الدهشة إذا سمعنا بأن كشف صدى الانفجار الأزلي لا يتطلب - بالضرورة - تجهيزات وهوائيات معقدة باهظة التكاليف!! فنحن نعلم اليوم أن هذا الإشعاع يسبب جزءاً مما يسمى «بالضجيج الضوئي لسقوط الثلج»، الذي نشاهده على شاشات التلفزة بشكل بقع بيض كبيرة نسبيا تتحرك بصورة عشوائية على الخلفية الداكنة، وذلك عندما نترك الجهاز شغالا بعد انتهاء بث البرامج!

وعلى هذه الشاكلة فإن صدى نشوء الكون يصل في أيامنا هذه حتى إلى داخل بيوتنا، وهذا يسمح لكل إنسان بالتأكد بنفسه من «البداية الانفجارية» لكوننا الذي نعيش فيه. □

بين الحازم والعاجز



● دخلت امرأة على بزرجمهر حكيم فارس فقالت له: أيها الحكيم، ما بال الأمر يلتئم للعاجز ويلتاث على الحازم؟ فقال لها: ليعلم العاجز أن عجزه لن يضره، وليعلم الحازم أن حزمه لن ينفعه، وأن الأمر إلى غيرهما.

لمْ يَعْلمُوا سِرَّها

شعر : محمود العتريس *

لا تسـألـوني إلام أنـتـظر ... وكـلّهـم من جوارهـا نفـروا
لم يعلموا سرها ، وليس لهم ... مثلي ، بما في خبائها خبر
لعلني قد علمتُ ما جهلوا ... من أمرها ، أو لعله القدر
سيان عندي ، فليس ينقصني ... إلا الليـالي وخـطوي الحـذر

....

إني - كما شئت - عاشق أرق ... من معشر في مدى الهوى سهروا
وعاقروا الحب ملء طاقتهم ... وفـوق أيـامهم ، ومـا سكـروا
بقيـة من خريف صبـوتهـم ... لما تزل بـالـربـيـع تأتـزر
لن أسأم السعي بالهجير ففيّ ... رياض قلبي العيون والشجر
ولن أمـل الـدجى ، أبـدده ... بأنـجـم في الـضـلع تـسـتـتر
ولست أخشى الزمان يخدعنا ... فالشمس عندي ، وعندها القمر

....

لا تسألوني ، بل اسألوا فلقد ... نذرت أن لا تخيفني النذر
كم احتويت اللظى ، فألهبني ... كم هزّأتني الـريـاح والمـطر
ولم أتب عن هواي أو أرقي ... مادمت في ذا وذاك لا أزر
لم يعلمـوا سرّهـا ، وأعلمـه ... فيـه المنى والأمـان والخـطر
وهكذا الحسن فتنة سبقت ... وفـتـنـة في الـزمـان تنتـظر
أجـل سأبقى ويـوم أدركهـا ... سيعلم الـنـافـرون ما خسروا

* شاعر من القطر العربي المصري





صدر العدد الجديد من:
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
مارس
١٩٩٠
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.
في هذا العدد:
■ استطلاع عن الحدائق العائمة في المكسيك.
■ مسلسل بالألوان: عبدالكريم الخطابي.
■ دعوة لزيارة مدينة نواكشوط.
■ عفريت الكمبيوتر "قصة من الخيال العلمي".
■ الزير سالم "الحلقة الثالثة".
إضافة إلى الأبواب الثابتة:
● إسلاميات.
● كمبيوتر.
● ٨ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة.
نتيجة مسابقة العدد ٤٨



مجلة الاسرة والمجتمع

تلك المعركة بين الحماة والكنّة

تلك المعركة بين الحماة والكنة

بقلم : ريم الكيلاني

أيام قليلة بعد الزواج وتبدأ المشكلة في الظهور ، يرتفع صوت النفير معلنا بدء معركة قديمة قدم المجتمعات البشرية ، طرفاها الحماة والكنة ، تبدأ كل منهما بالإعداد للمواجهة وتحقيق النصر ، والفوز بالغنيمة الكبرى ، (الابن ـ الزوج) ، لكن المعركة لاتنتهي أبداً ، ولواء النصر لاينعقد لأي منهما،وتستمر الحرب قائمة طالما بقيت هناك حماة وكنة ، وزوج لاتدرك واحدة منهما ما له وما عليه .

إنها قضية قديمة ، وعلى الرغم من ذلك فإن رياح الزمن لم تنجح في تبديدها كما فعلت بكثير من القضايا القديمة . إنها قضية تتحكم فيها طبيعة المرأة ورغبتها الشديدة بالتملك ، فهي تندفع بحكم غيرتها ، لكسب الرجل ، وإن كانت كثيرا ماتعاني في ما تقوم به لتحقيق هدفها .

ربما تكون الحياة العصرية قد حدت بشكل ضئيل من الاحتكاك المباشر بين الكنة والحماة ، بحكم مشاغل الحياة ومشاكلها ، وبحكم البعد الزماني والمكاني ، وعلى الرغم من شيوع نظام الأسرة الصغيرة .

لكن يبقى هناك من تجبرهم الظروف الصعبة على العيش مع الأسرة في بيت واحد ، أو الاستعانة بالحماة في رعاية الطفل في أثناء وجود الزوجة في العمل ، مما يسبب الاحتكاك بين الخصمين الأزليين ، فتنشب المعارك ولا تهدأ .

المدعى عليه

تقول سيدة حديثة العهد بالزواج : اتفقت منذ البداية ، على أسلوب الحياة مع زوجي ، وعلى تحديد العلاقات الأسرية بالشكل الذي يضمن لنا ولأسرتنا الهدوء والانسجام ، لكن حماتي كانت تصر على التدخل في شؤوننا بمناسبة وبدون مناسبة ، وكأنها تريد أن تشعر زوجي باستمرار وجودها في حياته حتى بعد الزواج ، وكنت أتحمل ذلك احتراما لكبر سنها ، وحرصا على مشاعر زوجي الذي كان قادرا دائما على حسم الأمور بطريقة ترضي كل الأطراف ، إلا أن هذا كان يقلقني ويكلف زوجي كثيراً من الجهد والأعصاب .

وتقول سيدة أخرى : أجبرتني ظروف زوجي المادية على العيش في بيت أهله الكبير . لم أعترض في البداية ، لأنني أعتقد أنني سأنتقل من بيت أهلي إلى بيت أهلي الثاني . فكانت البداية معهم من هذا المنطلق ، لكن حماتي لم تكن تترك مناسبة إلا وتذكرني فيها بطريقة مباشرة

حينا ، وبطريقة غير مباشرة أحيانا ، بأنهم أصحاب الفضل في إعالتي أنا وزوجي ، وأنني يجب أن أرجع إليها إذا أردت شراء شيء ، أو الخروج إلى أي مكان ، مما كان يشعرني بالضيق والحرج ، فأحس بأنني وزوجي وأولادنا شخصيات هامشية ، لا وزن لها ، ولا رأي في البيت الكبير .

لكن هذا ليس حال كل النساء بالطبع ، فالمشكلة لاتخص المرأة وحدها ، بل تمس الرجل بشكل أو بآخر ، وتؤثر على سلوكه وشخصيته ومستقبله ، كما تؤثر على الأطفال بشكل خاص ، وإن كان يميل بعض الناس إلى الاعتقاد بأن معاناة الرجل أقل دائما ، لأن الحماة تسعى لإرضاء زوج ابنتها ، مراعاة لمشاعر الابنة ، وحفاظا على سعادتها الزوجية .

ويتحدث زوج حول تلك القضية قائلا : لاحظت أن والدة زوجتي تحاول اصطناع الود معي دائما ، فهي تبدي لي كل حب واهتمام ، ولا تتوانى عن إرضائي أبدا ، ولكن حقيقة ماتكنه لي حماتي بدأت تظهر ، بعد عدة زيارات كانت تقوم بها زوجتي إلى بيت أهلها وحدها ، وحينئذ أدركت الحقيقة ، ففي كل مرة كانت تعود زوجتي إلى البيت محملة بأفكار وآراء وطلبات غريبة ، ولاينتهي هذا اليوم إلا بمشكلة كبيرة . وأعلم فيما بعد ، وعندما تهدأ الأمور ، أن أمها هي التي دفعتها إلى ذلك ، بما تقوله لها من كلام حول الرجال ، وضرورة عدم الثقة بهم ، ومراقبتهم الدائمة ، حتى لايبدءوا بالتفكير بغير زوجاتهم . وزوجتي تسمع وتطبق دون أن تفكر ، مدفوعة بقوة أمها وثقتها بها .

وهذا زوج لاندري إن كانت الحياة هي التي أنصفته أو زوجته أو حماته ، فهو يفتح فمه مشدوها من مجموعة الحكايات التي يسمعها عن الحموات فيقول : ومع ذلك لم تتدخل حماتي يوما في حياتنا ، ولم تبد رأيها في تأثيث المنزل ، أو في تنظيم حياتنا ، حتى لو طلبنا منها ذلك . ويضيف : اختلفت يوما مع زوجتي ، فخرجت إلى بيت أهلها غاضبة ، لكن حماتي قالت لها : أهلا بك ضيفة عندنا ، حتى تصفى النفوس ، وتعودين بعد ذلك إلى بيتك وزوجك .

لعلك تلاحظ ـ عزيزي القارىء ـ خلال هذه الأمثلة أن لكل إنسان تفكيره الخاص الذي يتناسب مع حياته ، ويتوافق مع الظروف الاجتماعية المحيطة به ، إلا أن ماهو ثابت ، وما تؤكده كتب علم النفس أننا جميعا نحب أن نشعر بحاجتنا لأن نكون محبوبين مرغوبين . وإن فقدان مثل هذا الشعور ينتج عنه سلوك غريزي ، يذهب بصاحبه نحو البحث عما هو مفقود : الحب والود والإيثار . وحول هذه المشاعر تدور المعركة بين الحماة والكنة .



ومن الواضح أن هؤلاء الذين يكرسون حياتهم لأهلهم يعانون كثيراً من المصاعب والمشاكل في حياتهم الزوجية ، فالفتاة يجب عليها عند ذلك أن تكون قادرة على أن تفصل نفسها عن أسرتها ، وأن تقبل بمستقبلها في المحيط الذي يختاره لها زوجها . كما أن هناك رجالا لايستطيعون أن يتخلصوا من هذه المسألة ، فيقعون ضحية الحيرة بين الزواج والانفصال عن أهلهم أو البقاء دون زواج ، مفضلين صحبة أمهاتهم وأفراد أسرتهم الآخرين .

إن أي علامة للإفراط بالاتصال بالأسرة ينبغي أن تكون علاقة تحذير ، لأن ذلك معناه الزواج بشخص يحاول أن يكون نصف زوج ونصف ابن أو نصف زوجة و نصف بنت ، وهذا لا يفي للزوج أو الزوجة بحقه في حياة زوجية هادئة . يقول الدكتور فرانك كابريو ، المؤلف والطبيب النفساني الأمريكي ، في كتابه تفسير السلوك : « إن البالغين الذين لا يستطيعون أن يقطعوا العلاقات البيئية غير السليمة ليسوا بأهل للزواج ، فإذا تزوجوا فالمشاكل قريبة منهم ، وعلى وشك أن تعصف بهم » .

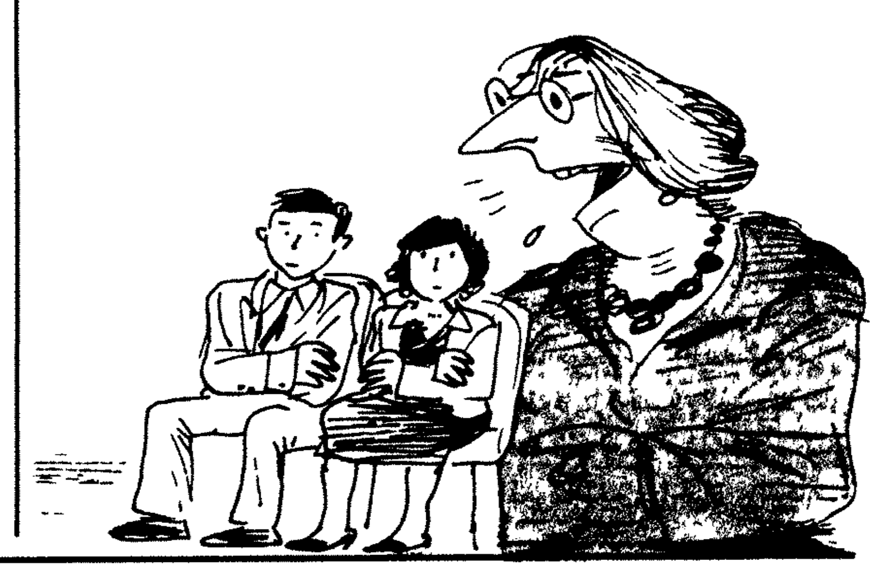
الطبيعي والشاذ

ويبقى لدينا سؤال : هل هذا هو الوضع الطبيعي لكل أسرة ؟ وهل يعني ذلك أن يعيش كل زوجين وشبح الحياة يهددهما ، أو تعيش الأم متربصة لكنتها في كل كبيرة وصغيرة ؟

يتفق كثيرون من علماء النفس والاجتماع على أن هذا الوضع حالة غير طبيعية ، تخص فئة قليلة من المجتمع ، تأثرت بشكل واضح بالموروثات الثقافية والاجتماعية التي نشأت مؤمنة بها ، والتي أثرت في كثير من سلوكياتها وتصرفاتها بعد ذلك .

يقول الدكتور محمد عودة ، أستاذ علم النفس التربوي ، بجامعة الكويت : لعله من المناسب هنا أن نسأل أولا : ماذا تريد الأم من ابنها الذي تزوج وكوّن أسرة ؟ وماذا تريد الزوجة من حماتها ، بعد أن انتقلت إلى بيت الزوجية ؟

إذا قصرت حاجة الأم على السؤال عنها ، والاهتمام بها ، ومعاونتها ، فهذه مطالب عادلة ، بعيدة تماما عن المغالاة ، أما إذا زادت المطالب عن هذا الحد ، كأن تطلب الأم من ابنها أن يبقى ملتصقا بها ، كما كان قبل الزواج ، أو أن تصطنع الغضب إذا لم يحقق لها أمرا غير معقول ، فإن هذا بالطبع يربك مسيرة الحياة الزوجية ، ويسير بها إلى حافة الهاوية . فمحاولة التوفيق بين الطرفين ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ينتج عنه وفاق ووئام ، أما عدم الإدراك الحقيقي لدور كل من الأم والزوجة ، وعدم العمل على إشباع حاجات كل منهما على الوجه الأكمل ، فينجم عنه الخلل ، ومن ثم الخلاف .



ويجب ألا يفوتنا هنا أن الأم قد أمضت عمرا في رعاية هذا الابن وتربيته ، وهي تبحث دائما عن سعادته وراحته ، وقد تشعر بالأسى إذا تجاهلها ابنها ، أو أنكر حقوقها عليه .

ولعل الطبيعة الإنسانية هنا هي التي توجه الإنسان لمثل هذا السلوك ، فسنة الحياة وطبيعة البشر جعلتا لكل دوراً يؤديه في الأسرة ، لكن الإحساس بأن شخصا ما ، قد يحل محل أحد أفراد الأسرة يثير الغيرة ، ومن ثم تبدأ محاولة التخلص من «الخصم» الجديد ، للاحتفاظ بالدور له وحده .

والمشكلة هنا لها جذورها الاجتماعية في الدرجة الأولى ، فكل فتاة تتشرب هذه المعرفة الخاطئة عن طريق ماتسمعه ، أو ماترويه لها أمها ، أو أختها ، أو صديقاتها اللاتي سبقنها في هذه التجربة .

لكن السؤال الذي يطرح هنا هو : هل للعوامل الاجتماعية دور في هذا الصراع ؟

إن التوافق التام بين الوظائف النفسية مع القدرة على مواجهة الأزمات العادية التي تطرأ على الإنسان يضفي نوعا من السعادة على النفس البشرية . والحقيقة أن سلوك الفرد خاضع لعوامل المجتمع التربوية التي أثرت فينا ، وأحيانا ما ورثناه عن آبائنا .

وقد انقسم علماء النفس إلى قسمين في تفسير السلوك الإنساني ، فبعضهم قال : إن السبب الأول المؤثر في السلوك هو الوراثة . بينما أكد بعضهم الآخر أن البيئة هي المؤثر الأول الوحيد في سلوك الإنسان ، وأن هناك ملكة في الشخص ، تساعده على التمييز الفطري بين الخير والشر . وقد سميت هذه «الحاسة الخلقية» . ومن المعروف أن الغيرة وحب الملكية تشكلان جزءا من سلوك الإنسان ، وأن لهما دورا فعالا في إخراج هذا الصراع إلى حيز الوجود . لكن العقل في النهاية هو الذي يوجه الإنسان الوجهة السليمة للتعامل مع الظروف الجديدة المحيطة به ، خاصة أننا نعيش في مجتمع شرقي ، ونواجه ضغوطا نفسية كبيرة ، بسبب العوامل الاجتماعية المحيطة بنا التي تشكل عبئا هائلا على الأفراد ، مما يجعل الانفكاك عن العادات والتقاليد غاية في الصعوبة ، لتصبح بعد ذلك هذه العادات عبئا على صاحبها ، تنتج عنه مشاكل وخلافات تتباين حدتها حسب طبيعة الإنسان ، وحسب المنهج الذي ينتهجه لنفسه للتعامل مع ماحوله من عوامل . وقد يرفض بعض الناس هنا تطور الحياة ، وما قد يطرأ عليها من متغيرات ، خوفا من تغير دوره أو اضمحلال قيمته كفرد يؤدي عملا خاصا إلى فرد ذي شخصية هامشية في المجتمع .

وعلى الرغم من ذلك فالوضع اليومي للأسرة الحالية أفضل بكثير مما كان عليه سابقا ، عندما كانت الأسرة كبيرة ، حيث تجتمع زوجات الأبناء معا في بيت العائلة ، فيحدث الاحتكاك ، ومن ثم الخلافات التي تنشأ عنه التي تصبح مع الوقت أمرا مألوفا تماما .

المدعي

علينا ونحن نطرق هذا الموضوع مقابلة بعض الحموات للتعرف على وجهات نظرهن في هذه القضية .

تقول أم ستة أولاد متزوجين ، يعيش كل واحد منهم في بيت مستقل : «لم أكن راضية عن تفرق الإخوة ، وعيش كل واحد منهم في بيت ، بعيدا عن جو الأسرة الكبيرة الذي اعتدنا عليه وعشناه نحن من قبلهم ، لكن كل زوجة أصرت أن تستقل بحياتها بعيدا عن سلطة الأسرة ، كذلك رفضن تدخلي في اختيار المنزل أو الأثاث ،

وأنا أجلس في بيت لاأعرف عن أحدهم شيئا سوى ما أراه منهم عندما يأتون لزيارتي، وغالبا فإن هذا لايحدث إلا مرة واحدة كل أسبوع، وغالبا ما تتشاجر إحداهن معي، أو يتشاجر بعضهن مع بعض، وينتهي اليوم بتوتر بين الإخوة».

وتقول أم ولد وحيد بكثير من المرارة: لقد قضيت عمري في تربية هذا الولد ورعايته، قدمت له أقصى مايمكن أن تقدمه أم لابنها، لكنه اليوم ملك لزوجته، ويبدو أنه وجد لنفسه شخصا آخر يشاركه حياته، ويطمئن إليه، ويفضي بهمومه، وكأنه يعلن انتهاء رسالتي في الحياة. لم ينقطع ابني عن زيارتي، خاصة عندما أنجبت له زوجته طفلا، عهدا العناية به لي، لأن زوجته امرأة عاملة، لكنها تعترض دائما على طريقة تعاملي مع الولد، سواء كان ذلك في تغذيته أو لباسه أو تربيته، وغالبا مايحتد النقاش بيننا، فهي تصر دائما على اتباع ماتتعلمه في الكتب لتربية ابنها، بينما أرى أنا طريقتنا القديمة في التربية أفضل. والمشكلة أن ابني يؤيد زوجته ويقف إلى جانبها، مشككا بقدرتي وخبرتي اللتين لاأملك غيرهما.

الدفاع

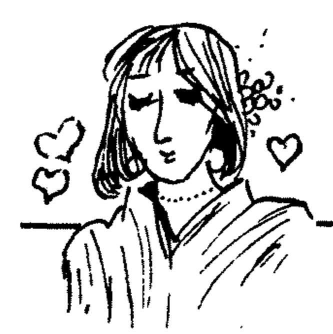
إن الاختلاف قائم بين جيلين مختلفين، بحكم البعد الزمني وفي العادات والسلوك، لكن التكيف والقدرة على المواءمة والتحمل لهما أكبر الأثر في الحد من هذه الخلافات، وللزوج كما للزوجة دور مهم جدا، فهما الأكثر قدرة على التكيف بحكم السن، كما أن الأبوين أكثر قدرة على التسامح بحكم التجربة. ويتحدث الدكتور فهد الناصر، مدرس بقسم الاجتماع بجامعة الكويت، مدافعا عن الأم الكبرى أو الحماة قائلا: هذه قضية تختلف عواملها وأسباب وقوعها من مجتمع لآخر، من ثقافة لأخرى، تبعا للتباين الاجتماعي الذي من شأنه تحديد الكثير من العلاقات، وفي مختلف المجالات. ولكنني أرى أن الأسرة الممتدة هي أحد عوامل اكتساب الخبرة لكل زوجين حديثين، كما أن لها دورها الفعال في تحديد مسار الحياة الزوجية والسير بها إلى بر الأمان.

خاصة أنه مهما اختلفت تربية ونشأة الأم (الحماة) والزوجة فإن الدين والجنس والخلفية الثقافية والاجتماعية غالبا واحدة، ويجدر بنا ونحن نتحدث حول تلك القضية أن نضع كلا من الزوجين في بؤرة المسئولية، فهما وبسبب صغر سنيهما قادران على التكيف مع الظروف المحيطة بهما، مراعاة لحقوق الأهل ونفسياتهم.

. هذا هو ملف القضية، وقد تحدث فيه كل من المدعي والمدعى عليه، وألقى الدفاع كلمته. لكن هل يتوقع أحد منا أن يصدر حكم في هذا الشأن؟ الحكم سيبقى في النهاية للواقع الاجتماعي الذي يعاني كثيرا من الأمراض، وإن كان هذا النوع من الاحتكاك ليس أخطرها. وللنفسية الإنسانية التي ملكت عبر السنين عادات تحولت إلى موجهات للسلوك الإنساني. □

● **الحب الحقيقي لا يطفئه حرمان، ولا يقتله فراق، ولا تقضي عليه أي محاولة للهرب منه، لأن الطرف الآخر يظل شاخصا في الوجدان.**

(مصطفى محمود)



أطفالنا
والخوف من الطبيب

بقلم : الدكتور محمد مروان النحاس*

كثيرا ما نسمع أمهات يخوِّفن أبناءهن بأخذهم إلى الطبيب . ومع أن مهمة الطبيب الأولى هي المساعدة على تخليصنا من الألم إلا أنه مبعث خوف لكثير من الأطفال على الأخص . فهل هذه حالة خاصة بنا ، أو أنها ظاهرة منتشرة في كل أنحاء العالم ؟

يعد الخوف من الأطباء أحد أشكال الخوف الذي يوجد في أعماق كل منا . وقد كان مرده في السابق إلى أنهم كانوا يقبعون في برجهم العاجي ، نظرا لقلة عددهم ، وحاجة الناس إليهم ، يمارس الواحد منهم كل الاختصاصات، بغض النظر عن مدى خبرته فيها، وقلة الإمكانات الطبية المتوافرة بين يديه .

أما في عصرنا الحاضر، فقد اختلف الأمر جذريا، فمع ظهور الاختصاصات الطبية المختلفة، وازدياد عدد الأطباء، ساد الوعي الطبي بين شعوب العالم بعامة، وأصبح الطبيب أكثر صله واحتكاكا بمجتمعه، وصار للمريض الخيار في انتقاء طبيبه الذي يرتاح إليه ويثق فيه، فتراجعت نسبيا عقدة الخوف هذه من النفوس . إلا أن جذورها ما تزال متأصلة في كثيرين من أطفال العالم الثالث بعامة، والوطن العربي بخاصة، وتعزى لأسباب عديدة، مردها الأهل والطبيب.

الصغار والأطباء

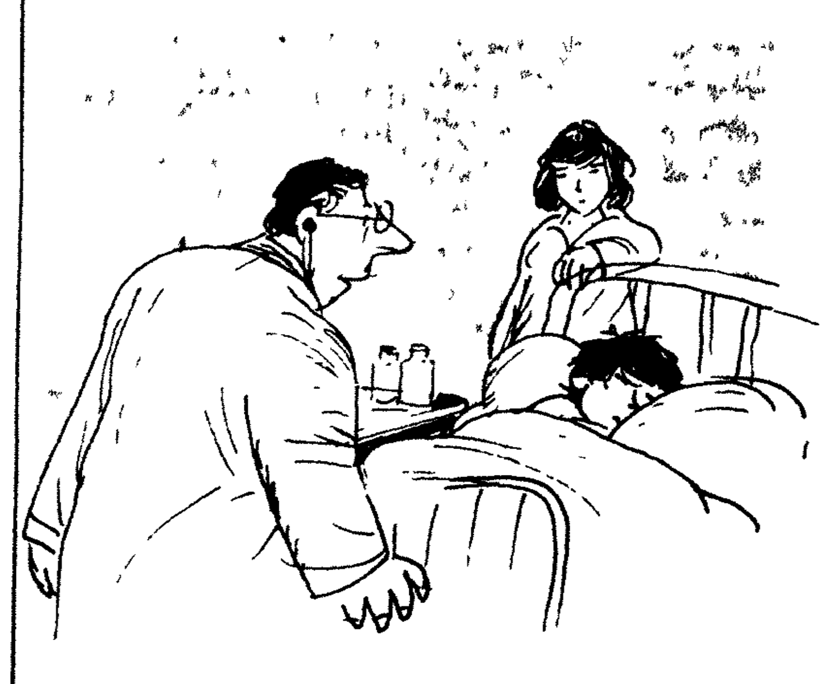
فبعض الأهل يخافون أصلا من الطبيب، وكم سمعنا عن مرضى انسحبوا خلسة من المشفى، خشية إجراء عملية جراحية مقررة، أو تخلصوا من يدي طبيب الأسنان بوسيلة ما، مخافة قلع ضرس ، أو الاحساس بآلة الحفر داخل الفم، ناهيك عن تهديد أطفالهم المتواصل بأخذهم إلى الطبيب، كي يزرقهم بحقن عضلية مؤلمة . فحين تقع الواقعة لا يكاد الطفل يرى وجه الطبيب، حتى يملأ العيادة صراخا وعويلا من شدة الخوف المزروع في نفسه وكيانه، ولاحظت أن غالبية المرضى الذين يبكون في عيادات مشافي الأطفال بالدول الغربية هم من شعوب العالم الثالث. لهذا تقع على الأهل مسؤولية بذر محبة الطبيب في قلوب الصغار منذ نعومة

* طبيب وكاتب من القطر العربي السوري .

أظفارهم، ومحاولة شرح ما سيقوم به قبل أخذهم إليه، كي لا يفاجأوا بما هو واقع. كما يفضل إخبار الطبيب مسبقا عن نفسية الطفل والأشياء التي يرغبها، ولهذه الناحية أهمية إذا مادعت الضرورة إدخاله المشفى. عليهم أيضا مساعدة الطبيب في مرحلة المعالجة، واتباع التعليمات الموصى بها، ولا يغيب عن ذهني طفل أجريت له عملية مفاغرة (توصيل) في الأمعاء الغليظة، وأعطيت الإرشادات بتغذيته وريديا مدة عدة أيام، يقرر الجراح بعدها متى تبدأ تغذيته عن طريق الفم تدريجيا، وبعد يومين من الجراحة استجابت الأم لرغبة ولدها، فأطعمته خيارا خفية عن أعين الممرضات، مما أدى إلى تمزق مكان العملية، وإصابة الطفل بالتهاب حاد في البطن، وبالتالي تعرضه لعمليتين جراحيتين كان في غنى عنهما. ومن الحب والجهل ما قتل.

أما الطبيب فهو الطرف الآخر في هذه المشكلة، ويشير الطفل إليه بأصابع الاتهام. لقبه العرب قديما (بالحكيم)، لاستعماله الحكمة في علمه ومعاملته للمرضى، فممارسة الطب عند الأطفال تتطلب حنكة وخبرة في معاملة كل من الطفل والأهل، لكسب ثقتهم ومحبتهم، بصورة لا تقل أهمية عن المعالجة نفسها، كما تختلف عنها لدى الكبار، فعلى قدر مايكون الطبيب جديا في فحصه أو معالجته، تزداد مخاوف الطفل وسلبيته، فوجب أن يحسن الطبيب التصرف بحكمة وروية في موقف كهذا بالتعامل معه حسب عمره وتفكيره بالإضافة إلى بث الطمأنينة في نفسه، والتودد إليه، قبل الشروع في فحصه سريريا، وتزخر العيادات الحديثة بألعاب منوعة، تستهوي الكبير قبل الصغير، كي يستمتع بها في أثناء الكشف، ويمكن أحيانا فحص بعض النواحي من الجسم (كالصدر مثلا) والطفل في حضن أحد والديه، وقد يكافئه الطبيب بهدية متواضعة، كقطعة من الحلوى أو ما شابهها. أما إذا تطلبت الحالة عملا جراحيا، فيمكن شرحه للطفل والأهل بما يتفق ومداركهم. كما يفضل اللجوء إلى التخدير الموضعي أو العام قبل أي إجراء طبي قد يؤلم الطفل (كخياطة جرح أو شق خراج)، وبعض الأطباء يستعين أحيانا لدى فك غرز بعض جروح العمليات (خاصة التجميلية) بالتخدير العام، مما يريح الطفل من الألم والذعر النفسي، وتتضح أهمية ذلك بالممارسة الطويلة.

وقد يلجأ الطبيب في بعض البلدان المتقدمة إلى مشورة الطبيب النفسي لكل من الطفل والأهل في حالات مرضية خاصة، كالتي تتطلب إجراءات جراحية كبيرة، سواء قبل المعالجة أو بعدها.



ممارسة نفتقر إليها

أما بالنسبة لمشافي الأطفال على وجه الخصوص، فجميع العاملين فيها مجندون لمعالجة المرضى وخدمتهم بمحبة وإخلاص، وملائكة الرحمة يحفونهم بأجنحة العطف والعناية تعويضا عن حنان الأبوين، بالإضافة إلى صالة للألعاب ومكتبة صغيرة، بإشراف مربيات متخصصات. وبث برامج إذاعية وتلفازية محببة لديهم. كما يحتفل كل قسم في المشفى بأعياد ميلاد مرضاه، إضافة إلى مناسبات أخرى سعيدة على القلوب. وتعد هذه الوسائل المذكورة من فنون الممارسة الطبية المتقدمة التي تفتقر إليها مشافينا. ولن أنسى ما حييت تلك الطرفة التي جرت وقائعها كالحلم العابر في مشفى جامعي للأطفال في بريطانيا ليلة رأس السنة الميلادية، حيث كنت الجراح المناوب، وكان كل شيء هادئا، وقبل منتصف الليل بساعة جاء إلي الجراح المقيم، بقامته الطويلة وتقاطيعه الاسكتلندية المميزة، وعلى وجهه ابتسامة عريضة قائلا: يا دكتور لقد وقع الخيار، بأن تقوم أنت بدور الحورية الشقراء، وأنا بدور « بابا نويل » لزيارة أطفال المشفى هذه الليلة، وتقديم الهدايا إليهم، وفي هذا شرف عظيم لنا. فسألته بارتباك: ومن



اتخذ هذا القرار ؟. قال: لجنة من المشرفين على هذا الاحتفال، تضم أساتذة وممرضات. أجبته محرجا وقد طفح الدم في وجهي: لماذا أنا على الأخص، ولدينا طبيبات وممرضات يقمن بالمهمة أفضل مني ؟. قال بلطف وعفوية: لا أدري، وعلى كل حال أنت من وقع عليه الاختيار لهذه المناسبة السعيدة، حيث لم يسبق لأحد أن رفض قبول هذا الشرف الرفيع، ولا حتى وزير المالية البريطاني المعروف بعبوسه وصرامته لم يتردد في قبول دعوة برنامج الأطفال والظهور على الشاشة الصغيرة منذ أيام متقمصا دور ساحر مخيف بعباءته السوداء وعصاه السحرية.

الأستاذ « بابا نويل »

ذهبنا إلى غرفة مكدسة بالهدايا، حيث انطلقنا بها إلى أقسام المشفى، نوقظ الأطفال النيام على أصوات أجراس العيد، لنعطيهم الهدايا، فتملأ وجوههم البريئة المسرة والبهجة، بحلول عام جديد، والأمل بشفاء عاجل. استمر بنا المطاف حتى الثانية صباحا، عدت بعد ذلك الى منزلي، معتقدا بأنني اقترفت ذنبا شائنا بحق نفسي، ستلوكه غدا ألسن جميع العاملين في المشفى، من أطباء وممرضات إلى أدنى مرتبة من العاملين، فبت ليلة ليلاء من تأنيب الضمير، وتمنيت ألا يبزغ الفجر. ذهبت في الصباح إلى قسم الجراحة، وما أن لاحت لي ردهته حتى شاهدت جمعا غفيرا من الناس يغنون ويصفقون بهجة وسعادة، يتوسطهم ثنائي آخر من « بابا نويل » والحورية. بحثت بين الوجوه عن أستاذي القدير، فإذا هو المتنكر بزي « بابا نويل »، وحوريته أستاذ آخر جليل القدر، ولما قطعت شك ما رأيت باليقين، أثلج صدري وهدأت سريرتي. وبعد انتهاء هذا الاحتفال الصباحي، دنا المحتفلون مني يهنئونني بإطلالة العام الجديد، ويشكرونني على الدور الناجح الذي أديته بعبارات رقيقة، مايزال صداها يهز مشاعري، وقدم لي الأستاذ « بابا نويل » هدية أعتز بها على الرغم من تواضعها، وكأنني الفائز الأول في سباق فريد، غايته الوصول إلى هذه القلوب البريئة بالعطف والتواضع، كي يتحول خوفها من الطبيب أمنا وطمأنينة، وتغرس في حناياها محبة ومودة. □

هو.. هي

فـوضى

لا أدري كيف اكتشفت ذلك ، لكنني اكتشفته ؛ اكتشفت أن زوجي فوضوي كبير ، على الرغم مما يبدو عليه من اتزان ووسامة وأناقة . أما اكتشافي الأكبر فكان تلك المفارقة التي مفادها أن الشخص قد يكون الشيء ونقيضه في الوقت نفسه . وفي حالة زوجي فإن اتزانه ووسامته وأناقته لا تنفي حقيقة كونه فوضوياً ، لا مبالياً ، قليل الإحساس بالجمال .

فهو ما أن يأتي من عمله حتى يتحول إلى شخص آخر ، يقذف ملابسه في كل اتجاه ، ويهرع إلى المطبخ ، ليتناول قبل الغداء بعض المأكولات السريعة . وربما بعض الفواكه أو الحلوى ، فيفسد موعد الوجبة التي أرى أننا يجب أن نتناولها معاً برفقة أبنائنا . وكثيراً ما نكون ـ الأولاد وأنا ـ قد انتظرناه طويلاً ، حتى يأتي ، لنلتم جميعاً حول المائدة في جو عائلي .

المشكلة الكبرى هي أنني نبهته مراراً إلى أن هذه السلوكيات الصغيرة تسيء إليه أولا ، كما أنها لاتساعده على إعطاء صورة جيدة عن أب مثالي بالنسبة للأولاد . ولكنني أقلعت عن ذلك عندما لاحظت أنني كلما قلت له مثل هذه الأمور البديهية ، استشاط غضباً ، وبدأ يتحدث عن الحرية والتلقائية والراحة التي لا يتسنى له ممارستها خارج المنزل . ولاينسى في غمرة انفعاله أن يتهمني بأنني أحول المنزل من مكان للراحة والتحرر من كل الرسميات إلى ما يشبه المعابد التي يجب أن تكون فيها كل خطوة محسوبة ، وكل كلمة لها درجة صوت مناسبة ، وكل حركة لها تبريرها .

وأمام سيل كلماته الجارف لا أجد أمامي سوى الصمت الذي لا يرضيه ، لأنه لا ينهي المشكلة التي تفجرت ، ولا يرضيني لأنه لاينهي مشكلتي التي تبدأ مع عودته من العمل كل يوم .



.. هي

حــُـريـــة ؟



سامـح الله زوجـتـي ، فهي تضايقني دون أن تدري ، وتوبخني دون أن تقصد ، وتخلق المشاكل في بيتنا الهادىء وهي تنوي تنظيم الحياة فيه وترتيبهـا ، لكي يصبح بيتاً مثالياً ، تفاخر به صديقاتها الحميات واللدودات على حد سواء .

والمشكلة تكمن في أنني أؤمن بأن المنزل لم يخلق للراحة والسكينة فحسب ، بل وجد ليكون المكان الذي تمارس داخله ما لا يمكنك ممارسته خارج المنزل . وإن كان خارج المنـزل هو العمـل بالـرتـابـة والانتظام والمعاملات الرسمية والسـلوكيات والجـدية ، فإن المنزل يجب أن يكون المكان الـذي نتـخـلص فيه من السلوكيات الجدية ، ونكسر فيه الرتابة والانتظام . وإن كان الخارج هو الأماكن العامة ، مثـل المـطاعـم والمـقـاصف والمقاهي أو شاطيء البحر ، حيث الـرسـميـات والآداب العامة والحركات المحسوبة جيداً ، فإن المنزل يجب أن يكون المكان الذي نتحرر فيه من الـرسـميات والحـركـات والأصوات المحسوبة ، وننطلق فيه على سجيتنا ؛ نأكل متى ما أردنا ، وننام حين نرغب ، ونلعب مع أطفالنا ألعاباً قد تزرع الفوضى في المنزل ، لكنها تزرع في نفوس أبنائنا المرح ، وتكسر الحواجز بيننا وبينهم ، وتجعلنا أكثر قرباً إلى عوالمهم الصغيرة .

لكنني ما أن أعود من العمل المضني حتى أجد المنزل في صورة تذكرني بصور الدعاية للأثاث ، فكل شيء مرتب ، وكل قطعة تقف بأناقة في مكـانهـا المخصص ، فأشعر أنني إذا شئت احترام كل هذه الأناقة ، وهذا الترتيب ، علي أن أخرج من المنزل ، إلى أي مكـان آخـر ، أمـارس فيه صخبي المكبـوت ، وحـريتي المـقـيدة خلف المـكـاتـب والمعـامـلات والأنـاقـة المفتعلة والابتسامة المصطنعة .

إلا أنني أعترف أن شيطان الفوضى يسيطر عليّ في تلك الـلحـظة ، فلا أسـتـطيع المقـاومـة ، وعنـد ذلـك تبدأ مشكلة كل يوم التي أعتقد أنها إن انتهت فإن تغيراً جوهرياً قد طرأ عليّ . وهذا أمر بعيد الاحتمال . □





عندما يكون الولد سر أمه لا أبيه

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

« الدجاجة أو البيضة أيهما الأصل ؟ »
قضية قديمة عقيمة ، لم يصل حولها الجدل إلى قرار ، لهذا يضرب بها المثل في كل نقاش يطول ، أو جدل يدور لاطائل منه ، ولن ينتهي إلى حسم .

غير أن قضية الدجاجة والبيضة هذه قد أصبحت نمطا من أنماط التفكير عند بعض الأقوام ، ربما كان أبرزها ذلك الجدل الذي ثار في قديم الزمان حول الرجل والمرأة ، أيهما هو الأصل في الوجود ؟

الغريب في أمر هذه القضية أن الغلبة كانت من نصيب الرجل ، ولعل هذا هو الذي أعطاه حق التفوق والتسلط ردحا من الزمان ، حين تصوروا أن الرجل هو الذي يضع بذور الحياة ، يزرعها في تربة المرأة التي تقوم بدور الأرض ، وهكذا تنمو شجرة الحياة وتثمر أجيالا متعاقبة ، لابل قد ذهب الخيال بهؤلاء الأقدمين إلى أن صوّر لهم خيالهم أن بذور الحياة الأولى تتخلق في النخاع الشوكي داخل العمود الفقري للرجل ، حيث كل بذرة منها ما هي إلا إنسان صغير متناه في الصغر ، دقيق الهيئة ، يزرعه الرجل في رحم المرأة التي تقوم على تغذيته وترويته لينمو ويكبر مع الأيام ، حتى يحين يوم ولادته .

هكذا وجد الإنسان حلا لقضيته على الرغم من فشله في حل قضية الدجاجة والبيضة الأزلية .

نعم ، لقد وجد حلا ، ربما يرضيه ، ولكنه لم يرض الحقيقة العلمية التي قدمتها لنا المجاهر والاختبارات العلمية الحديثة .

أما القضية الأخرى التي احتار في أمرها الإنسان في ما مضى من الزمان ، وقد ذهبت الأقوام في أمرها مذاهب شتى ، وأفتى في حلها من شاء له الهوى أن يفتي ، فهي قضية الذكر والأنثى ، ولعل الإغريق القدامى كانوا أول من ذهب بهم تصورهم إلى أن للمرأة رحمين ، الأيمن منهما يختص بحمل الذكور ، والأيسر يختص بحمل الإناث ، وحيث يكون نصيب بذرة الرجل من الرحمين يكون جنس المولود .

ولم يخرج عن إجماع آراء هؤلاء الإغريق سوى عميدهم الطبيب أبقراط الذي أعلن أن خصية الرجل هي سر الجنس ، وليس رحم المرأة ، لأن خصية الرجل اليمنى هي التي تنتج الذكور ، وأما الخصية اليسرى فتنتج إناثا .

هكذا ثار الجدل ، واحتدم النقاش ، حول سر الذكورة والأنوثة في سالف الزمان ، إلى أن حسمه اكتشاف سر الوراثة الذي تبلور فيها اكتشف عام

١٩٥٦ من وجود الكروموزومات أو الصبغيات في الخلية الحية .

الكـــرومـــوزومـــات

مع مطلع القرن العشرين بدأت براعم علم الوراثة التي زرع بذرتها العالم الراهب مندل ، وصحبه ، تتفتح ، وما أن حل عام ١٩٥٦ حتى تمكن العلماء من انتزاع قناع الخلية الحية ، فإذا بهم أمام سر الوراثة الذي يتمثل في تراكيب خيطية الشكل ، داخل نواة الخلية ، ذات أعداد محددة لكل نوع وجنس ، أطلقوا عليها اسم الكروموزومات ، وعربوها فسموها بالصبغيات ، وهي تحمل على متنها خصائص الوراثة وهي ما عرف باسم الجينات أو المورثات .

وعددها في مطلع تجاربهم وأبحاثهم (٤٨) صبغية ، في كل خلية من خلايا جسم الإنسان ، ثم تبين لهم خطأهم فيما بعد ، حين اكتشفوا أنها (٤٦) فقط ، وليست (٤٨) ، كما توهموا في بادىء أمرهم .

وهذه الكروموزمات أو الصبغيات الست والأربعون وجدوا منها (٤٤) صبغية تنتظم في أزواج متشابهة الشكل والطول والصفة . قالوا عنها : إنها تحمل الصفات الوراثية المشتركة من الأم ومن الأب معا ، أما الصبغيتان الباقيتان فهما مختلفتان طولا ووضعا وصفة ، كما تختلفان في ما تحملان من مورثات ، لهذا سموا الصبغة الأولى (X) (اكس) كما سمو الصبغة الثانية لها Y (واى) ،نسبة الى شبههما بالحرفين X و Y (واي) من حروف الأبجدية الانجليزية .



لقد وجدوا أيضا أن الصبغية (X) (اكس) أكبر حجما ووزنا ، كما أنها تحمل من المورثات عددا أكبر مما تحمل Y (واي) .

وهنا تكمن بداية السر في قضية الجنس من ذكر ومن أنثى ، وقد وجدوا أن خلية الذكر - كل خلية فيه - تحمل من هذه الصبغيات واحدة من نوع X (اكس) ، وأخرى من نوع Y (واي) . بينما تحمل كل خلية في جسم الأنثى صبغتين متشابهتين من نوع X (اكس) .

ولما كانت المورثات التي تحملها الصبغيات على متنها هي سر صفات المخلوق ، فإن اختلال إحداها أو شذوذه سوف يؤدي إلى ولادة طفل معتل أو شاذ ، وهذه هي الأمراض الوراثية ، وهذا هو سرها .

غير أنهم وجدوا أيضا أن عامل الوراثة يكون على إحدى درجتين ، فهو إما أن يكون صفة قوية ، أطلقوا عليها اسم الغالبة ، أو يكون صفة ضعيفة ، سموها الصفة المتنحية .

ولو التقت صفة غالبة من أحد الوالدين صدفة مع صفة متنحية من الآخر ، فإن التفوق يكون للصفة الغالبة في جسم الابن المشترك ، لكن الصفة المتنحية إذا لم تجد ما يغلبها أو يعادلها فإنها تحكم المولود ، وتظهر عليه ، ويتميز بها .

وهنا يكمن سر من الأسرار التي حار العلماء في تعليلها ، لأنه قد تكون مورثة ذات صفة متنحية ، تعتلي متن صبغية (كروموزوم X اكس) ، ووجود مورثة سليمة على متن الصبغية الأخرى X (اكس) عند الأنثى سوف يخفيها ويكبتها لكنها لو كانت في خلية الذكر فإن صبغة كروموزوم Y (واي) المقابلة لصبغية X (اكس) لاتتغلب على قرينتها ، لأن كروموزوم (صبغية) Y (واي) خال من مورثة مقابلة للمورثة

المعتلة ، وبهذا تجد المورثة المريضة المتنحية فرصتها في الظهور .

وهذا ما أطلق عليه الأطباء اسم الأمراض المرتبطة بالجنس .

وهي مجموعة من الأمراض يعاني منها الذكور فقط ، ولاتعاني منها الاناث إلا فيما ندر ، كما أنها أمراض تنقلها الإناث إلى مواليدهن الذكور ، بينما لاينقلها الذكر إلى أولاده .

لقد حيرت هذه الأمراض كل المشتغلين في أمر الطبابة ردحا طويلا من الزمن ، ولم يعرفوا لها سرا ، لهذا قامت الشعوذات لحلها وغلفت قصصها بالأساطير ، ولعل أشهرها ماكان من أمر ظهور الدجال المشعوذ المعروف في روسيا القيصرية باسم الراهب « راسبوتين » الذي ادعى قدرته على شفاء ولي عهد القيصرية « الكسي » من مرضه الذي كان يعاني منه ، ، وهو أحد هذه الأمراض ، ويعرف بأم النزاف أو الهيموفيليا .

في مبدأ الأمر عرف الطب سر عدد محدود من هذه الأمراض ، قد لايتعدى عدد أصابع اليد الواحدة ، ثم توالت الاكتشافات الطبية ، فإذا بالعدد يتجاوز العشرات ، مما لايتسع المجال لحصره وتعداده في هذه العجالة ، لهذا نأتي على ذكر نماذج من هذه الأمراض ، ربما كانت الأشهر والأكثر شيوعا .

مرض الهيموفيليا :

يعرف هذا المرض بالعربية باسم النزاف أو الناعورة ، وربما أطلقوا عليه اسم المرض الملكي ، لأنه شاع بين أفراد الأسر الحاكمة في أوربا، خلال القرن التاسع عشر، فأصاب كثيرا من أمرائها وملوكها ، ممن ارتبطت سلالاتهم بأواصر القربى بملكة بريطانيا فكتوريا التي كانت حاملة لهذا المرض فنقلته الى أولادها وإلى أحفادها ، عبر بناتها . ولعل أشهر ضحاياه كان ابن الملكة نفسها ، الأمير ليوبولد وكان من ضحاياه أيضا ولي عهد العرش الأسباني .

ومرض الهيموفيليا يشكل قصة حزينة عند ضحاياه الذين ينزفون دون توقف ، ودون قدرة على تجلط دمائهم ، وسببه نقص مورث لأحد عوامل تخثر الدم ، وقد حددوه باسم العامل الثامن . تمكن توفيره في وقتنا هذا ليحقن به المصاب المريض فلا يموت من النزيف .

عمى الألوان :

ربما كان اسم مرض عمى الألوان شائعا ومعروفا ومألوفا ، غير أن كثيرين قد يدهشون لو علموا أنه مقصور على الذكور دون الإناث ، لأنه من مجموعة الأمراض المرتبطة بالجنس ، إذ يرث المولود نقصا في الأقماع المتخصصة برؤية الألوان ، وبخاصة اللون الأحمر منها ، إذ تتميز شبكة العين السليمة بوجود ثلاثة أشكال من الخلايا المتخصصة بالألوان ، تعرف باسم الأقماع ، قد يغيب منها نوع أو أكثر في شبكية الانسان المصاب ، وهذه علة قد تنقلها له أمه ، دون أن تعاني هي منها .

مرض الفولية :

هكذا سموه ، لعجز في الطفل ينصب على التمثيل الغذائي لأحد العناصر الموجودة في الفول ، أو ربما أيضا في مواد أخرى مثل الأسبرين وأقراص الكينا ، بسبب غياب الخميرة المختصة المعروفة باسم (ج٦ ف د) ، فيصاب المريض بتكسر في كرات دمه الحمراء ، ويعاني من فقر الدم الشديد . □

* الزوج الأصم ، والزوجة العمياء ، هما أسعد الأزواج !
(مثل دانمركي)





بعد المعركة

لم أكن قد التقيت صديقي القديم منذ سنين طويلة وبطبيعتي الحذرة ، ذهبت لزيارته ، دون أن أهجس بفرحة لقاء صديق عزيز فارقته سنين عديدة ، فقد كانت فرحتي مشوبة ببعض الخوف مما قد أجده من تغير في ذلك الصديق القديم ، فالحياة التي عشتها لم تعلمني التفاؤل بغير حساب ، ولم تمنحني فرصة الاستسلام للأوهام الجميلة

ولأن الفراق غير القطيعة فإني بقيت أتابع عن بعد أخبار صديقي الذي عرفته أيام بؤس وقسوة وتشرد ، جعلته يدخل معركة مفتوحة مع الحياة ، لم يكن يملك شيئا يخسره ، لذا فقد كان مجرد عدم الخسارة بالنسبة له مكسبا ، يقيه من الانهيار ، ويعينه على مواصلة المعركة مع هذا الخصم غير المرئي ، فتمكن من الصمود والبقاء ، ثم أفلح بالفوز بحياة مريحة

واحدة من قصص العصامية التي نشاهدها تنسج من حولنا ، لا جديد فيها سوى أن هذا العصامي هو صديقي القديم .

استقبلني على باب منزله الكبير دون فخامة ، ثم بداخله الفسيح دون ترف ، وبدأنا حديثا كان لا بد أن يمر بالماضي الذي يمثل الموضوع المشترك بيننا . تحدث بلا حماس عن تلك الأيام التي ولت بغير رجعة وبالوتيرة نفسها انتقل يتحدث عن حاضره ، بصيغة تدل على قناعة تامة وسلام مطلق ولم يكن في ذلك ما يضير

لكنني وأنا أتأمل تلك الدعة وذلك الرضا في عيني صديقي شعرت أن هناك شيئا مفقودا فأنا لم أجد تلك الحيوية التي كانت سمته المميزة،وذلك النشاط الدائب الذي لا يتوقف وخفتت نبرة صوته التي عرفتها سريعة متحفزة ، ومكان التعليقات السريعة النافذة حلت الأفكار التقليدية عن الحياة والناس .

حين افترقنا شعرت أنني فقدت صديقي القديم . لقد أدى واجب الصداقة من كرم ومجاملة وحسن ضيافة على أكمل وجه ، ولم تنقطع من حديثه طوال اللقاء كلمات الود والاحترام ، لكنني مع ذلك لم أجد صديقي القديم .

لقد انتهت معركته مع الحياة ، وفاز بالراحة والسلام وتحول إلى انسان جديد ، لكنني خسرت صديقي القديم . □

صلاح حزين

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

صفحة لغة

العربية ووسائل الإعلام

هل هناك لغة مميزة أو أسلوب مميز للصحافة وأجهزة الإعلام ؟ اللغة واحدة في حقيقة الأمر ، ولكن لكل قطاع من قطاعات الحياة مفردات يكثر تداولها دون غيرها ، تكاد تكون الرموز الاصطلاحية لهذا القطاع دون غيره . من هنا نجيز لأنفسنا القول بأن هناك لغة أو مفردات لغوية تخص الصحافة وأجهزة الإعلام ، ونعني بها تلك المفردات التي يكثر تداولها في نقل الأخبار ، ووصف الأحداث السياسية والعسكرية ، وصياغة البنود والاتفاقيات ، بل إن الصحافة وأجهزة الإعلام لم تعد تترك مجالاً لا تخوض فيه . وقد يكون ما يظهر في الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام مكتوبا بأقلام محلية أو مترجما عن لغات أجنبية ، وفي كلا الحالين تشيع أخطاء ما كان ينبغي لها أن توجد . وقد تنبه الزميل الدكتور كامل ولويل - بحكم اشتغاله في واحدة من وسائل الإعلام - إلى مثل هذه الأخطاء ، ورصدها في كتابه الذي صدر حديثا بعنوان «اللغة العربية في وسائل الإعلام» .

يضع المؤلف الترجمة في مقدمة الأسباب التي تعمل على إشاعة الخطأ إذا قام بها من يترجم ترجمة حرفية . فمن الكلمات التي تتداولها أجهزة الإعلام كلمة Cover الانجليزية ، فيضع لها المترجم الكلمة التي يحددها القاموس ، وهي : «يغطي» ، فهل يفيد هذا الفعل في العربية معنى نقل الخبر ، كأن تقول : «قام مراسل جريدة الشعب «بتغطية» أنباء القتال الدائر في بيروت بين فئات متنازعة»؟ ،الغطاء والتغطية ليس لهما علاقة بالأخبار ، ومعاجم اللغة تضع أفعالاً غير هذه الأفعال لدلالة نقل الخبر فتقول : نَقَلَ الخبر ، أو أبلغه ، أو أوصله ، أو سرده .

ومن الكلمات التي يساء استخدام ترجمتها كلمة : reach بمعنى : يصل ، فإن أجهزة الإعلام ، على اختلافها ، تقول في نقل خبر إحدى الشخصيات الرسمية : «وصل الكويت مساء أمس وزير الاقتصاد في دولة (. . . . .)» ، وهذا الاستعمال خاطىء ، لأن الفعل «وصل» بالانجليزية متعدٍ ، أي يحتاج إلى مفعول به ، ولكنه في العربية لازم لايتعدى ، فهو لذلك ليس بحاجة إلى مفعول ، بل إلى حرف الجر (إلى) ، فتقول ؛ وصل إلى الكويت مساء أمس . .

ومن تلك الكلمات كلمة : Via بمعنى : عَبْرَ ، يقولون : «عبر أجهزة الاتصال» ، والأكثر صوابا من ذلك أن نقول : «بأجهزة الاتصال أو بواسطة الاتصال» . ومنها أيضا كلمة : «طبقا» المترجمة عن كلمة : according ، فهي ترد في أمثلة كثيرة في الصحافة والإذاعتين المسموعة والمرئية ، من ذلك مثلا قولهم : سيتم نقل

الأسرى يوم الأحد طبقا لوكالات الأنباء ، وسيعقد الاجتماع طبقا لمسئولين بريطانيين غدا . يعقب الدكتور ولويل على هذين المثالين بقوله : اللغة العربية لا ترضى باستعمال (طبقا) في مثل هذين الموضعين ، وإنما تتطلب استعمال الكلمة الصحيحة لهذا الوضع ، وهي : (وفقا) ، أو كلمة (وفاقاً) ، أو (على وفق) ، هذا إذا أردنا التمسك بحرفية الترجمة ، ولكنك تستطيع أن تذكر عدة جمل تؤدّي المعنى بصورة سهلة واضحة ، فتقول : ذكرت وكالات الأنباء أن الأسرى سينقلون يوم الأحد القادم ، أو سيتم نقل الأسرى يوم الأحد القادم وفقاً لما ذكرته وكالات الأنباء . . . وكذلك تقول : ذكر مسئولون بريطانيون أن الاجتماع سيعقد غداً .

ثم تأتي أخطاء النحو بعد أخطاء الترجمة ، ولا يتسع المجال إلا لذكر بعض منها. فبعضهم يقول : لا زالت الاجتماعات منعقدة في مجلس العموم ، ويقول : لا زالت الجهود تبذل لإصلاح الوضع . . وهذا استعمال خاطيء لكلمة (لازال) ، فهي تفيد الدعاء لا الاستمرار . يصح أن يقال : لازالت الديار قوية عزيزة بأهلها ، فهو دعاء للديار بدوام القوة والعز ، أما ما يفيد الاستمرار فهو (مازال) ، كأن تقول : مازال الجو مغبراً ، ومازال المجلس منعقداً . وكثيراً ما يختلط الأمر على العاملين في وسائل الإعلام ، فيأخذون بالاستعمال الأول للدلالة على الثاني .

أما كلمة : (حيث) التي يقع لبس في فهم معناها ووظيفتها ، فهي ظرف يضاف إلى جملة مكانية . تقول : أجلس حيث أجد الراحة . لابد أن نقاتل عدونا حيث نجده . ولكن بعضهم يتخذ من (حيث) أداة ربط بين الجمل ، فيقول : اجتمع الوفدان لمناقشة القضية حيث عرضا وجهتي نظرهما ، والخطأ في هذا الاستعمال هو أن الجملة التي تلي حيث لا تدل على المكان ، والأفضل أن تضع بدلا منها أحد حروف العطف مثل : ثم ، قد ، و . .

وهناك تركيب (مِنْ قِبَلْ) الذي يدخل الجمل دون استئذان ، على الرغم من خطئه فيقولون : دونت الملاحظات من قِبَل اللجنة . هل في استعمال (مِنْ قِبَل) أي ضرورة في هذا السياق ؟ ألا يمكن القول : دونت اللجنة الملاحظات .

أما عن الخلط بين حرفي الجر (إلى) و (ل) فهو كثير ، فلكل منهما معنى واستعمال ، أما المعنى فهو : أن (إلى) تعني انتهاء الغاية ، في حين تستعمل اللام للدلالة على الملكية والتخصيص ، ويتحدد استعمال كل منهما تبعا للمعنى الذي تدل عليه . تقول مثلا : سلمت الملف كاملا إلى العضو المنتدب ، وهذا خطأ وصوابه : سلمت الملف كاملاً للعضو المنتدب ، والسبب أن الملف سيوصع تحت تصرفه ، كأنه ملك من أملاكه ، ولم يكن الغرض سفر الملف من مكان كذا ابتداء إلى مكان كذا انتهاء .

وتقول : سافرت صباح الخميس الماضي للقاهرة ، وهذا خطأ أيضا والصواب قولك : سافرت صباح الخميس الماضي إلى القاهرة ، لأن حرف الجر (إلى) في هذه الجملة يحدد انتهاء غايتك من السفر . □

حسن التفرس

● قال أبو سعيد الخراز : رأيت في الحرم رجلا فقيرا ، ليس عليه إلا ما يستر عورته ، فأنفت نفسي منه ، فتفرّس فيّ ، وقال : « واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » ، فندمت على ذلك ، واستغفرت في نفسي فقال : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ .

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

المقصورة

للشاعر محمد مهدي الجواهري

ولد الجواهري في عام ١٩٠٠ على الأرجح ، وإن لم تتفق مصادر كثيرة على تاريخ محدد لولادته ، بل ويساعد الشاعر نفسه على التعمية عن ذلك التاريخ ، فيذكر أرقاما مختلفة ، فهو الآن في التسعين من عمره . وكانت ولادته في النجف ، وهي مدينة نبغ فيها كثير من الشعراء والأدباء ، ولا غرابة في ذلك ، فهي بيئة دينية أدبية معا .

صدر له في عام ١٩٢٨ أول ديوان شعر ، وهو يحمل عنوان : «ديوان بين الشعور والعاطفة»

أصدر ديوانه الثاني «ديوان الجواهري» في عام ١٩٣٥م ، وفي أواخر عام ١٩٣٦م أصدر جريدة «الانقلاب» بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي ، لكن حكومة الانقلاب أوقفت الجريدة ، وزجته في السجن . بعد سقوط الانقلاب عادت جريدته لتحمل اسم : «الرأي العام» ، وأصدر جرائد أخرى كالثبات ، والدستور ، والأوقات البغدادية ، وغيرها ، وكثر اصطدامه بالسلطة ، وقد دأب على مغادرة العراق والعودة إليه كلما سمحت له الظروف بذلك . حضر عدداً غير قليل من مؤتمرات الشعر والأدب ، وكانت تربطه بالدكتور طه حسين علاقة ودية ، فقد دعاه لزيارة مصر أكثر من مرة .

أما قصيدته التي اخترنا عدداً من أبياتها فهي «المقصورة» ، وهي من عيون شعره ، نظمت عام ١٩٤٧ ، ونشرت أجزاء منها في معظم الصحف العراقية ، ونشرت كاملة في جريدة «الرأي العام» سنة ١٩٤٨م . يقال : إنها في الأصل تتألف من حوالي ٤٠٠ بيت ، لكن عدداً غير قليل من أبياتها فُقد . وفي الأبيات التالية - كما في غيرها - تتجلى شاعرية الجواهري الفذة ، تبدو اللغة طوع بنانه ، يختار من فصيحها وجزلها وعذبها ما شاء له الاختيار . والأبيات مثقلة بالعاطفة الصادقة وحب الوطن ، يتبدّى ذلك من السلام الذي يلقي به على كل مظهر من مظاهر الطبيعة ، وقد بدت لعينيه عرائس من فتون وتغنٍ .

سَلامٌ عَلَى هَضَبَاتِ العِراق ... وَشَطّيْهِ والجُرْفِ والمُنْحَنَى
عَلَى النّخْلِ ذِي السّعَفات الطِّوَالِ ... عَلَى سَيّدِ الشّجَرِ المُقْتَنَى
عَلَى الرُّطَبِ الغَضِّ إذ يُجْتَلَى ... كَوَشْيِ العَرُوسِ وَإذْ يُجْتَنَى [1]
بِإيسارِهِ يَوْمَ أَعْذَاقُهُ ... تَرِفُ ، وبالعُسْرِ عِنْدَ القِنَى [2]

وبـالسّغـفِ والكَـرَبِ المُسْتَجِـ... ... ـدِّ ثوبـاً «مرّاً» وثَوْبـاً نَضَا
وَدِجْـلَـةَ إذْ فَـارَ آذِيُّهـا كمَـا حُـتِمَّ ذُو حَـرَدٍ فَـاغْتَـلى[3]
وَدِجْلَةَ تمْـشِـي عَـلَى هَـوْنِها وتَمْشِـي رُخاءً عَلَيْـهـا الصَّبَا[4]
وَدِجْـلَـةَ زَهْـوِ الصبـايـا المِلَاحِ تَخُوّضُ مِنْهـا بمـاءِ صَـرَى[5]
تُـرِيكَ العِـراقيَّ في الحَالَتَيْـ ـنِ يُسْرِفُ في شُحِّهِ والنَّدَى
سَلَامٌ عَـلَى قَـمَرٍ فَـوْقَـهـا عَلَيْـهـا هَـفَـا وإلَيْـهـا رَنَـا[6]
تُـدَغْـدِغُ أضْـوَاؤُهُ صَـدْرَهـا وتَمْـسَـحُ طَيَّـاتِهـا والثِّـنَى[7]
كـأنّ يَـداً طَـرَّزَتْ فَـوْقَـهـا مِـنَ الحُسْـنِ مَـوْشِيـةً تُجْـتَـلَى[8]
رُوَاءُ النَّـمِـيرِ لَهَـا لُحْـمَـةٌ وَذَوْبُ الشُّـعاعِ عَـلَيْـهـا سَـدَى
وَنَـجْـمٌ تَـغَـوَّرَ مِنْ حُـبِّـهـا وَنَـجْـمٌ عَـلَيْـهـا ادَّنَى فَـادَّلَى
عَـلَى الجِسْرِ مـاانْفَكَّ مِنَ جَـانِبَيْـهِ يُتِيـحُ الهَـوَى مِنْ عُيُـونِ المَهـا[9]
فَـيَـا لَيْـتَـهُـنَّ الـذي يَـغْـتَـدِي ويـالَيْـتَـكَ الرّجلُ المُـغْـتَـدى
وَيـا لَيْـتُ بَسلْوَاكَ قُبُّ الصُّـدورِ ولُـعْسُ الشّـفـاهِ وَبِيضُ الطُّلَى[10]
وَيـا لَـيْـتَ أنَّـكَ لا تَـشْـتَـكِي ظَمـاءَكَ إلا لِهَـذا اللَّـمَـى
وَلَـيْـتَ بِـهِـن وَلا غَـيْـرِهِـنَّ تَـنَـقُّـلُ في غَـضَـبٍ أوْ رِضَـا
بِهِـنَّ وَلاَ بِـغِـلاظِ الـرِّقـابِ قِـبـاحِ الـوُجُـوهِ خِبَـاثِ الكُشَى
سَـجَـا الـلّيـلُ إلا حَمَـامـاً أجَـدَّ هَـدِيـلاً وتَـرْجِيـعَ كَلْبٍ عَـوَى[11]
وَجُـنْـدُبـةً طـارَحَتْ جُـنْـدُبـاً وَبُـومـاً زَقَـا وَسَـحِيـلاً ثَـغَـا[12]
وَدِيـكـاً يُـؤَذِّنُ في جَمْـعِـهِـمْ بِـأنْ قَـدْ مَضَى الـلّيْـلُ إلا إنَى[13]
وَدَوِّي قِـطـارٌ فَـرَدَّ الحَـيَـا ةَ عَـفْـواً إلى عـالَمٍ يُـبْـتَـغَى
وَمَـا بَـرِحَ الـقَـمَـرُ المُـسْـتَـدِيـ ـرُ يَسْبَـحُ في فَلَكٍ مِنْ سَـنَا
تَـلُـوذُ الـنُّـجُـومُ بِـأذْيـالِـهِ هَـفَـتْ إذْ هَـفَـا وَدَنَـتْ إذْ دَنـا
إلـى أنْ تَـنَـضَـوَّرَ غُـولُ الـصَّـبَـاحِ وَدَبَّ الهُـزالُ بِـهِ فَـانْـضَـوَى

---

(١) جلا الفضة : صقلها ولمعها ، وجلوة العروس . تحسينها وتجميلها . (٢) أي سلام عليه في حالة ايساره باعذاقه الرافة وفي حالة اعساره إذ قنواته متعثلكة يابسة . (٣) آذى البحر أو النهر : ماؤه الكثير «المواضع العميقة» . ذو حرد : صاحب ثأر . يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثأر يغلي غضباً . (٤) الصبا : ريح الصبا . (٥) ماء صرى : وشل بقية الماء . (٦) يسلم على القمر وهو يرنو إلى دجلة . (٧) الثنى بالكسر : جمع ثنية وهي الطية (٨) ريح الصبا تحدث أمواجاً صغيرة ، والقمر يرسل بضوئه الجميل فيحدث منظراً رائعاً ، كأن يداً طرزته . (٩) يشير بهذا إلى بيت علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

(١٠) قب الصدور : مرتفعات الصدور . والواحدة قباء ، وأقب للمذكر . لعس الشفاه : حمرة الشفاة المائلة إلى السمرة . والطلى : الرقاب ، والواحدة طلية . (١١) سجا الليل : خيم وهدأ . (١٢) الجندب : الصرصر . وسحيل : الثعلب . (١٣) اني : بقية قليلة .



قصة من تأليف : بولسواف بروس[١]
ترجمها عن البولندية :
الدكتور محمد هناء متولي[٢]

مساء كالعادة حضر إليّ رفيق الدراسة ، كنا نسكن معا في القرية ، يبعد بيت كل منا عن الآخر بضعة كيلومترات . كنا نتقابل يوميا على وجه التقريب . كان شابا أشقر أنيقا ، لعينيه الساحرتين المريحتين جاذبية ، يمكن أن تسحر قلب كل امرأة ، أما ما كان يجذبني إليه فهو هدوؤه الساكن ، وتفكيره الواعي المتريث .

في هذا اليوم لاحظت أن شيئا ما يثير نفسه ، ينظر إلى الأرض ، وفي إيقاع ساخن يربت بسوط حصانه على ركبتيه في دقات رتيبة . لم أعط لنفسي الحق في أن أسأله عن سبب هذا المشكل الذي وقع فيه ، لكنه بدأ يحدثني :

قال : أتعرف أنه قد حدثت لي اليوم حادثة غريبة ؟

شعرت بالدهشة ، فقد كان شيئا من رابع المستحيلات أن يستثير رجلا مثله أي حادث ، حتى لو كان مجرد حادث غبي ، أو يفقده صوابه على هذا النحو الذي أراه فيه .

استطرد قائلا : في قريتنا شب حريق ، احترقت دار من دور القرية .

قاطعته قاصداً لأوقف ذلك الطابع الساخر الحزين الذي انطبع به صوته : ربما تكون قد قفزت الى النار .

حرك كتفيه ، وأظن أنه قد احمر وجهه قليلاً ، ربما يكون السبب في هذا أشعة الشمس المتساقطة على وجهه وقال :

احترقت أكوام القش التي تغطي سقف الدار .

واستمر في حديثه بعد لحظة صمت : وبعد دقائق احترق السقف بكامله ، كنت آنئذ أقرأ فصلا شيقا للكاتب « ساي » بينما ظهرت سحب الدخان الأسود ومن ورائها رذاذ النار المتناثرة ، تستطير من ثقوب المدخنة . سيطر الشوق على نفسي لمعرفة ما يحدث ، خرجت إلى مكان الحريق في الحال ، كان الناس يبذلون جهدهم من أجل إطفاء الحريق ، قابلت عدة أشخاص منهم : امرأتان تقومان بالعويل على الشقاء الذي حل ، أما زوجة عازف « أرغن » الكنيسة ، فكانت

١ - المؤلف في سطور :

بولسواف بروس BOLESŁAW PRUS (١٨٤٧ - ١٩١٢) . اسمه الحقيقي « الكسندر جوافتسكي » ، روائي وكاتب قصة قصيرة ، لعب دوراً مهما في تحديث الرواية البولندية في بداية القرن العشرين . إنه مبدع تيار الواقعية النقدية الأقرب إلى الإتجاه التفعي في الأدب البولندي المعاصر . من أهم أعماله الروائية : « الأوتاد » ، و « المتسيدات » ، و « الدمى » ، وروايته التاريخية السياسية « فرعون » .

٢ - كاتب من جمهورية مصر العربية .

تمسك في قبضتي يديها بقوة لوحة القديس فلوريان* تواجه بها النيران المشتعلة ، لكي يساعدهم ببركته على إطفائها على الفور . بينما شاهدت فلاحاً آخر كان ينظر طويلاً إلى الذي يحدث امامه ، وفي يده دلو فارغ من الماء . سمعت من الفلاحين أن ابواب الدار موصدة بإحكام ، فصاحبها وزوجته قد ذهبا إلى الحقل .

بعد بضعة دقائق أصبح السقف أنقاضا ، أما الدخان فقد ملأ عيون الحاضرين ، والنيران بدأت بسرعة في تقلية الطقس من حولنا ، ولخوفي من أن يحترق « الحاكيت » انسحبت عدة خطوات إلى الوراء . هرول الناس أكثر فأكثر وبأيديهم هراواتهم ومعاولهم . بعضهم يقلب سور الدار الخشبي الذي لم يزعج أحداً رأسا على عقب ، ولم يتسبب في تزايد الاشتعال ، أما بعضهم الآخر فيسكب المياه من الدلاء بطريقة لا تلمس النيران ولا تقترب منها ، بل تغرق المتجمهرين بها ، ناهيك عن أنهم تسببوا في وقوع امرأة فوق الأرض . لم أفصح عن ما بداخلي ، ولم أسر بملاحظاتي معلقا على الذي يدور حولي ، مرتئيا أنه ما دام الحريق لم يصل إلى الجانب الآخر من البناء فكل شيء على ما يرام ، أما الدار فلم يكن ثمة ما يمنع احتراقها . صرخ فجأة شخص ما : « هناك في الداخل طفل ، إنه « ستاشيك » الصغير » . سأل شخص صارخا : « أين ؟ » ورد عليه : « في داخل الدار ، ينام تحت النافذة في سريره الخشبي ، فليكسر واحد منكم زجاج النافذة ويأخذه حيا . . »

ومع ذلك لم يتحرك أحد ، وغرقت أكوام القش فوق السقف في النيران ، أما الحواجز الخشبية المحيطة بهذه الأكوام ، فقد أغلقت وتكسرت كما تتلوى الأسلاك المعدنية عندما تحترق .

اعترف لك حينما سمعت ذلك ، اهتز قلبي بشدة .



« إذن لن يذهب أحد لإنقاذه ؟ سأذهب أنا لإنقاذ الطفل ، تكفي دقائق ثلاث ، وربما أقل .
وفكرت قليلا متريثا : ولكن هناك حرارة كالجحيم . »

صاحت النسوة : فليتحرك واحد منكم يا ناس.وصرخت امرأة : أنتم يا أولاد السفاح ، أنتم لا تستحقون أن يطلق عليكم اسم رجال !

« فلتطيري أنت بمفردك الى النيران » . غمغم واحد من الجمع الغفير : « أنت أيتها الحكيمة العاقلة ، هناك الموت ، والطفل ضعيف كالفرخ ، من المؤكد أنه لن يعيش . »

فكرت في أعماق نفسي : شيء غريب ، لا يذهب أحد ، أما أنا فها أنا أزال أتردد . بداخلي الرؤية المنطقية للتفكير في الأمور : ما الذي يدعني إلى مغامرة لا أمان فيها ؟ وهل أعرف أنا أين يوجد هذا الطفل على وجه التحديد ؟

صرخت امرأة من بعيد صرخة عالية ملتاعة : انقذوا الطفل !

صاح واحد من الناس المستغربين غير المصدقين : أمسكوها ، ستقفز إلى النيران .

---

* القديس فلوريان في تراث الدين المسيحي يمثل المدافع عن الأكواخ والبيوت في مواجهة النيران

سمعت خلفي أصوات مشادة والصراخ نفسه : « اتركوني ! . . إنه طفلي ! » أجاب أحد الحاضرين : امسكها من وسطها حتى لا تفلت منك !

لم أستطع احتمال ما يحدث ، وتحركت إلى الأمام ، أحاطت بي النيران ، طوقني الدخان ، تكسر السقف ، ومن مدخنة الدار هرولت الأحجار النيرانية ، شعرت بأن شعر رأسي يحترق ، وانسحبت إلى مكاني ثانية غاضبا :

فكرت : يا لها من « رومانتيكية » متميعة ، من أجل حفنة من الرماد البشري ، أجعل نفسي خيال مآته ؟ ! يقينا سيقول الناس : إنني بثمن بخس أردت أن أصبح بطلاً !

دفعتني إلى الخلف فتاة شابة ، هرولت إلى داخل الدار التي تحترق . سمعت رنين زجاج ينكسر ، وحين جمعت ريح شتات سحب الدخان شاهدت الفتاة تنحني مائلة من خلال النافذة داخل الدار حتى أنني شاهدت قدميها غير المغسولتين .

صحت بها : « ما الذي تفعلينه يا مجنونة ؟ ! في الداخل جثة وليس طفل حيّ ! »

صاح عليها الجمع الغفير : « يا جُنا ، ارجعي ، عودي ! » ودون توقع سقط السقف لتنطلق الرذاذات النيرانية إلى السماء ، لقد تلاشت الفتاة في الدخان ، أما أنا فقد طفرت الدموع من عيني .

صاح على الفتاة عويل الجمع الغفير :

يا جُنا .

ـ انتظروا ، انتظروا .

أجابتهم الفتاة التي هرولت إلى ناحيتي من جديد .

في جهد كبير أسرعت الفتاة بالخروج من الدار المحترقة مع الطفل الذي تحمله بين يديها ، حيث كان يصرخ عندما استيقظ من نومه صراخا أقرب إلى العويل منه إلى البكاء .

سألت صديقي الراوي : إذن كان الطفل حيا ؟ !

ـ في أتم صحة وعافية .

ـ والفتاة ، أهي أمه ، أخته ؟

أجاب : ليست لها أي صلة قرابة به ، إنها غريبة عنه ، ولا علاقة لها بالطفل على الإطلاق ، بل إنها تخدم في دار أخرى ، ولا يتعدى عمرها خمسة عشر عاما .

ـ ولم يحدث لها شيء ؟

ـ أضاف صديقي : احترق منديلها ، وقليل من شعر رأسها ، حينما أتيت إليك شاهدتها ثانية ، كانت تقشر البطاطا ، وتغني بصوت فيه « نشاز » . أردت أن أعبر لها عن تقديري لشجاعتها ، ولكن تبادر إلى ذهني فجأة حبها الصارخ واندفاع مشاعرها ، وعقلي المتريث وحكمتي المتأنية ، أمام هذا الشقاء الذي واجهناه معا ، لقد سيطر الخجل علي لدرجة أنه لم يكن لدي قدر من الشجاعة ، لأن أتكلم معها كلمة واحدة ، لقد أصبحنا على ما نحن عليه .

ظهرت في السماء النجوم ، واشتد عويل الرياح الباردة ، كان يسمع من نهير صغير صوت نقيق ضفادع ، وأصوات طيور مائية تعد نفسها للنوم .

وكالعادة في هذا الوقت : كنا نعد مشاريع ، ونرسم خططا للمستقبل ، في هذا اليوم لم ينبس أي منا ببنت شفة ، وفي المقابل ظننت أن ثمة شجيرات تهمس لنا عندما هزتها الرياح :

ـ إنكم أنتم كما أنتم لمّا تتغيروا بعد ! □

● سأل القاضي سارق المجوهرات وهو ماثل أمام المحكمة : لماذا سرقت الخاتم ؟ فأجاب السارق : سيدي القاضي ، لقد كان محفورا فوقه بحروف كبيرة : اغتنموا الفرصة البديعة ، فاغتنمتها .



وزارة الإعـــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى

الإعلام الخارجي ـ قسم التوريع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه ☐ شيكا
☐ حوالة مصرفية بمبلغ

☐ مجلة « العربي » ☐ مجلة « الكويت » ☐ سلسلة « من المسرح العالمي »
☐ مجلة « العربي الصغير » ☐ مجلة « عالم الفكر » ☐ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
☐ كتاب العربي

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :
— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith ☐ cheque ☐ Draft for ....
☐ Al-Arabi Magazine ☐ Al-Arabi Book ☐ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine ☐ Al-Kuwait Magazine ☐ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series ☐ A'alam Al-Fikr Magazine ☐ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										■
٢			■				■			
٣					■					
٤		■				■				
٥			■						■	
٦						■	■			
٧					■					
٨	■			■				■		
٩									■	
١٠										

كلمات أفقية

(١) شاعر وفيلسوف عربي عرف برهين المحبسين .

(٢) حب يصنع منه مشروب شعبي ، من المُكسّرات ، حرف مكرّر .

(٣) خفقان القلب ، « شاوَرَه » معكوسة .

(٤) احتباس المطر ، قَدِما .

(٥) تجدها في « ويل » ، الاسم الأول لأشعر شاعرات العرب .

(٦) أهل ، ثقافة وذوق .

(٧) تَعيس متفرّقة ، يتملكه ميل إلى النوم .

(٨) تجدها في « راض » ، دَفَن ، بئر .

(٩) شاعر أندلسي فحل .

(١٠) فارس جاهلي من شعراء المعلّقات ينقص اسمه الأول حرف .

كلمات عمودية

(١) شاعر من شعراء المجون ، تجدها في راع .

(٢) مخدّر يستخدم للأغراض الطبيّة ، يُقْبِلْن .

(٣) تجدها في ريق ، ساعَدَت .

(٤) شاعر من بني طيّئ اشتهر بوصف الطبيعة والعمران ، زر .

(٥) حرف امتناع لامتناع ، مِطبّ متفرّقة ، عطر .

(٦) امرأة اقترن اسمها باسم شاعر عذري ، نُحضِر .

(٧) أرض مُخضَرّة بأنواع النبات ، جَمْع عرش .

(٨) أمير شاعر عاصر المتنبي وسيف الدولة ، مَثيل .

(٩) فني + حرف ، غير هازِل معكوسة .

(١٠) شاعر أعمى اشتهر بالهجاء الذي أوْرده حتفه .

● حل مسابقة العدد الماضي فبراير ١٩٩٠م

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ز	■	ب	ي	ت	ه	و	ف	ن	■
٢	ر	ك	ر	■	ش	ا	ل	■	خ	ط
٣	ي	■	ا	ب	ا	ل	ا	ش	■	ب
٤	ا	ش	ع	ل	ي	ه	■	و	ف	و
٥	ب	و	م	■	ك	■	ح	ب	ا	ل
٦	■	ب	■	م	و	ز	ا	ر	ت	■
٧	ب	ا	خ	■	ف	■	و	ت	ر	ي
٨	م	ن	د	ل	س	و	ن	■	ه	م
٩	ر	■	ا	ل	ك	و	ر	س	■	ي
١٠	ك	و	ح	■	ي	■	ه	د	ي	ل



العدد ٣٧٦

مارس ١٩٩٠م

جوائز المسابقة

ارفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٦

تعرضت سان فرانسيسكو لزلزال مدمر في ١٧/ ١٠/ ١٩٨٩ .. ترى كم استغرق هذا الزلزال ؟

× ١٥ ثانية .
× ٣٠ ثانية
× ٤٥ ثانية .

٢

الزلزال الذي تعرضت له سان فرانسيسكو في شهر اكتوبر سنة ١٩٨٩ ، لم يكن الزلزال الأول الذي تعرضت له تلك المدينة ، فقد تعرضت عروس المحيط الهادي إلى زلزال آخر في مطلع القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بالتحديد

ترى أي الزلزالين الأقوى بمقياس ريختر ؟ وأيهما الأكثر ضحايا والأكثر دماراً ؟

× زلزال ١٩٠٦ هو الأقوى والأكثر ضحايا والأكثر دماراً
× زلزال ١٩٠٦ هو الأكثر ضحايا والاكثر دماراً ، ولكن زلزال ١٩٨٩ هو الأقوى بمقياس ريختر
× زلزال ١٩٨٩ هو الأقوى والأكثر ضحايا والأكثر دماراً

٣

يذكر التاريخ ثلاثة زلازل كبرى هي زلزال لشبونة سنة ١٧٥٥ ، وزلزال طوكيو سنة ١٩٢٣ ، وزلزال الصين سنة ١٩٧٦

ويتميز أحد هذه الزلازل بأنه الأقوى بمقياس ريختر ، ويتميز الثاني بأنه الأكثر دماراً ، أما الثالث فيتميز بأنه الأكثر ضحايا المطلوب تحديد ماتميز به كل من الزلازل الثلاثة ؟

اشتهرت سان فرانسيسكو بناطحات السحاب التي قد لاتقل ضخامة ولا ارتفاعا عن نظيراتها في نيويورك

ترى كم عدد ناطحات السحاب التي دمرها زلزال سان فرانسيسكو الأخير اكتوبر ١٩٨٩ ؟

× دمر خمس ناطحات تدميراً كليا و ١٥ ناطحة تدميراً جزئياً .

× دمر عشر ناطحات تدميراً كلياًو ٣٠ ناطحة تدميراً جزئياً .

× لم يدمر أيا من ناطحات السحاب لاجزئياً ولا كلياً .

٥

يتردد ذكر مقياس ريختر في الحديث عن الزلازل ، ولا غرابة في ذلك ، فهو المقياس الذي يحدد قوة الزلزال . وقد سمى بهذا الاسم نسبة إلى مبتكره « شارلز فرنسيس ريختر » عالم الجيولوجيا . . ترى ما جنسية هذا العالم ؟

× أمريكي

× ألماني

× سويدي

٦

لِمَ تكثر الزلازل في كاليفورنيا وفي غيرها من شواطىء أمريكا الغربية ، وتكثر أيضا في اليابان وعلى شواطىء آسيا الشرقية ، ولا تكثر في انكلترا وفرنسا ولا حتى في نيويورك وشواطىء أمريكا الشرقية ؟

× نظراً للمناطق الزلزالية التي تقع فيها كاليفورنيا .

× انكلترا قريبة من القطب الشمالي وبعيدة عن خط الاستواء .

٧

هل الزلازل وقف على المناطق الزلزالية . . أم أنها قد تحدث في مناطق أخرى غير مناطق الزلازل ؟

× طبعا لا وجود للزلازل إلا في المناطق الزلزالية .

× الزلازل ليست وقفا على المناطق الزلزالية ، وقد تحدث في مناطق أخرى غيرها

٨

تسجل الأجهزة الدقيقة كل الهزات والزلازل التي تضرب العالم ، وأكثر هذه الهزات ضعيفة ولا نحس بها ، ترى كم عدد الهزات الضعيفة (٢ - ٢٫٩ بمقياس ريختر) التي تضرب العالم سنويا وفق تسجيل تلك الأجهزة ؟

× ٣٠٠٠ هزة

× ٣٠٫٠٠٠ هزة

× ٣٠٠٫٠٠٠ هزة

٩

مقياس مر كالي مقياس آخر غير مقياس ريختر خاص بالزلازل ، فما الذي يحدده مقياس مر كالي هذا ؟

× يحدد مقياس مر كالي مقدار ما أحدثه الزلزال من دمار .

× يحدد مقياس مر كالي قوة الزلزال ، تماما كمقياس ريختر فهو إذن بحكم البديل

× يحدد المقياس مكان الزلزال وزمانه

١٠

الزلازل ليست وقفا على اليابسة ، فهي تضرب قيعان البحار والمحيطات ، كما تضرب اليابسة . . ترى أي الظواهر التالية تسببها الزلازل البحرية .

× العواصف البرقية والرعدية .

× فيضان الأنهر التي تصب بالقرب من مواقع الزلازل البحرية .

× أمواج البحر العاتية العملاقة (التسونامي) .

١١

يسعى العلماء إلى التنبؤ بالزلازل ، وتحديد مكان وقوعها وزمانها على نحو من الدقة يضمن الوقاية من كوارثها . . ترى هل نجحوا في مسعاهم هذا ؟



ديسمبر ١٩٨٩

١ تعد مخطوطة « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي من أثمن المخطوطات العربية وأشهرها التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية في صوفيا . ونذكر من تلك المخطوطات أيضاً « فضائل الشام » للفزاري ، و « الخلفاء » للسيوطي ، ومخطوطة « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » للمقريزي .

٢ الصورتان لبلد واحد هو « غدامس » في الجماهيرية العربية الليبية ، وتمثل إحدى الصورتين غدامس الحديثة ، بينما تمثل الأخرى غدامس القديمة ، ولا يخفى أن اسم غدامس تحريف لعبارة : (تغدوا فيه أمس) .

٣ هذه هي حارة « درب قرمز » ، حارة الروائي العربي الكبير نجيب محفوظ ، وقد ولد في بيت يقع على رأسها .

٤ يزيد عدد المسلمين في بريطانيا على مليوني نسمة ، ومدينة برمنجهام هي التي يبلغ عدد المسلمين فيها (١٠٠ - ١٥٠ ألف نسمة) نصف هذا العدد تقريباً في مدينة برأدفورد (٦٠ - ٨٠ ألف نسمة) .

٥ تنمو هذه الشجرة في جزيرة سوقطرة ، حيث تعرف باسم (دم الأخوين) أو (Dragon's blood)، أو إن شئت الاسم العلمي (Dracaena cinnabari) . وهي تنمو في المرتفعات في الغالب ، وتبلغ من الارتفاع نحو (٣) أمتار أو أكثر . وتفرز الشجرة من جذعها وفروعها المادة التي تسمى « دم الأخوين » بالتحديد ، وهي عبارة عن راتنج أحمر ، يستعمل في معالجة المغص .

٦ هذه هي مياه حمامات (ماعين) في المملكة الأردنية الهاشمية ، وهي مياه كبريتية معدنية حارة (٥٥ - ٦٠ درجة مئوية) ، وتنحدر من قمة جبل بازلتي ، يقع على مسافة ٣٧ كيلومتراً من مأدبا . وقد اشتهرت حمامات (ماعين) بمنافعها الصحية ، وأصبحت من أشهر المنتجعات المعدنية في الشرق الأوسط .

٧ العقاب هو أقوى الطيور وأشجعها ، وهو يتغذى على الحيوانات التي ينقض عليها من أعالي الجو ، أما النسر فهو طائر مسالم ، لا يهاجم الحيوانات أو الطيور الأخرى ، بل يقنع بالجثث الميتة ، فهو من آكلات الجيف .



٨ تمثل الصورتان مدينة «أغادير» : أغادير القديمة (في الصورة العليا) ، وأغادير الحديثة (في الصورة السفلى) ، وقد أنشئت أغادير الحديثة على مكان غير بعيد عن أغادير القديمة ، وذلك بعد أن ضرب المدينة القديمة زلزال مدمر في فبراير ١٩٦٠م ، فأصبحت أثراً بعد عين .

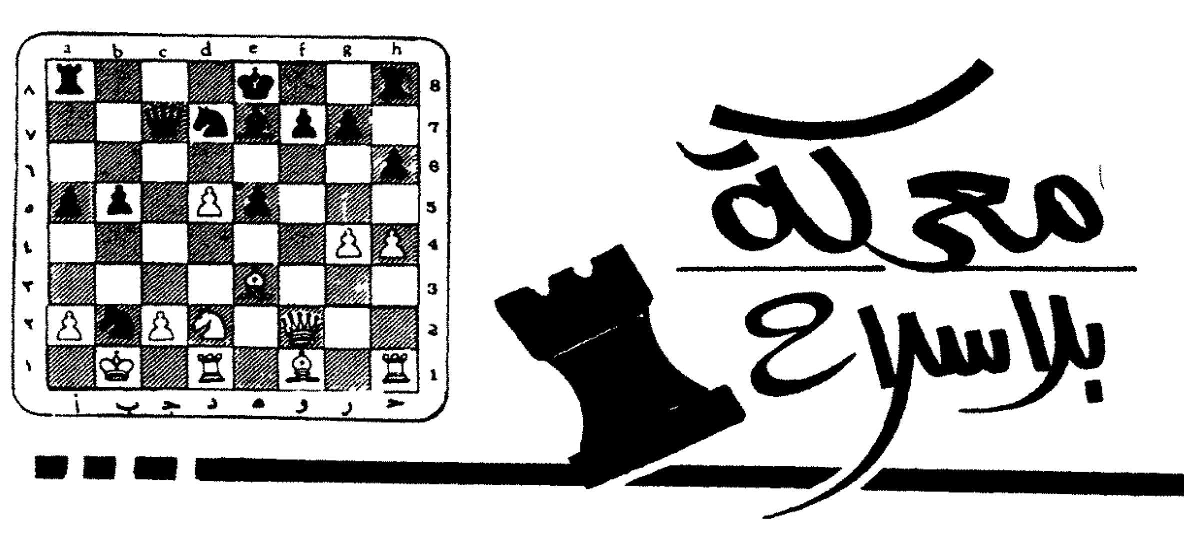
٩ شركة البترول الكويتية العالمية (K.P.I.) هي التي اختارت الرمز (Q 8) اسماً تجارياً لها ، وقد أنشئت الشركة سنة ١٩٨٣م ، واتخذت مقراً لها في لندن ، ومضت في شراء ممتلكات شركة (جالف أويل) ، ومحطات شركة (B. P)، حتى أصبحت تملك ٥٠٠٠ محطة بنزين منتشرة في شتى بلدان غرب أوربا وشمالها ، كالمحطة التي ترى في الصورة .

١٠ يبلغ عدد الأبقار والأغنام في جمهورية مالي أربعة ملايين ونصف مليون ، وحوالي عشرة ملايين على التوالي ، أما الجمال فلا يقل عددها عن (٣٠٠,٠٠٠) جمل . □

الجائزة الأولى : بلقاسم برهومي/الجمهورية التونسية
الجائزة الثانية : شريفة حسين معرفي/دولة الكويت
الجائزة الثالثة : علي فضل أحمد ناصر/جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - محمد اهاروش/المملكة المغربية
٢ - سيف بن عامر بن سيف الجهضمي/سلطنة عمان
٣ - غسان حلواني/الجمهورية العربية السورية
٤ - منى يحيى شريف/الجمهورية اللبنانية
٥ - يعقوب علي النعيمي /رسكوف/ الدانمارك
٦ - محمد أحمد علي/جمهورية مصر العربية
٧ - رفيعة عبد الشهيد حسن/الجمهورية العراقية
٨ - أحمد عثمان علي/جمهورية السودان الديمقراطية الشعبية

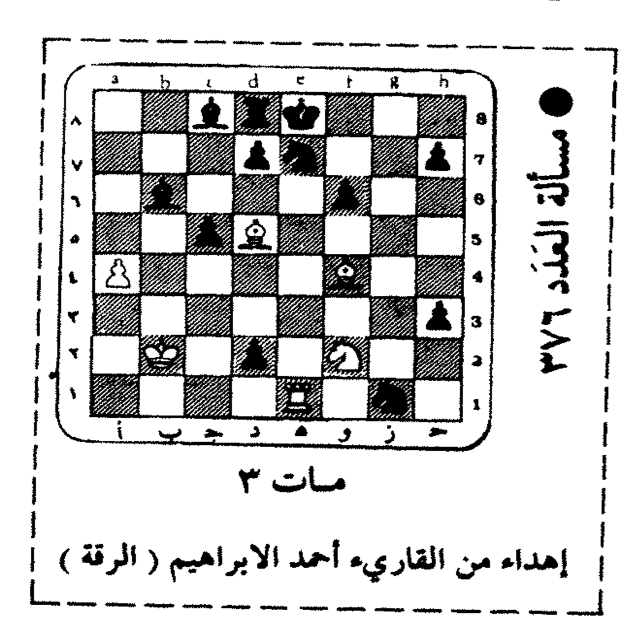


يحتل الاتحاد السوفيتي المرتبة الأولى في العالم ، في لعبة الشطرنج ، ويليه في ذلك بريطانيا ثم أمريكا ، غير أن المُتتبّع للأحداث الشطرنجية الدولية يلاحظ أن مكانة بريطانيا حاليا ، في مباريات الشباب الأوربية والدولية ، لمن هم دون سن العشرين ، آخذة بالتراجع بشكل ملحوظ ، بعد أن كان اللاعبون البريطانيون الشباب يتربعون على عرش هذه المباريات ، طوال عقد السبعينيات تقريبا .

وقد أدى اهتمام السوفييت المتزايد بإعداد الناشئة إلى تغيير الصورة تغييرا تاما ، فمنذ ذلك الحين أصبح اللاعبون السوفييت الشباب هم الذين يحتلون المراكز الأولى ، في مباريات الشباب الأوربية والدولية ، في حين أصبح اللاعبون البريطانيون الشباب يحتلون المراكز المتأخرة . وقد تجلّت مقدرة اللاعبين السوفييت بشكل واضح في بطولة العالم للشباب ، قبل الأخيرة ، المقامة في اديلايد ، في جنوب استراليا ، حيث احتل أربعة من اللاعبين الشباب الصدارة ، بينهم ثلاثة من السوفييت ، وواحد فرنسي يدعى « لوتير » .

وفي بطولة العالم للشباب لعام ١٩٨٨ ، المنعقدة في آرنهم الهولندية ، احتل البريطاني مايكل آدامز المرتبة الثالثة ، وحصل السوفيتيان دريف وجلفاند على الميداليتين الذهبية والفضية ، برصيد قدره ١٠,٥ من ١٣ نقطة ، في حين لم يسجل اللاعب البريطاني سوى ٥٠٪ من النقاط . وقد خسر آدامز أمام دريف في ١٧ نقلة ، وأمام جلفاند ، كما سنرى في الدور المثير التالي من الدفاع الصقلي في ٢٩ نقلة

□ مايكل آدامز	■ بوريس جلفاند
١ - هـ ٤	جـ ٥
٢ - ح - و٣	د ٦
٣ - د ٤	جـ×د٤
٤ - ح×د٤	ح - و٦
٥ - ح - جـ٣	آ ٦



● مسألة العدد ٣٧٦

مات ٣

إهداء من القاريء أحمد الابراهيم (الرقة)

٦ ـ ف - هـ٣	هـ ٥
٧ ـ ح - ب٣	ف - هـ٦
٨ ـ و - د٢	ح(١) - د٧
٩ ـ و ٣	ف - هـ٧

لو بيّت الأسود لهاجم الأبيض ببيادق جناح الملك وفاز

١٠ ـ ز ٤	حـ ٦
١١ ـ حـ ٤	ب ٥
١٢ ـ ت ت (طويل)	ح ـ ب٦
١٣ ـ و - و٢	ح(٦و) - د٧
١٤ ـ م - ب١	و - جـ٧
١٥ ـ ح - د٥	ف×د٥
١٦ ـ هـ×د٥	ح - جـ٤
١٧ ـ و ٤ ؟	أ ٥
(ح - د٢ أفضل)	
١٨ ـ و×هـ٥	د×هـ٥

١٩ ـ ح - د٢	ح×ب٢ !
	(الشكل)

حاسمة ! لو أخذ لكشّه بالفيل ثم الوزير

٢٠ ـ ف - د٣ مضحيا بالفرق ح×د٣

٢١ ـ جـ×د٣	ح - و٦
٢٢ ـ ح ـ هـ٤	ح×د٥
٢٣ ـ ر (حـ) - ز١	ب ٤
٢٤ ـ ر (ج) - و١	ف×حـ٤
٢٥ ـ و - و٣	ح×هـ٣
٢٦ ـ و×هـ٣	ب ٣
٢٧ ـ أ×ب٣	ر - ب١
٢٨ ـ د ٤	ت (قصير)
٢٩ ـ ز ٥	حـ×ز٥

يستسلم متوقعا و - جـ ٤ أو أ ٤

□□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ عصام أحمد الغزّاوي ـ دمياط / ج.م.ع

٢ ـ محمد مبروك عبد الله ـ مسقط / عمان

٣ ـ سهير عبد الرزاق عبد الغفّار ـ المنامة / البحرين

٤ ـ عبد الوهاب هنداوي ـ أدلب / سوريا

٥ ـ جيهان عبدال سفيان ـ نينوى / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ سعدي أسعد جبر ـ عمان / الأردن

٢ ـ الفقيه بن صالح ـ لكرام سعيد / المغرب

٣ ـ رواء محمد حسني ـ الفروانية / الكويت

٤ ـ عبد الله محمد بخيت ـ رفحاء / السعودية

٥ ـ خالد حسن علي ـ عدن / اليمن الديمقراطي

حل مسألة العدد رقم ٣٧٤ ـ يناير ١٩٩٠م

١ ـ و - و ٣	م - ز ١
٢ ـ و - هـ ٣ +	م - حـ ١

ويظل الوزير يتنقل بين الأبيض والأسود إلى أن يصل إلى أ ٨ فيكش مات في أ ١



العربي ـ ص.ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي : 13008 الكويت

صور حية



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد ،

● أنا أحد قراء مجلة « العربي » الغالية على قلبي ، وعلى قلوب العرب جميعاً ، مجلة كل القراء العرب والمثقفين ، نبع الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة التي تشهد صفحاتها أجمل ما يسطره المفكرون العرب في جميع المجالات ، وعلى الأخص حديث الشهر ، واستطلاعات « العربي » لدول العالم .

في العدد رقم ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩ نال إعجابي حديثكم الشهري « إزالة الحواجز أو خفض ارتفاعها » ، حيث إن العرض موضوعي مختصر لما يحدث من تغيرات وتجديد وإعادة بناء في الدول الاشتراكية ، وقد تفضل الدكتور رئيس التحرير مشكوراً ، فأعطى صورة حية للقراء العرب عما يدور داخل الدول الاشتراكية ، وهذا العرض الموضوعي يختلف عما تنشره الصحافة الغربية والعربية ، ففيه بعد في التحليل ، وعرض شامل للظروف التي ساعدت على حدوث هذه التغيرات .

نحن سعداء بهذا التوجه الصريح الصادق في تناول القضايا التي يواجهها هذا العالم ، عبر صفحات مجلتنا الغراء « العربي » ، متمنياً لها مزيداً من التقدم والنجاح في مسيرتها الطويلة .

القارىء : عبد الرزاق غدرون

قرية الدار الكبيرة ـ حمص ـ سوريا

□□□

حول السلوك الاجتماعي

● تعقيباً على مقال الدكتور علي الوردي ، وعنوانه « الأنوية » ، المنشور في عدد رقم ٣٧٠ سبتمبر ١٩٨٩ الذي تفضل فيه الدكتور شارحاً ما يسمى النزعة الاجتماعية ، وكيف أنها مكتسبة متعلمة وليست نظرية ، ولقد تحدث بعد ذلك عن الأطفال الذين ينشأون بين الحيوانات ، والذين لديهم أدنى درجة من النزعة الاجتماعية للحياة بين البشر . وليسمح لي د. الوردي بأن أضيف مثالين إلى ما أشار إليه ، لم يأت على ذكرهما ، الأول طفل أفيرون ، والثاني الطفلتان الذئبتان .

طفل أفيرون يبلغ من العمر الحادية عشرة ، عثر عليه في غابات فرنسا متسلقاً الأشجار ، عاري الجسد ، طويل الشعر ، يمشي على أربع ، والطريف أنه كان



متسيّداً مجتمع القرود ، وذلك لأنه كان أقواها . انتزع الطفل من الغابات ، وخضع لبرنامج تدريب تحت إشراف الدكتور (ايتادر) مدة خمس سنوات ، وذلك لتدريبه حسياً على الكلام والمشي على الرجلين ، واستعمال الملعقة لتناول الطعام ، والتعبير عن نفسه . وبعد انتهاء فترة البرنامج أعلن الدكتور فشله الذريع ، فلم يتعلم الطفل شيئا أكثر من بضع كلمات .

أما الطفلتان الذئبتان ، فقد وجدتا في غابات الهند الشرقية ، وكانتا عاريتين ، تمشيان على أربع ، وقد اكتسبتا سلوك المجتمع الذئبي ، فكانتا زائغتي النظر ، والشعر يغطي بعض جسميهما ، وتأكلان اللحوم افتراساً . وعندما خضعتا لبرنامج علاجي وتدريبي لتحسين أدائهما السلوكي ، ماتتا على الفور .

وعليه فإنني أقول : إن السلوك الاجتماعي البشري سلوك تعلم مكتسب .

القاريء : حسني مصطفى شعبان

امبابة ـ الجيزة ـ جمهورية مصر العربية

□□□

العرب ودورهم في نشر العلوم

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد ،

● أود أن أعرب في أول الرسالة عن إعجابي الشديد بمجلتنا العربية الأولى ، فأهنيء نفسي وأهنئكم على النجاح الذي وصلت إليه .

لقد اطلعت على العدد ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩ ، وقد قرأت فيه معلومة بعنوان (هل اخترع العرب قلم الحبر ؟) ، وفكرت في التساؤلات التي ستحدث لدى القاريء العربي أو الأجنبي ، حول هذا الاختراع ، ومن الذي اخترعه ، العرب أو العجم ، والدليل كما ذكر في العدد الكتاب المخطوط (المجالس والمسامرات) . وقد اقتبس العلماء الأجانب عن العرب كثيراً من المخترعات والمكتشفات والمعلومات . وبدلاً من أن يشكروا للعرب فضلهم ، ويقدروا جهدهم فعلوا العكس تماماً ، إذ نسبوا هذه المعلومات والمخترعات لأنفسهم ، كما في اكتشاف الدورة الدموية التي اكتشفها ابن النفيس ، وغيرها من المكتشفات . فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن زادت مهابة الغرب وعلا مجدهم في السماء في كل ذلك ، على حساب العلماء العرب ، وبالمقابل طوى النسيان العلماء العرب .

لذلك ، وبما أن مجلة « العربي » واسعة الانتشار ، ويقرؤها كثيرون من قوميات مختلفة متعددة فإنني أهيب بكم في المجلة العناية بنشر هذه المعلومات التي قد تصحح كثيراً من المعلومات الخاطئة وترد الحق إلى أصحابه .

القاريء : محمد العبدة

دمشق ـ سورية

حوار القراء

العربي

إن من أهداف « العربي » وسياستها بيان مجالات الإبداع لدى الإنسان العربي ، ونشر كل ما يحقق ذلك في المجلة ، بحيث يصبح حافزاً ورافداً للعلماء العرب في توسيع آفاقهم العلمية ، وموضحاً للحقائق والمنجزات العلمية .

□□□

دفاعاً عن العقل العربي

● قرأت مقال الدكتور محمود عبد الفضيل في عدد ٣٧٠ سبتمبر ١٩٨٩ الذي يتحدث فيه عن كتاب (اغتيال العقل العربي) للمؤلف د. برهان غليون . ولي ملاحظات على ما أورده د. عبد الفضيل الذي يعد الصحوة الإسلامية سبباً رئيساً لاغتيال العقل العربي ، وعدّ أن الجماعات الإسلامية في بعض الأقطار العربية التي اشتهرت بالتشدد واللجوء إلى العنف تمثل هذه الصحوة الإسلامية ، علماً بأن هذه الجماعات لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من المفكرين الإسلاميين ، وأن الكثرة الغالبة من الإسلاميين تقف موقف المعارضة منها .

كما أننا لا نتفق معه في تفسير القول بأن الحاكمية لله ، وأنها تشمل الأصول والفروع ، فمن البديهي أن الأصول هي أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، والمحرمات المذكورة في القرآن الكريم ثابتة إلى آخر الزمان ، من صدقها وعمل بها فهو مسلم ، ومن أنكرها كان مرتداً أو كافراً ، وما عدا ذلك ففيه مخالفة . وربط ضياع العقل العربي بالصحوة الإسلامية خطأ جسيم .

لكنني أرى أن هناك سبباً جوهرياً لضياع العقل العربي ، لم يأتِ الكاتب على ذكره إلا سريعاً وبشكل عام ، وهو أشكال أنظمة الحكم في بعض أقطار الوطن العربي ، وتركيز وسائل الإعلام على إبراز الحاكم بأنه الملهم والمرجع الوحيد لكل القرارات السياسية وغيرها ، وعدّ مخالفته جريمة يعاقب عليها بالسجن أو بالنفي أو بالتصفية الجسدية ، وقد ألمح الكاتب د. عبد الفضيل إلى بعض ضحايا حرية الفكر في لبنان ، وتغاضى عن ذكر غيرهم من الضحايا في أقطار عربية عديدة .

د. عبد الله الأمين

الصالحية ـ دمشق ـ سورية

□□□

ربط الجامعة بالمجتمع

● إن ربط الجامعة بالمجتمع عملية تفرضها عوامل بيئية واجتماعية ، وعلى القائمين بمسئوليات وضع خطط التنمية والمثقفين في الوطن العربي أن يدركوا هذا ، وأن يعملوا بقدر المستطاع على تحقيقه ، لأن ذلك من المسلمات الموضوعية . على سبيل المثال ما قرأته في مجلة « العربي » العدد ٣٦٧ لشهر يونيو ١٩٨٩ ، بعنوان « العمارة للفقراء » ، أتساءل هنا : لماذا لم تجد أفكار المهندس المعماري المبدع



(حسن فتحي) طريقها إلى المناهج التعليمية الجامعية في الوطن العربي ، في الوقت الذي وجدت فيه الذيوع والانتشار في أمريكا اللاتينية وغيرها ؟ ولماذا وجد هنا من يحاربها ؟

إن النتاج البحثي للعلماء والباحثين العرب في مختلف المجالات العلمية جدير بالتقدير والتشجيع ، وأن تأخذ جامعاتنا العربية بالمفيد والجديد من هذه الأبحاث .

إن بيئتنا تختلف عن البيئة في الشمال الأوربي البارد ، وبالتالي ستكون الانعكاسات الطبيعية والاجتماعية والسلوكية مغايرة كذلك ، فليس كل الأمراض الموجودة في المناطق الباردة موجودة عندنا ، وقد لاتوجد عندنا مطلقاً . وعندنا أمراض عديدة ، تخص بيئتنا فقط . ولهذا هل يجوز أن نأخذ نتائج الأبحاث من الشمال الأوربي كما هي ؟

تبعاً للمناخ والتربة تنمو أنواع من المحاصيل الزراعية ، وإنتاجها مختلف عن بقية مناطق العالم ، فليس بالضرورة أن نقرر أن ما يصلح من أبحاث ونتائج في الغرب يصلح تطبيقه في الوطن العربي .

أعتقد أن التنمية في أي بلد لا يمكن بلوغها وتطويرها إلى الحد المطلوب إلا بوجود « كادر » وطني ، وهذا « الكادر » سيكون أكثر عطاء عندما يكون مستوعباً المتغيرات الطبيعية وخصائص بيئته ، وهذا يتأتى من جعل الجامعة أكثر قرباً من المجتمع وطبيعته .

القاريء المهندس : محمد عبده الحيلي
حمص ـ سوريا

□□□

ردود . واقتراحات

● القاريء هادي علي ناجي دباش ، من محافظة الضالع ـ قرية الحود ـ جمهورية اليمن الديمقراطية ، يقترح زيادة كمية المنشور من الشعر .

● القاريء حسام عبد الرزاق عبد الفتاح ، من جامعة المنوفية ، كلية التربية ـ جمهورية مصر العربية ـ يقترح تخصيص باب بالمجلة لأخبار الرياضة في الوطن العربي .

● القاريء صالح الصابري ، من البروج ، إقليم سطات ، المملكة المغربية ، يسأل عن كيفية الاشتراك في المجلة . ونقول له : إن هناك قسيمة اشتراك في العدد ، يمكن أن تملأها وترسلها إلى العنوان المكتوب ، مع المبلغ النقدي المطلوب ، ستصلك المجلة بانتظام .

● القاريء : علي حمود دعيبل ، كلية الهندسة الكيميائية والبترولية ـ حمص ، من أدلب ـ سوريا ـ يقول في رسالته: إنه قام باستفتاء بين طلبة الكلية وباقي الكليات الأخرى في جامعة حمص ، وكذلك بين زملائه خارج الجامعة ، فوجد أن قراء « العربي » نسبتهم ٨٤٪ من المجموع العام ، وأن هذه النسبة بازدياد مستمر ، ويقترح في رسالته أن تنشر المجلة مقالات متنوعة عن نشأة الموسيقا العربية وتطورها ، وأن تخصص بابا ثابتا للرياضة في الوطن العربي .

حوار القراء

● القاريء سامح محمود محمد ، من القاهرة - جمهورية مصر العربية - يقترح إعادة باب « قاموس العربي » ، أو إعادة نشر القديم ونقول له إننا إذا رأينا أن هناك حاجة لإعادة أي باب توقف فإننا لن نتردد في ذلك

● القاريء عمار عذرا ، من اللاذقية - سوريا - يقترح أن تنظم المجلة مسابقة لأفضل قصيدة شعر ، وأفضل قصة قصيرة ، وأن يكون الاشتراك فيها مقصوراً على الهواة فقط

● القاريء شيخ محمد الشيخ - دير الزور ، سوريا - يقترح إيجاد باب بعنوان « من دفتر القراء » ، تطرح فيه مواضيع يقوم القراء بإعدادها

● القاريء علي محمد عباس ، من عمان - الأردن - يقترح نشر موضوع مفصل عن آخر ما توصل إليه العلماء حول « مثلث برمودا »

● القاريء شهاب عبدالحميد ، من معهد إعداد المدرسين - قسم اللغة العربية ، دير الزور - سوريا - أرسل مقالا عن العلاقة التي تربط اللغة العربية بالفلسفة ، وأهمية إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية



التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي

تحرير : الدكتور سعد الدين ابراهيم
عرض : الدكتور فهد الفانك

في الآونة الأخيرة كثر الحديث عن التعددية بحسبانها الأمر الذي لا غنى عنه لحل المشكلات المستعصية التي يعاني منها وطننا العربي . وقد كان هذا التعبير مع تعبير الديمقراطية عنوانا لندوة فكرية كبرى ، عقدت في عمان ، في ربيع العام الماضي ، وأصدر كتاب في خريف العام نفسه .

عربيه ـ سياسيه ، من المفكرين والممارسين على السواء

ويضم الكتاب أكثر من ٤٠ ورقه عمل ، أو شهاده شخصيه ، أو مساهمه في مائده مستديره ، أو تعقيبا مُعدًا ، فضلا عن خلاصه وافيه لمناقشات كل جلسه من جلسات العمل ، مما جعله مجلدا عالي القيمه للمهتمين بحاضر الوطن العربي ومستقبله واتجاهات الفكر السياسي العربي المعاصر

مفهوم التعددية

يشير مفهوم التعددية السياسيه إلى مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية ، وحقها في التعايش والتعبير عن نفسها ، والمشاركة في صنع القرار العام والتعددية بهذا المعنى هي إقرار واعتراف بوجود التنوع الاجتماعي ، وبأن هذا التنوع لابد أن يترتب عليه اختلاف في المصالح ، أو خلاف على الأولويات والتعددية السياسية هنا هي الإطار المقنن للتعامل مع هذا الاختلاف والخلاف ، بحيث لايتحول إلى صراع يهدد سلامة الدولة وتماسك المجتمع .

يبدأ الكتاب بتحليل موسع لأحمد صدقي الدجاني للتعددية السياسية في التراث الفكري الإسلامي ، وفي الممارسة العربية الإسلامية ، منذ بداية دولة المدينة ، حتى سقوط الدولة العثمانية . وينطلق الباحث من افتراض أن الشورى هي المصطلح الذي يدل على التعددية السياسية والمشاركة في الحضارة العربية الإسلامية ، على صعيدي الفكر والممارسة . وقارن بين شورى دولة المدينة وبين التعددية والديمقراطية ، من حيث الاعتراف بالتنوع الديني ، وتعدد القوى ، وحقها في التعايش وفي التعبير عن نفسها .

وبعد هذه الخلفية العامة يعرض محمد الرميحي الصيغ التقليدية المعاصرة للتعبير عن التعدديه السياسيه في الواقع العربي الراهن ، وعلى الأخص في مجتمعات الجزيره العربيه ويركز على آليات ضبط التعددية ، وتحقيق الاستقرار التى لجأ اليها الحاكم ، ابتداء من السيف « والمسدس » ، وانتهاء بالهجره (الجلاء) كتعبير عن عدم الرضى ، ومرورا بالمصاهره ، والمؤسسه الدينيه ، والتعبير عن الرأى المضاد ، وإنشاء التجمعات الشعبيه التقليديه

وفي هذا المجال نبّه محمد عابد الجابري ، في إحدى مداخلاته ، إلى أهمية التمييز بين ثلاثة مستويات في التراث ، وهي الشريعة ، والفكر السياسي في الإسلام ، والتاريخ الإسلامي ، بحسبان أن التعددية يمكن أن تعالج ضمن المستوى الثاني



● غلاف الكتاب

كما اعترض علي الدين هلال على إصرار بعض المفكرين على إيجاد أصل أو جذر في تاريخنا القديم لكل فكرة جديدة. فليس هناك ما يحول دون خلق أفكار جديدة في هذا العالم المتحضر ليس لها سوابق في تراثنا. وفي هذه الحالة يكفينا أن لا تتناقض الفكرة مع ديننا وتراثنا، ولاحاجة لأن نجد لها أو نفتعل لها جذرا في الدين والتراث.

ويتناول الكتاب بعد ذلك عملية الصيغ التقليدية إلى الصيغ الحديثة للتعددية السياسية، وذلك من خلال دراسة حالات قطرية، حيث قدم طارق البشري حالة مصر، وقدم محمد عابد الجابري حالة المغرب، أما حالة الخليج والجزيرة العربية فقد جرت تغطيتها بمائدة مستديرة، شارك فيها كل من محمدالرميحي الذي تناول التطبيق الخليجي للديمقراطية، وأحمد الربعي الذي تكلم عن سلبيات غياب التعددية والديمقراطية في مجتمعات الجزيرة العربية، وعبد العزيز السقاف الذي طرح الصيغة اليمنية الحديثة للديمقراطية.

وقد جرى التركيز على خصوصية مجتمعات بعض الأقطار العربية، وضرورة مراعاتها، وعدم إصدار الأحكام الشاملة عليها، وكأنها نسخ متشابهة، الأمر الذي أثار حفيظة عصام الدين جلال الذي رفض استعمال الخصوصية، وكأنها قيمة خلقية والتزام تاريخي يجب المحافظة عليها، فالتخلف مثلا قد يكون خصوصية لبعض المجتمعات في بعض المراحل، لكن ذلك لايعني تكريسها والمحافظة عليها دون مبرر علمي.

حوارات ساخنة

قدم غسان سلامة حالة المشرق العربي التي أثارت قدرا كبيرا من الحوارات الساخنة، نظرا لأسلوب الصدمة الفكرية الذي استخدمه الباحث في تصويره للوضع السائد في الجزام العربي الشمالي، حيث لخص الموقف في أن اللحظة الليبرالية التي شهدتها الأقطار المشرقية العربية في أعقاب الجلاء والاستقلال كانت لحظة كاذبة، وأن النزعات السلفية والأصولية جاءت كنتيجة للهزيمة العسكرية لمدرسة التعبويه العسكرية، وأن الأقطار العربية المشرقية كلها تسلطيه، وأن الصيغ التقليدية للتعدديه في المجتمع العربى قد تم تدميرها تماما، وأن الناصريين والبعثيين صاروا ديمقراطيين في وقت متأخر. أي بعد أن فقدوا السلطة، وأن الدولة التسلطية قامت بتفكيك المجتمع كتنظيم وتجمعات، وأن شعار الوحدة



● احمد صدقي الدجاني ● محمد عابد الجابري

العربية استخدم كأداة لطمس التعددية والديمقراطية، وأن المواءمة بين الوحدة والتعددية هي تحدي العرب في عقد التسعينيات. وبعبارة أخرى فقد لخص غسان سلامة نصف القرن الماضي بثلاث محطات: لحظة دستورية، دولة تسلطية، حلم تعددي. وكان من الطبيعي أن تتعرض هذه الورقة للتحدي والاعتراضات من قبل أربعة معقبين وثمانية مداخلين.

وفي الكتاب قسم خاص للشهادات الشخصية التي أدلى بها تسعة من الساسة والحزبيين المخضرمين حول تجاربهم الشخصية في الممارسة العربية المعاصرة من التعددية إلى

الحزب الواحد ، مع التركيز على تجارب العمل الحزبي في الأردن ومصر والسودان وتونس والجزائر . ومن ضمن هؤلاء جمال الشاعر ، ومحمد حلمي مراد ، وعادل حسين ، ويحيى الجمل ، ومنى مكرم عبيد ، وفاروق أبو عيسى ، ومحمد المنجي حبيب ، ومحمد برغام .

وقد خصص الكتاب قسما للتعامل السياسي مع التعددية الاجتماعية الكثيفة في كل من لبنان والسودان ، بحسبانهما نموذجين صارخين للنتائج المأساوية التي يمكن أن يؤدي إليها الفشل في إدارة التنوع الاجتماعي والطائفي والاثني . فقد قدم حالة لبنان انطوان مسرة



● د . محمد حلمي مراد ● د . محمد عمر بشير

الذي كشف ظاهرة تسييس التباينات الاثنية والاقتصادية والثقافية واللغوية ، بشكل يولد النزاعات والشعور بالحرمان . ورفض الباحث الفرضيات التي كانت تؤخذ كمسلمات ، كالقول بأن الانتماءات التحتية يتخطاها الزمن في سياق العصرنة ، وأن التربية المدرسية هي الوسيلة الأولى لتحقيق الانصهار ، وأن « شرعنة » بعض الانتماءات التحتية في أطر مؤسسية ثقافية أو غيرها يؤدي إلى تحجرها والحؤول دون تطورها .

أما السودان فقد تم تناوله على مائدة مستديرة ، ضمت عدداً من قادة المعارضة الفكرية والسياسية في السودان ، من ضمنهم منصور خالد ، والواثق كمير ، ومحمد عمر بشير . حيث تم تحليل الواقع السوداني وسلبياته ، بشكل أثار الاكتئاب والتشاؤم ، وكان الطرح الغالب هو طرح المعارضة . وقد اتضح خلال أسابيع أن الديمقراطية السودانية كانت بالفعل تقوم على رمال متحركة ، وتفشل في التعامل مع قضايا السودان الحقيقية ، وفي طليعتها مشكلة الجنوب والأزمة الاقتصادية .

من الماضي إلى المستقبل

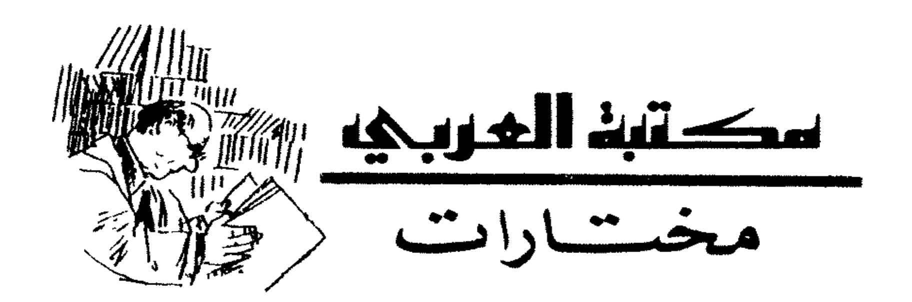
أما القسم الأخير من الكتاب فقد نقل بؤرة الاهتمام من الماضي والحاضر إلى المستقبل ، حيث تلمّس ملامح المجتمع المدني العربي المنشود في ظل تحول ديمقراطي ، في محاولة لبلورة ما يمكن أن يكون عليه العقد الاجتماعي السياسي الجديد في الوطن العربي في عقد التسعينيات ، حيث عقدت مائدة مستديرة ، شارك فيها محسن العيني الذي طالب باحترام الرأي الآخر ، وفاروق أبو عيسى الذي تناول البعد القانوني للتعددية السياسية ، مع التركيز على حقوق الإنسان الأساسية ، وليلى شرف التي اقترحت بعض المضامين السياسية والاجتماعية للميثاق الوطني المنشود ، وعلي الدين هلال الذي طالب بوضع معايير محددة للاتجاهات ، مع التمييز بين التعددية والديمقراطية والليبرالية والتداخل فيما بينها ، وأحمد الربعي الذي قدم ملاحظات سريعة حول التعددية في الخليج العربي ، وغسان سلامة الذي حاول الإجابة عن السؤال

الأساس : لماذا التعددية ؟ وكيف ؟

ولا شك أن تعددية مضامين الكتاب والآراء المطروحة فيه كانت هي نفسها نموذجا حيا للتعددية الفكرية البناءة . إلا أن التعدد والخلاف في الآراء ، لم يمنع بروز شبه إجماع على التعددية الديمقراطية ، ورفض مقايضتها بأي هدف قومي آخر ، كالتنمية الاقتصادية والاجتماعية أو محاربة الفساد أو التصدي للأخطار الداخلية والخارجية أو الحرب نفسها . ومع أن عنوان الندوة والكتاب يدور حول التعددية السياسية ، فإن كلاً من الندوة والكتاب تناولا التعددية بمعناها الأوسع ، لتشمل ، إلى جانب الأحزاب والتنظيمات السياسية صنوفاً أخرى من التنوع الاجتماعي والقبلي والقومي والديني والمذهبي والعرقي التي يحفل بها الوطن العربي الكبير .

ويبدو من خلاصة اتجاهات المناقشة أن التعددية مثل الحرية والديمقراطية ، هي غاية ووسيلة في الوقت نفسه ، لأنها تجسيم للحريات الأساس وحقوق الأفراد والجماعات من جهة ، كما أنها عامل إيجابي في تحقيق الوحدة العربية والتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية من جهة أخرى .

وبشكل عام فإن قارىء هذا الكتاب يخرج بقناعة عامة بأن الوطن العربي ، بجميع أقطاره ، زاخر بالتنوع والتعدد ، وأن هذا التنوع وذلك التعدد يشكلان طاقة هائلة ، إذا لم نحسن التعامل معها وتوظيفها لتقوية المجتمع العربي وإغنائه ، فإن العدو سوف يتعامل معها ، ويوظفها لتفتيت الأقطار العربية ، وإطلاق شرارة صراعات دموية تنتهي بالدمار ، كما هو حاصل في أكثر من قطر عربي . فالتعددية إما أن تكون قوة دفع للأمام أو طاقة تفجير تدميرية . □





اسم الكتاب : في السياسة والإعلام وقضايا أخرى .

اسم المؤلف . د . فؤاد عبد السلام الفارسي

الناشر : الكتاب العربي السعودي ـ تهامة للنشر ـ جدة .

عدد الصفحات : ٤٠٩ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٩٠ م

يضم الكتاب مجموعة من المقالات ، تتناول قضايا في السياسة والإعلام ، وتناقش من القضايا السياسية موضوعات كدبلوماسية السلاح ، والصراع الدولي ، والظاهرة الخمينية ، والسلام الدولي ، والعلاقات السعودية الأمريكية ، والعلاقات السعودية البريطانية ، والصراع العربي « الاسرائيلي » ، ومن قضايا الإعلام تناقش موضوعات كالرأي العام ، والسيطرة الإعلامية الدولية ، والحرب النفسية وآثارها ، والإعلام والعلاقات السياسية . يقول الكاتب : إنه اختار ربط قضايا السياسة بالإعلام ، لأن قضايا هذين الميدانين شديدة الارتباط بعضها ببعض ، وأنه لا يمكن فصل أداء الإعلام ودوره عن ميدان السياسة وعملياته .

اسم الكتاب : الانكفاء على الذات

اسم المؤلف : د . سعيد بن علي بن مانع

الناشر : مطابع الصفاة ـ مكة المكرمة

عدد الصفحات : ١١٢ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٩

دراسة جديدة لأحد موضوعات علم النفس ، وهو موضوع الانكفاء على الذات الذي يعنى به « التمركز العقلي حول الذات » ، وهو حالة شائعة في السلوك العام للأفراد في المجتمعات وفي المستويات الاجتماعية المختلفة . وهو حالة تعكس عدم تمتع الإنسان بقدرة عقلية معرفية عليا . يعرض الكتاب في البداية لمراحل النمو المعرفي ومحدداته ، ثم يتناول التفكير المتمركز حول الذات ، وبعد هذا الإطار يتناول بالعرض والشرح الاتجاهات الجديدة في دراسة الظاهرة والاتجاهات الجديدة في دراسة التفكير المتمركز حول الذات .

□□□

اسم الكتاب : أمريكا والوحدة العربية (١٩٤٥ ـ ١٩٨٢)

اسم المؤلف : د . علي الدين هلال

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

عدد الصفحات : ٢٦٩ من القطع الكبير

سنة النشر : ١٩٨٩

يتناول الكتاب موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قضية الوحدة العربية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٨٢ ، وهو بالتالي لا يعرض لتطور موقف الولايات المتحدة من قضايا المنطقة ، ولا العلاقات العربية الأمريكية على إطلاقها ، ولكنه يخصص موضوعه للموقف الأمريكي من قضية الوحدة العربية . وقد انقسم الكتاب إلى ستة فصول وخاتمة ، تناول الفصل الأول الإطار النظري والتاريخي ، والفصل الثاني مشروعات الاتحاد العربي (٤٣ ـ ١٩٥٠) . والفصل الثالث الصدام مع عبد الناصر ، وحركة القومية العربية ، والفصل الرابع (من محاولات الاحتواء إلى استخدام العنف) . وفي الفصل الخامس تسوية الصراع العربي « الاسرائيلي » ، وأخيراً الفصل السادس الذي تناول أمريكا والوحدة العربية (الاقتراب غير المباشر) .

وفي الخاتمة ناقش الكاتب الولايات المتحدة والوحدة العربية بين الموقف الفكري والاستراتيجية السياسية ، فعرض لأربعة أنواع من الاستراتيجية هي :

استراتيجية المواجهة ، واستراتيجية التحالف والالحاق ، واستراتيجية الضغط والتحييد ، وأخيرا استراتيجية توزيع الأدوار .

□□□

اسم الكتاب : ديوان خالد الفرج
اسم المؤلف : خالد الفرج
الناشر : مطابع القبس ـ الكويت
عدد الصفحات : ٢٩٢ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩

يضم الكتاب سيرة حياة الشاعر الكويتي المرحوم خالد الفرج وأعماله . وقد قام بتقديم الكتاب وتحقيقه الأديب الشاعر خالد سعود الزيد ، حيث جمع أشعار خالد الفرج ، وسيرة حياته التي خطها الفرج بنفسه ، وقام بتحقيقها ، وترتيبها وإعدادها للنشر ، وفق تصنيف زمني ومكاني وموضوعي .

□□□

اسم الكتاب : تأملات في بنيان مرمري
اسم المؤلف : جبرا ابراهيم جبرا
الناشر : رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن
عدد الصفحات : ١٧٠ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩

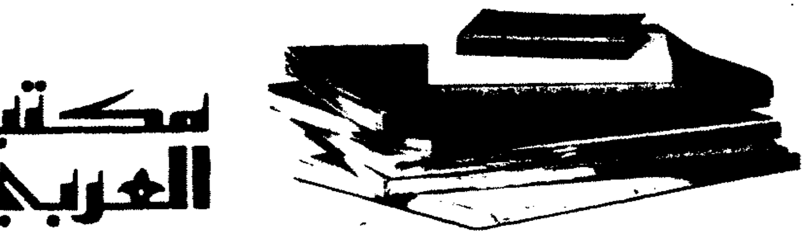
مجموعة من المقالات للكاتب الكبير جبرا ابراهيم جبرا ، في الفن والموسيقا والأدب ، ترصد الموضوع الفني في شتى ألوان الإبداع والأفق الإنساني والصلات العميقة بين موضوعات الفنون ، كتب فيها المؤلف عن صلة الشعر بالفن الروائي ، وعن الظاهر والكامن في الخطاب الأدبي ، وعن الثنائيات والأضداد ، وموضوعاً في الفن التشكيلي والموسيقا والأدب ، بحس جمالي راق ، ونفس ذواقة ، وثقافة ناقد مطلع على الثقافات العالمية ، وحساسية كاتب متميز . □

ديـوان
خالد الفرج

تأملات
في بنيان مرمري

قيـل :

● لا مروءة لمن لا أدب له ، ولا أدب لمن لا عقل له ، والعقل أمير والأدب وزير ، فإن لم يكن وزير ضعف الأمير ، وإن لم يكن أمير بطل الوزير .



كتاب الشهر



مَوْلِدُ الألعابُ الرّياضيّة

تأليف : جان لوفلوك موان عرض : نجوى الحسيني

يعرض هذا الكتاب على مدار ١٨٠ صفحة مولد الألعاب الرياضية ، راجعاً إلى بداياتها ، عبر الأمكنة والأزمنة ، مقدماً للقارىء بانوراما شاملة لكل أنواع الرياضة المعروفة عبر العصور ، عارضاً جذورها ، وكيفية تطورها ، واختفاء بعضها وظهور بعضها الآخر ، بدءاً من المباريات الإغريقية ، وانتهاء بالانبعاث المجدد للألعاب الأولمبية المعاصرة .

لماذا الرياضة ؟ في كل الأزمنة يحب الناس معرفة حجم قوتهم ، وليونتهم وسرعتهم ولياقتهم . كثيرون عبر العصور أرادوا أن يبينوا أنهم الأفضل ، إما للحصول على ميدالية ، أو رتبة شرف ، أو من أجل المال ، أو المجد ، أو ـ ببساطة ـ لحب الذات .

ويرجع المؤلف إلى ليل الأزمنة السحيقة ، ليقول : « نستطيع أن نتخيل مباراة فيها المتبارون يبرهنون قوتهم برفع أو برمي حجر ضخم ، ففي مصر القديمة في حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، كان العسكر يمارسون تمارين المعركة بالعصي ،وفي جزيرة « كريت » ١٥٠٠ ق.م ، كان يسرهم الرقص والركض ومصارعة الثيران . وفي اليونان يحدثنا هوميروس في الالياذة بأن اليونانيين أحضروا الحصان من الشمال الأوربي ، وأسسوا الحركة الرياضية اليونانية التي هي أساس الحركة الرياضية في العالم » .

رياضة للجنسين

في القرن الرابع ق.م . كانت مدينة « اسبارطة » . أقوى المدن الاغريقية ، لكن الفترة الزمنية لتأسيس الألعاب الأولمبية تبقى غير محددة ، فبعضهم يرجعها إلى « بيسوس » ، وآخرون يرجعونها إلى « هيراكليس » أو « هرقل » الذي تقول الأسطورة ؟ إنه إثر انتصاره على « [illegible] » أقام [illegible] إلى « أولمبي » ، لشكر « زيوس » [illegible] تأسيس الألعاب [illegible] لكن [illegible] من عام ٧٧٦ ق.م [illegible] عام [illegible] ق.م [illegible] حوالي ٢٩٣ [illegible] « [illegible] » [illegible] الركض .

فقد تلقى مكافأة هي عبارة عن تاج من أوراق الزيتون . أما المصارعة فقد بدأت عام ٧٠٨ ق.م . وفيها يقف المتصارعان وجهاً لوجه ، ويحاول أحدهما أن يفقد الآخر توازنه بلوي الذراع ، أما المنتصر فهو من ينجح في رمي الآخر على ظهره ، أو يحني خصره ، أو كتفه ، حتى تمس الأرض مرتين . ولقد كان المتصارعون يدهنون أجسامهم بالزيت خوف الإصابة بالبرد ، ولجعل عملية الإمساك أمراً صعباً .

أما بالنسبة لرياضة رمي القرص ، فقد كان القرص من حجر ، قبل أن يصبح من برونز ، وكان يزن بين كيلوغرام واحد و ٥ كيلوغرامات ، ويبلغ قطره بين ٢٠ و ٣٦ سنتيمتراً .

كذلك شجعت مدينة « اسبارطة » الفتيات على ممارسة الرياضة ، فقد جاء في أحد القوانين : « أن الدور الأساس للنساء الأحرار إنجاب أولاد أقوياء » ، ولقد كانت الألعاب الأولمبية النسائية تتبع الألعاب الرجالية ، وكذلك في أيلول ـ سبتمبر ـ ولقد بدأتها « هيبودامي » ، وأستمرت مساهمة النساء في الألعاب الأولمبية طوال فترة ازدهار مدينة اسبارطة .

ماذا كن يفعلن ؟ سباق للركض ، وفي كل الأعمار ، والمنتصرات يربحن تاج الزيتون وقطعة من لحم البقرة المقدمة « هيرا » . وما المسافة التي كانت البطلات الأولميات يركضنها ؟ حوالي ١٦٠ متراً .

ولقد تطورت فيما بعد عدة ألعاب ، منها [illegible] حوالي عام ٣٢٠ ق.م . فلم يكن [illegible] في أثناء الحرب ، بل [illegible] أنفسهم [illegible]

في القرن [illegible]

أثينا ، تشريعات ، ووضع الخطوط الكبرى للتربية الأثينية ، وهذا هو مبدؤها : « يجب أن يتعلم الصبيان ، قبل كل شيء ، السباحة والقراءة ، والفقراء عليهم ممارسة الزراعة وصناعة ما ، أما الأغنياء فيجب أن ينصرفوا إلى الموسيقا ، والسباحة ، وتمارين الرياضة ، والصيد ، والفلسفة » .

إن تأثير اليونان على الرومان كان كبيراً ، فجميع الألعاب اليونانية أصبح لها مثيل في روما ، خاصة عندما أعلن « اوكتاف » نفسه بعد معركة « اكتيوم » امبراطورا باسم « اوغسط » ، وأنشأ الألعاب الأغسطية ، وأصبح من ثم لروما ألعابها . و « دوميتيوس » الذي أصبح فيها بعد الامبراطور « نيرون » كان من المتبارين البارزين في سباق عربات الخيل (كاروسيل) . ونيرون هذا قد أنشأ ألعاب السيرك التي تستمر خمسة أيام ، وذلك في القرن الأول الميلادي . ومما لا شك فيه أنه كان في السيرك الروماني بعض ألعاب القوى ، ومنها نوع من المصارعة وسباق العربات مطاط الشجر . ويبدو أن سكان أمريكا الجنوبية هم أول من صنع الكرة من أشجار « اللاتكس » ، ولم يكن هناك بد من الانتظار حتى القرن الثامن عشر ، حتى تعرف أوربا المطاط « الكاوتشوك » ، ويتم اعتماده في الألعاب الرياضية .

وقبلهم بكثير عرف العرب « الكرة » ، فقد كان اللاعبون ينقسمون إلى فريقين ، يتنافسون على كرة مصنوعة من ألياف أشجار النخيل ، أو من غصن العناب البري . ولقد انتقلت هذه اللعبة إلى أسبانيا ومنها إلى أوربا .

في مطلع القرن السابع عشر بدأ الانكليز بإنشاء المعاهد الرياضية ، وقدر عددها بخمسة ، وجميعها تعلم « الرجبي » ، وكرة القدم . وفي القرن الثامن عشر ولدت نوادي « الغولف » أيضاً في انكلترا .

أما انكلترا في ذلك القرن فقد انتشر فيها سباق الخيل والملاكمة والركض . وفي عام ١٧٤٧ أنشأ « جاك برونجتون » معهداً لتعليم الملاكمة .

أحد كتاب القرن التاسع عشر ، ويدعى « بياردو كوربيتاس » ، يشرح في كتابه : « التربية الرياضية » كيفية مولد الرياضة الحديثة ، ويبين ظهور رياضة التجديف أول مرة فوق نهر التايمز ، في سباق بين طلاب جامعتي كامبريدج وأوكسفورد عام ١٨٣٦ . ويقول : إنه لم تكن هناك حتى منتصف القرن التاسع عشر كرة للعبة كرة القدم من « المطاط » فقد ظهرت عام ١٨٧٠ على يد رجل يدعى « ريتشارد ليندن » ، وتم اعتماد هذه الكرة « المطاطية » في النوادي منذ ذلك الحين . ويقول أيضاً : إنه في القرن التاسع عشر انتشرت لعبة « التنس » في انكلترا .

ويبدو أن نهاية القرن التاسع عشر كانت تمهيداً لميلاد رياضة السباحة وانتشارها ، ويمكن عد الشاعر الانكليزي اللورد بايرون أول أكبر السباحين في الأزمنة الحديثة .

والجدير بالذكر هنا أن السباحة لم تكن مدرجة في الألعاب الاولمبية الاغريقية على الرغم من أن أهل أثينا يتقنون السباحة .

وفي عام ١٨٦٩ اجتمع رجال السباحة في لندن ، لجعل هذه الرياضة أكثر جدوى . وهكذا ولدت السباحة الحديثة في انكلترا ، أما « التزلج » ، فقد أتى كذلك من وراء المانش ، في انكلترا .

« غوته » والتزلج

إن الهولنديين كالعصافير في الهواء ، يطيرون أكثر مما يمشون ، فالتزلج رياضة مهمة في هولندا منذ القرن الثامن عشر . أما أول ناد للتزلج في انكلترا فتأسس في ديسمبر ١٨٧٦ . وإذا كان التزلج قد أدرك ذروته رياضياً في هولندا وانكلترا فإن كل بلاد أوربا الشمالية تعرفه تقريباً ، وكذلك روسيا ، فجميع تلك الشعوب تعرف في الشتاء لذة التزلج على الثلج الذي يغطي الشوارع والساحات ، والألمان كانوا يمارسون هواية التزلج . والشاعر الألماني الكبير « غوته » كان من الهواة المتحمسين لهذه الرياضة .

وظل « غوته » طوال حياته يمارس الرياضة ، وأولها التزلج ، والتمارين البدنية ، والحمامات المرطبة ، « وكان ينتعش ويرطب عبقريته » كما يقول المؤرخ « جورج بوردان » .

وإذا انتقلنا من التزلج إلى الرياضة البدنية وجدنا أنه في عام ١٨٠٥ بادر معلم سويسري ، يدعى « هنري بيستالوزي » ، لإنشاء معهد لتطبيق تعاليم الرياضة البدنية المستوحاة من كتاب « أميل » لروسو ، بيد أنه يمكن عد « جاهن » من النمسا ، و « لانغ » من السويد المؤسسين الفعليين للتمارين البدنية الحديثة .

رحلة الرياضة من أوربا إلى أمريكا

وكان الهولنديون في « أمستردام الجديدة » التي أصبح اسمها « نيويورك » يمارسون لعبة « الغولف » في شوارع المدينة ، لكن السلطات أصدرت عام ١٦٥٩ قراراً بتغريم هؤلاء اللاعبين . أما في « فرجينيا » ، حيث كانت الحياة أسهل فإن المهاجرين الانكليز كانوا يتسلون بلعبة الكرة الطائرة . وفي عام ١٧٠١ تأسست جامعة « يال » وفي برنامجها حيز للألعاب الرياضية ، ومن هناك ظهرت لعبة كرة السلة .

في عام ١٨٩١ كان « جيمس نيسميث » ـ من أصل كندي ـ يعلم بكرة القدم داخل صالة مغلقة ، فتذكر لعبة من ألعاب طفولته في كندا ، تسمى لعبة « البط فوق الشجرة » يلتزم فيها اللاعب إصابة هدف عال بحجر . وهكذا أبدع « نيسميث » رياضة جديدة ، هي كرة السلة ، وقد انتشرت انتشاراً سريعاً ، خاصة في

المعاهد وبعد ذلك بعامين طور « بيسميث » مع أحد المربين ، ويدعى « ويليام ج مورغان » هذه اللعبة ، ففصل اللاعبين بشبكة ، وهكذا أيضاً ولدت لعبة جديدة ثانية تسمى الكرة الطائرة « الفولي بول »

أما بالنسبة للألعاب الآتية إلى أمريكا من العالم القديم فلقد تم إدخال لعبة التنس مثلاً عام ١٨٩٠ ، وقد استقرت تلك اللعبة في كاليفورنيا ، وفي الوقت نفسه أدخلت « الغولف » التي أصبحت رياضة أصحاب الملايين

عام ١٨٩٠ أيضاً أدخلت لعبة « الهوكي » من كندا ، واستقرت في بوسطن ، وشيكاغو ، وديترويت ، ونيويورك ، وتم إنشاء فريق متخصص بهذه اللعبة

سكرتير « فيكتور هيجو » والدراجات

نعود إلى أوربا لنشهد ولادة رياضة سباق الدراجات في القرن التاسع عشر ، فلقد تم سباق للدراجات ذات عجلة واحدة ، تسمى « بيسيكل » ، في ٧ نوفمبر ١٨٦٩ ، وتبين أنه يمكن قطع مسافات معتبرة دون تعب القدمين . وكانت الجائزة الأولى ألف فرنك ذهبي ، ولقد اهتم سكرتير الشاعر والروائي الكبير « فيكتور هيجو » مؤلف « أحدب نوتردام » بتلك الرياضة ، فكان ينظم مسابقاتها ، ولقد نظم سابقة باريس روان التي شارك فيها أشهر أبطال ذلك الزمان الانكليزي « جيمس مور » ، لكن الدراجة ذات العجلة الواحدة كانت خطرة لصعوبة التوازن ، لذا تم استحداث الدراجة التي نعرفها اليوم عام ١٨٨٥ ، وقد صممها الفرنسي « جورج جوران » ، لكن الانكلز هم الذين صنعوها وأطلقوها في الأسواق ، أما الدراجة النارية فقد انتشرت عام ١٩٠٢ ، وتفوقت على الدراجة العادية ، لتأتي بعد ذلك السيارة وتتفوق فترة من الزمن على الدراجة النارية ، ففي ١ تموز ١٩٠٣ جرى أول سباق للسيارات من فرنسا

وماذا عن القرن العشرين ؟

لقد عرف القرن العشرون رياضة « الجودو » ومشتقاتها القادمة من اليابان ، ومعها انطفأت هالة الملاكمة فترة من الزمن ، وبخاصة في فرنسا ، ومع مطلع القرن العشرين كثرت سباقات السيارات ، وبدأت تنهض صناعة السيارات الجميلة الخاصة للسباق الرياضي

ولقد أقسم اللورد « بيار دو كوربيتان » أن يعيد إحياء الألعاب الأولمبية ، ففي ذات مساء من نوفمبر ١٨٩٢ ، وفي صالة جامعة السوربون ، ألقيت محاضرات حول الرياضة ، وحول ضرورة إحياء الألعاب الأولمبية . وبعد ٤ سنوات من ذلك التاريخ تقرر إقامة أول دورة للأولمبياد المعاصرة في أثينا . وفي الفترة من ٥ إلى ١٥ نيسان - ابريل - من عام ١٨٩٦ كانت أول أولمبياد معاصرة حضرها أكثر من ٨٠ ألف شخص . □

بهذا أدبت نفسي



● قيل لابن المقفع : من أدبك كل هذا الأدب ؟

قال : نفسي .

فقيل : أيؤدب الإنسان نفسه بغير مؤدب ؟

فأجاب : كيف لا ، كنت إذا رأيت في غيري حسنا أتيته ، وإن رأيت قبيحا أبيته ، وبهذا وحده أدبت نفسي .

تلك اللحظة

ليس من الدقة أن تقول : إنها لحظة سعادة ، مع أنها تطلق تلك القوى الروحية التي يطلقها الفرح ، ولا أنها لحظة حزن ، مع أنه يشوبها شيء من القلق الذى تبثه الأحزان

لعل أهم ما يميز تلك اللحظة هو أنها تأتي فجأة ، دون أسباب واضحة للفرح أو للحزن ، تجد نفسك فجأة قد أصبحت أكثر خفة ، تبصر الأشياء من حولك ذات وجود متميز ، وكأنها تريد أن تقدم إليك نفسها !

اللوحة التى كنت تراها كل يوم على الحائط دون مبالاة تسطع ألوانها فجأة ، وتتحاور خطوطها وألوانها بلغة صامتة ناطقة ، تصلك لأول مرة الأفكار التي كانت تدور برأسك أحيانا دون رابط ، وقد تسبب لك الدوار ، تتماسك فجأة كأيدي مجموعة من الراقصين ، تضبط منهم الخطوات ، وتتوافق حركات أجسادهم مع ضربات أقدامهم ، فتتشكل الموسيقا من الحركة المتوائمة ، ويولد معنى شامل من هذه الأفكار ، حين تترابط في شكلها الجديد

ما الذى يحدث في داخلك أو في الخارج ، فيتوازن العالمان الداخلي والخارجي في موسيقا صامتة أو ناطقة ؟ وتطرد عن رأسك هذا السؤال وغيره ، فرغبتك في أن تعيش اللحظة أقوى ألف مرة من رغبتك في أن تدرك أسبابها ، أو تفهم منطقها !

ربما تخشى أن تعصف محاولتك للفهم بهذه اللحظة نفسها !

وتبدأ في التعامل معها كأنها منحة سماوية ، فما تنجزه في هذه اللحظة يكاد يصل إلى كماله الخاص ، ويحقق جماله الفريد ، فنا أو علما أو فكرا ، أو عملا من أي نوع إنها لحظة تشعر خلالها أنك تبدع كما تتنفس !

وتؤرقك الأسئلة الخفية إلى متى تبقى هذه اللحظة ؟ هل أنت الذي يملكها أو هي التي تملكك ؟

ما الذى يسعى أن تفعله للإمساك بمثل هذه اللحظة ؟

يقول لك من يعنيهم الأمر لكل شيخ طريقته في الإمساك بهذه اللحظة !

ويقول لك يحيى حقي « لايكفي أن تنتظرها ، قابلها في منتصف الطريق »

ويقول لك نجيب محفوظ « انتظرها كل يوم في موعد ثابت ، حتى ولو لم تجيء إليك » !

ويقول لك بعض علماء النفس « سوف يأتي يوم نتنبأ فيه بقدومها كما يتنبأ علماء الإرصاد بمقدم العواصف والأمطار ! »

وإلى أن تختار الاجابة التي تروق لك دعني أهمس في أذنك ليست هناك طريقة للإمساك بهذه اللحظة سوى أن تفتح لها الأبواب حين تجيء ، سوى أن تبحر في طلها كل ما حلمت بإبحاره ! لاتقل لها أبداً "انتظري ريثما أنتهي من حديثي مع « الملك سليمان » ، أو ريثما تفرغ « بلقيس » من ارتداء ملابسها !

ويا أيها الذين تملكهم هذه اللحظة أو يملكونها ، لاتتركوها ترحل ، دون أن تفعلوا فيها شيئا ، فقد لاتعود إليكم أبداً ، وحينذاك سوف تشعرون بأنكم موتى ولو عشتم ألف عام !

أبو المعاطي أبو النجا

أيولف الصّغير

تأليف : هنريك ابسن
ترجمة : د . أحمد النادي
مراجعة: د . طه محمود طه
تقديم: د . عبدالله عبد الحافظ

العدد ٢٤٦ أول مارس ١٩٩٠



"سوق العطارين" - للفنان التونسي علي القرماسي